

بَدَائِعُ الْبَدَائِمِ

جَمَعَ فِيهِ مُؤَلَّفُهُ أَهْبَارَ التَّعَرُّافِ فِي الْبَدَائِمِ وَالْإِرْتِمَالِ
وَمَخَاسِنِ أَسْفَارِهِمْ فِي مَوَاطِنِ الْإِسْرَاعِ وَالْإِعْجَالِ
وَأُورِدَ مِنْهَا حِكَايَاتٍ لَمْ يُسَبِّحْ إِلَيْهَا

تَأَلَّفَ

جَمَالُ الدِّينِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ ظَافِرِ بْنِ حَسَنِ

الْأَزْدِيِّ الْخَزْرَجِيِّ

الْمُتَوَفَى ٦١٣ هـ

ضَبَطَهُ وَصَوَّغَهُ

مُصْطَفَى عَبْدِ الْقَادِرِ عَطَا

Title: **BADĀ'Ī AL-BADĀ'ĪH**

(Wonders of spontaneity figures
in Arabic poetry)

Author: ʿAlī ben Zāfir al-ʿAzdi

Editor: Muṣṭafa ʿAbdul-Qādir ʿAṭa

Publisher: Dar Al-kotob Al-Ilmiyah

Pages: 280

Year: 2007

Printed in: Lebanon

Edition: 1st

الكتاب: بدائع البدائه

المؤلف: علي بن ظافر الأزدي

المحقق: مصطفى عبد القادر عطا

الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

عدد الصفحات: 280

سنة الطباعة: 2007 م

بلد الطباعة: لبنان

الطبعة: الأولى

ISBN 2-7451-5247-5



9 00000

9 782745 115247 3

منشورات محمد رجاويث بيروت



بيروت
والمسكن
دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة
Copyright

All rights reserved ©
Tous droits réservés

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة

لدار الكتب العلمية - بيروت - لبنان
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو
مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Exclusive rights by ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated,
reproduced, distributed in any form or by any means,
or stored in a data base or retrieval system, without the
prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth - Liban

Toute représentation, édition, traduction ou reproduction
même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite
sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite
et exposerait le contrevenant à des poursuites
judiciaires.

الطبعة الأولى

٢٠٠٧ م - ١٤٢٨ هـ

منشورات محمد رجاويث بيروت

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة: رمل الظريف، شارع البحري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٨ - ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فروع عرمون، القبية، مبلني دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.

هاتف: ١٢ / ١١ / ٥٨١٣٠ - ٩٦١
فاكس: ١٢ / ١١ / ٥٨١٣٠ - ٩٦١
ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت ١١٠٧٢٢٩

<http://www.al-ilmiyah.com>

e-mail: sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المؤلف فى سطور

علي بن ظافر بن حسين الأزدي الخزرجي، أبو الحسن جمال الدين: وزير مصري، من الشعراء الأدباء المؤرخين، مولده ووفاته فى القاهرة، ولي وزارة الملك الأشرف مدة، وصرف عنها، فولي وكالة بيت المال، ثم اعتزل الأعمال.

من كتبه: «الدول المنقطعة» أربعة أجزاء، قال ابن قاضي شهبة: وهو كتاب مفيد فى بابہ جدا، و«ذيل المناقب النورية» و«شفاء الغليل فى ذم الصاحب والخليل» اختصره السيوطي وسماه «الشهاب الثاقب فى ذم الخليل والصاحب» رسالة. و«أساس السياسة» و«أخبار ملوك الدولة السلجوقية» و«أخبار الشجعان» وغير ذلك. وشعره رقيق.

مولده سنة ٥٦٧ هـ ووفاته سنة ٦١٣ هـ.

ينظر ترجمته فى: فوات الوفيات (٥١/٢) وفيه: توفي سنة ٦٢٣، آداب اللغة العربية (٦٥/٣)، ومعجم المطبوعات (١٤٨)، والخزانة التيمورية (١٨٦/٣) وإرشاد الأريب (٢٢٨/٥) وفيه وفاته سنة ٦١٣. والشهاب الثاقب: مقدمة الناشر. ومعجم المؤلفين العراقيين (٤٢٥/٢) ومعجم المطبوعات (٤٥٩).

وكتاب «بدائع البدائه» سبق طباعته ونشره بمطبعة بولاق ومكتبة الأنجلو المصرية وطبع أيضا على هامش كتاب معاهد التنصيص فى مطبعة مصر.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

اللهم أسبل علينا سترك الجميل، وأسبغ لدينا عطاءك الجزيل، وامنحنا رضاك الذى هو غاية التأميل، واكفنا سخطك الذى هو النهاية فى التنكيل، واحرسنا بعينك، وأيدنا بعونك، واكفنا بعزك، وصنا بجزرك، ووقفنا لذكرك، وأعنا على حمك وشكرك، فإنه لا توفيق إلا منك، ولا عون إلا بك، ولا صيانة إلا من عندك، ولا حراسة إلا لمن شملته عنايتك، ولا سعادة إلا لمن وسعته رحمتك.

اللهم إنك أمرت فعصينا، ونهيت فما انتهينا، وأضأت فما اهتدينا، وسنتت فما اقتدينا، وندبتنا إلى القرب منك فأبيننا، ثقة بأنك رءوف رحيم، واعتماداً على أنك لطيف حلیم، وسكوناً إلى أنك عطوف كريم، فلا تخيب فيك الظن، ولا تكذب فيك الأمل، ولا تقطع أسباب الرجاء، ولا تكلنا إلى إقامة الحجّة فإنها داحضة، ولا إلى بسط المعذرة فإنها قاصرة، وشفع فينا خاتم أنبيائك الذى هو سيدهم حقاً، وآخرهم بعثاً، وأولهم خلقاً، محمداً الذى شرفت قدره، وشرحت بالنور صدره، ورفعت ذكره، وأذهبت عسره، وأثبت يسره، وملأت بالنور سره وجهه، وصلّ عليه صلاة تزيده نوراً على نور، وتهدى لروحه الروح والسرور، واجعلها لنا تجارة لن تبور، وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى، ورجوم الردى، وسلم تسليمًا، وبعد:

فقد كنت فى صدر عمرى وبدء أمرى نشطت لجمع أخبار الشعراء فى البدايه والارتجال، ومحاسن أشعارهم فى مضايق الإسراع والإعجال، وسجعت منها حكايات لم يرقمها فى الطرس بنان، ولم يطمثها قبلى إنس ولا جان، فأوقفت عليها صدر ذلك الزمان، وسيد فضلاء ذلك الأوان، السيد الأجل الفاضل أبا على عبد الرحمن بن الحسن البيسانى رحمه الله تعالى، فحثنى على الازدیاد منها، والتطلب لها، والبحث عنها، فاجتمع من ذلك جزء أحكمت تربيته، وهذبت تبويبه، وسميته «بدائع البدايه»، ورتبت الأخبار فى كل باب منه على ترتيب الأعصار، وأعلمت كل حكاية أنا ناظم دررها، وناثر جوهرها، ومؤلف كلامها، ومثقف قوامها، كانت مسنده مسلسلة، أو مهملة مرسله، بأن قلت بما هذا معناه، وكل حكاية لى فيها عمل شعر، أو اشتراك مع

بعض الشعراء، اقتصر في إعلامها على ذكر اسمي فقط، وإن كانت مسجوعة فسجعها مما وشى خاطري وشائعه، وأبدى بدائعه.

فلما رأى ما اجتمع منه سرُّ به واغتبط، وأكرم نزله فارتبط، وشرفني على صغر سني ونضارة غصني بأن أنتسخه لخزائنه، وحباه بحفظه وصيانتته، ولم يزل ذلك الجزء عنى منسى الذكر، وعندى حامل القدر، حتى مثلت بالجانب العالى المكى الأشرفى - أعز الله سلطانه - فى سنة ثلاث وستمائة، وذلك قبل أن أتمسك بمجبله، وآوى إلى ظله، فجرى فى مجلسه ذكر هذا الجزء، فحسن من خاطره موضعه، وجل عنده موقعه، فرسم لى نقله.

وقد كنت فى زمن فتوتى جمعت أخباراً كثيرة قارب حجم الجزء الأول مجموعها، وفاق على كثير منه مسموعها، فجمعت شمل الطارف بالتليد، والقديم بالجديد، وأنفذت به إليه، وأوفدته عليه.

ثم إننى بعد ذلك التقت فرائد لم تظفر بمثلها الأسماط، وشائع لم تغز بشبهها الأسفاط، وبدائع لم يلحق بقدرها الإغفال، وغرائب لم يجز بجمعها الإهمال، فدعتنى النفس الطموح إلى أن أنثر ذلك النظام، وأهصر ذلك القوام، وأضم شمل هذه الفرائد الجنية القطاف، المقومة الثقاف، إلى تلك الفرائد المنتظمة العقود، المنمنمة البرود، وجعلت أفكر فى ضعف الغرائز البشرية، والجلبات الإنسانية، ورغبتها أبدأ فى الزيادة، وحرصها على بلوغ الغاية، واغتباطها بالشىء حتى إذا حصلته وظفرت به، وأنشبت مخالبتها فيه مالت إلى الملل، وخلقت لسأته العلل، وطلبت ما يرتفع عنه، وسخطت ما كانت رضيته منه، ونفسى تهون خطب التنقل، وصعب التبدل والتحول، وترغب فى تميم الناقص، وجمع المتفرق، وضم المتشتر المتبدد، وتقول: لا بد لكل ثانية من ثالثة، وتعد بأنها لا تعود فى قد هذه العزيمة نافثة، وتنشد قول القائل:

ولربما نثر الجمان تعمداً ليعود أحسن فى النظام وأجملاً

وتقييم العذر بأن تلك النسخة وقعت بين سمع الأرض وبصرها، حيث لم يوقف على أثرها، ولم يسمع بخبرها، وضاعت بين الباب والطاق، ولم تظفر بقبول ولا نفاق، ولو كانت حصلت فى الخزائن المولوية السلطانية الملكية الكاملية الناصرية، شرفها الله، لتوشحت صدور مجالسه بعقودها، وتزينت معاطف مذاكرته ببرودها، ولدارت كتوسها، وجلت عروسها، ولأشرقت زواهرها، وعبقت أزهارها، ولسارت شواردها، وطارت

وأبدها، كيف لا والفضل بمجلسه قد طنب خيامه، وشق كمامه، وأسكب غمامه، وأفغم رياضه، وأفعم حياضه، وهو - أدام الله أيامه - ولى العهد ووارث الملك، وواسطة السلك، وهو الذى سارت قصائدك إليه، وأحلتك آمالك فيه لديه، فعلى بابيه تخرجت، ومنه تدرجت، وإليه لما نبت بك البلاد عرجت، فرجعت إلى الجناب العالى، الذى أطلع هلالك حتى صار بدرًا، وأجرى جدولك حتى عاد نهرًا، ورأيت منه ملكًا إلا أنه بشر، وأسداً إلا أنه قمر، وبجرًا إلا أنه يسطو من سيفه بنهر، ولقيت منه بحر العطاء الذى بزخر مده، وليث السطاء الذى يحذر شده.

فحين ظهرت غرر هذا الحق وأوضاحه، وأثار مصباحه بل إصباحه، ضم المملوك جميع ما حصله من بدائع البدائه أولاً وفرطاً، وآخرًا ووسطًا، ورتب الجميع على الشرط الأول من ترتيب الحكايات والأخبار، على ترتيب الأعصار، إلا ما يقتضى تقديمه فرط مشابهة ومشاكله، وزيادة مقاربة ومماثلة، وهو فن لم يجمعه قبلى أحد، ولا سطرته قبل يدي يد، وقد حمل منه المملوك منه الفذ فى فنه إلى الفذ فى سلطانه، والغريب فى حسنه إلى الغريب فى إحسانه.

وجملة ما فى هذا الكتاب لا تعدو ما فى خمسة أبواب:

الباب الأول: فى بدائع بدائه الأجوبة.

الباب الثانى: فى بدائع بدائه الإجازة.

الباب الثالث: فى بدائع بدائه التمليط.

الباب الرابع: فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد.

الباب الخامس: فى بقية بدائع البدائه.

ولا بد من مقدمة فصلين قبل سياقة الأبواب:

أحدهما: فى اشتقاق البديهة والارتجال.

والثانى: فى الفرق بينهما.

الفصل الأول

فى اشتقاق البديهة والارتجال

الارتجال مأخوذ من الانصباب والسهولة، ومنه قيل: شعر رجل، إذا كان سبطاً غير جعد، ومسترسلاً غير منقبض.

وقيل: من ارتجال البئر، وهى أن ينزلها الرجل برجليه من غير حبل، فكأنهم شبهوا اقتدار الشاعر على القول من غير فكرة ولا أهبة باقتدار نازل البئر على النزول من غير حبل ولا آلة.

والبديهة مشتقة من بده يده، بمعنى بدأ يبدأ، أبدلوا الهمزة هاء لقربها منها، كما قال: «لهنك»، بمعنى «لأنك»، وكما أبدلوا الحاء أيضاً بالهاء، لقربها منها، فقالوا: مدح ومده.

واشتقاق الارتجال والبديهة - وإن كانا متقاربين - إلا أن أهل هذه الصناعة ميزوا كل واحد منهما عن الآخر بما سنذكره فى الفصل الثانى.

* * *

الفصل الثانى

فى الفرق بينهما

الارتجال هو أن ينظم الشاعر ما ينظم فى أوحى من خطف البارق، واختطاف السارق، وأسرع من التماح العاشق، ونفوذ السهم المارق، حتى يخال ما يعمل محفوظاً أو مرئياً ملحوظاً، من غير حاجة إلى كتابة ولا تعلق بتقفية، وتنفرد عند ذلك قضية الحال باختراع الوزن والقافية، وهم الشهود العدول الذين يجب الرجوع إليهم، ولا يجوز العدول بالشهادة على استطاعته، وأن ذلك المنظوم ابن ساعته.

والبديهة أن ينزل عن هذه الطبقة قليلاً، ويفكر مقصراً لا مطيلاً، فإن أطال ذو البديهة الفكرة انعكست القضية، وخرجت من حد البديهة إلى حد الروية، وعند ذلك تقصر نهضة الاعتذار عن بلوغ ذلك المقدار، إذ المرتجل والباده يقنع منهما بالردىء اليسير، ولا يقنع من المروى إلا بالجيد الكثير، وكفاك فى ذكرهما قول ابن المعتز:

القول بعد الفكر يؤمن زيغه شتان بين روية وبديه

وقول ابن جريج:

نار الروية نار جد منضجة وللبيهة نار ذات تلويح
وقد يفضلها قوم لعاجلها لكنه عاجل يمضى مع الريح

وحسبك بهرب إمام الشعراء وفاتكهم من البيهة، فما ظنك بالارتجال. وإذا كان
عبد الله بن وهب الراسبي رئيس الخوارج يوم النهروان يقول - وهو البدوي الفصيح
والعربي الصريح -: إياكم والرأى الفطير، والكلام القضيب، يقول هذا فى مطلق
الكلام، وهو غير مقيد بوزن ولا قافية، فكيف الظن بالمقيد منهما. لعمري إنه لمقام يجين
فيه الشجاع، ويكذب فيه رائد الفكر فى طلب الانتجاع.

* * *

الباب الأول

في بدائع بدائه الأجوبة

١ - فمن ذلك ما أخبرني به الشيخ الفقيه الأجل أبو محمد عبد الخالق بن زيدان المسكى - وكتب لي بخطه - قال: أملى على الشيخ العلامة أبو محمد بن برى - رحمه الله - قال: لقي عبيد بن الأبرص امرأ القيس، فقال له عبيد: كيف معرفتك بالأوابد؟ فقال: ألق ما أحببت، فقال عبيد:

ما حبة ميمة أحيت بميتها درداء ما أنبتت سنا وأضراسا
فقال امرؤ القيس:

تلك الشعيرة تسقى فى سنا بلها فأخرجت بعد طول المكث أكداسا
فقال عبيد:

ما السود والبيض والأسماء واحدة لا يستطيع لهن الناس تمساسا
فقال امرؤ القيس:

تلك السحاب إذا الرحمن أرسلها روى بها من محول الأرض أيباسا
فقال عبيد:

ما مرتجاة على هول مراكبها يقطعن طول المدى سيراً وإمراسا
فقال امرؤ القيس:

تلك النجوم إذا حانت مطالعها شبهتها فى سواد الليل أقباسا
فقال عبيد:

ما القاطعات لأرض لا أنيس بها تأتي سراعاً وما ترجعن أنكاسا
فقال امرؤ القيس:

تلك الرياح إذا هبت عواصفها كفى بأذيالها للترب كناسا
فقال عبيد:

ما الفاجعات جهاراً فى علانية أشد من فيلق مملوءة باسا

فقال امرؤ القيس:

تلك المنايا فما يبقين من أحد يكفتن حمقى وما يبقين أكياسا
فقال عبيد:

ما السابقات سراع الطير فى مهل لا تستكين ولو أجمتها فاسا
فقال امرؤ القيس:

تلك الجياد عليها القوم قد سبخوا كانوا لمن غداة الروع أحلاسا
فقال عبيد:

ما القاطعات لأرض الجو فى طلق قبل الصباح وما يسرين قرطاسا
فقال امرؤ القيس:

تلك الأمانى تتركن الفتى ملكا دون السماء ولم ترفع به راسا
فقال عبيد:

ما الحاكمون بلا سمع ولا بصر ولا لسان فصيح يعجب الناسا
فقال امرؤ القيس:

تلك الموازين والرحمن أنزلها رب البرية بين الناس مقياسا
٢ - ومثل هذا وإن تفاوت ما بين الأعصار، ولم يكن من باب الألغاز، ما ذكر أن
الشريف أبا جعفر مسعود بن الحسن العباسى - وهو من ولد العباس - بن محمد بن
على بن عبد الله بن العباسى ويعرف بالبياضى - كان يتعشق قينة ببغداد اسمها بدور،
وتعرف بجارية بنت الملك، وفيها يقول:

شكا القلب ظلمته فى الحشى إلى فأسكنت فيه بدورا
وكانت تنزل ببغداد فى القطيعة، فاجتمع يوماً هو وأبو تراب هبة الله بن السريجي -
وكان شاعراً - فقال بديهاً يخاطب الشريف:

أسلوت حب بدور أم تتجدد وسهرت ليلك أم جفونك ترقد
فقال الشريف بديهاً:

لا بل هم ألفوا القطيعة مثلما ألفوا نزولهم بها فتبعدوا

فقال أبو تراب:

فإلام تصبر والفؤاد متيم ولظى اشتياقك فى الحشى يتوقد
فقال الشريف:

ما دام لى جلد فلست بجازع إذ كان صبرى فى العواقب يحمد
فقال أبو تراب:

أحسنه كتمان الهوى مستحسن لو كان ماء العين مما يجمد
فقال الشريف:

إن كان جفنى فاضحى بدموعه أظهرت للجلساء أنى أرمد
فقال أبو تراب:

فهب الدموع إذا جرت موهتها فىقال لم أنفاسه تتصعد
فقال الشريف:

أمشى وأسرع كى يظنوا أنها من ذلك المشى السريع تولد
فقال أبو تراب:

هذا يجوز ومثله مستعمل لكن وجهك بالمحبة يشهد
فقال الشريف:

إن كان وجهى شاهداً بهوى فما يدرى إلى من بالمحبة أقصد
فقال أبو تراب:

قد رجم الناس الظنون وأجمعوا أن التى ذكرت إليها المقصد
فقال الشريف:

لو يجمعون كما زعمت لما رووا لى فى سواها ما نظمت وأنشدوا
فقال أبو تراب:

قد كان حبك غيرها متحققا والأمر يحدث والهوى يتجدد
فقال الشريف:

حققت حبى غيرها وجعلتها مظلونة ذا كله لى جيد

فقال أبو تراب:

لو لم تقل ألفوا القطيعة جاز أن تنفى به بدر التمام وتجد
فقال الشريف:

ما قلت لى جلد نفيت به الهوى عنى ولكن قلت فى تجلد
فقال أبو تراب:

فإلى متى هذا وطرف رقيبها مغض وطيف خيالها متردد
فقال الشريف:

أنا دائبا أبغى الوصال فإن أبت منه على عاداتها فسأجهد
فقال أبو تراب:

اخضع وذل لمن تحب فليس فى حكم الهوى أنف يشال ويعقد
فقال الشريف:

ذا لا يكون مع الحبيب وإنما مع ساقط متحيل يتعمد

٣ - أنبأى الشيخان الأجل العلامة تاج الدين أبو اليمان زيد بن الحسن الكندى،
والشيخ جمال الدين أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبى الفضل الأنصارى المعروف
بابن الحرستاني قاضى دمشق الآن - أيدهما الله تعالى - إجازة، قالوا: أخبرنا الشيخ
الفقيه الإمام الحافظ أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقى قراءة
عليه - ونحن نسمع - قال: أخبرنا أبو السعادات أحمد بن أحمد بن عبد الواحد
المتوكلى، أخبرنا أبو بكر الخطيب، أخبرنا أبو عبد الله بن أبى الفتح الفارسى، حدثنا
محمد بن حميد الخراز، أخبرنا الصولى، حدثنى أبو الفضل بن مخلد بن أبان، حدثنا
إسحاق الموصلى، قال: حدثنا الأصمعى، قال: أول ما تكلم به النابغة - يعنى الذبيانى
- من الشعر، أنه حضر مع عمه عند رجل، وكان عمه يجب أن يحاضر به الناس،
ويخاف أن يكون عيباً، فوضع الرجل كأساً فى يده، وقال:

تطيب نفوسنا لولا قذاها ونحتمل الجليس على أذاها
فقال النابغة:

قذاها أن صاحبها بخيل يحاسب نفسه بكم اشترها

٤ - ومن ذلك ما روى أن جريراً دخل على الوليد بن عبد الملك وعنده عدى بن الرقاع العاملى - ولم يكن جرير رآه قبل ذلك - فقال الوليد: أتعرف هذا يا جرير؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، فقال: هو ابن الرقاع، فقال جرير: شر الثياب الرقاع، فممن هو؟ قال: هو رجل من عاملة، فقال جرير: هو من الذين قال الله فيهم: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية: ٣، ٤]، قال: ويلك يا ملعون، فأنشأ جرير يقول:

يقصر باع العاملى عن الندى ولكن أير العاملى طويل
فابتدر عدى فقال:

أمك يا ذا أخبرتك بطوله أم أنت امرؤ لم تدر كيف تقول
فقال جرير: امرؤ لم أدر كيف أقول، فوثب عدى فأكب على رجل الوليد يقبلها ويقول: أجرنى منه يا أمير المؤمنين، فالتفت الوليد إلى جرير، وقال: وتربة عبد الملك لئن هجوته لأجمنك ولأسرحن عليك ولأطيفنك بدمشق، فيعيرك الشعراء بذلك، فخرج جرير فصنع قصيدته التى أولها:

حى الهدملة من ذات المواعيس فالحنو أصبح فقراً غير مأنوس
افتخر فيها بنزار وعدد أيامهم، وهجا قحطان، وعرض بعدى ولم يسمه، فقال:
أقصر فإن نزاراً لا يفاخرهم فرع لئيم وأصل غير مغروس
وابن اللبون إذا ما لى فى قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس

٥ - ومن ذلك ما رواه عوانة بن الحكم، ويحى بن عنبسة القرشى، قالوا: اجتمع جرير والفرزدق عند بشر بن مروان، فقال لهما: إنكما قد تقارضتما الأشعار، وتطالبتما الآثار، وتقاولتما الفخار وتهاجيتما، فأما الهجاء فلا حاجة لى فيه، ولكن جددا بين يدى فخرًا، ودعا ما مضى، فقال الفرزدق:

نحن السنم والمناسم غيرنا ومن ذا يسوى بالسنم المناسما
فقال جرير:

على مقعد الأستاذة أنتم زعمتم وكل سنم تابع للغلاصم
فقال الفرزدق:

على محرث للفرث أنتم زعمتم إلا إن فوق الغلصمات الجماجا

فقال جرير:

وأنبأتمونا أنكم هام قومكم ولا هام إلا تابع للخراطم

فقال الفرزدق:

فنحن الزمام القائد المقتدى به من الناس ما زلنا فلسنا لهازما

فقال جرير:

فنحن بنو زيد قطعنا زمامها فتاهت كسار طائش الرأس عارم

فقال بشر: يا جرير غلبته بقطعك الزمام وذهابك بالناقة، ثم أحسن جائزتهما،

وفضل جريراً.

٦ - ومن ذلك ما ذكره ابن سلام فى طبقات الشعراء، قال: اجتمع جرير

والفرزدق والأخطل فى مجلس عبد الملك، فأحضر بين يديه كيساً فيه خمسمائة دينار، وقال

لهم: ليقبل كل منكم بيتاً فى مدح نفسه، فأيكم غلب فله الكيس، فبدر الفرزدق فقال:

أنا القطران والشعراء جربى وفى القطران للجربى شفاء

فقال الأخطل:

فإن تك زق زاملة فإنى أنا الطاعون ليس له دواء

فقال جرير:

أنا الموت الذى أتى عليكم فليس لهارب منى نجاء

فقال عبد الملك: خذ الكيس، فلعمري إن الموت أتى على كل شيء.

٧ - ومن ذلك ما روى أن جريراً اجتمع مع الفرزدق فى مجلس عبد الملك، فقال

الفرزدق: النوار بنت مجاشع طالق ثلاثاً إن لم أقل بيتاً لا يستطيع ابن المراغة أن ينقضه

أبداً، ولا يجد فى الزيادة عليه مذهباً، فقال عبد الملك: ما هو؟ فقال:

فإنى أنا الموت الذى هو واقع بنفسك فانظر كيف أنت مزاوله

وما أحد يا ابن الأتان بوائل من الموت إن الموت لا شك نائله

فأطرق جرير قليلاً ثم قال: أم حرزة طالق منه ثلاثاً إن لم أكن نقضته وزدت عليه،

فقال عبد الملك: هات فقد والله طلق أحدكما لا محالة، فأنشد:

فى بدائع بدائه الأجابة ١٧

أنا البدر يعشى نور عينيك فالتمس بكفيك يا ابن القين هل أنت نائله
أنا الدهر يفنى الموت والدهر خالد فجئنى بمثل الدهر شيئاً يطاوله

فقال عبد الملك: فضلك والله يا أبا فراس، وطلق عليك، فقال الفرزدق: فما ترى
أمير المؤمنين؟ فقال: وأيم الله لا تريم حتى تكتب إلى النوار بطلاقها، فتأني ساعة،
فزجره عبد الملك، فكتب بطلاقها، وقال فى ذلك:

ندمت ندامة الكسعى لما غدت منى مطلقه نوار
وكانت جتنى فخرجت منها كآدم حين أخرجه الضرار
ولو أنى ملكت يدى ونفسى لكان لها على القدر الخيار

٨ - وقد أفضى الحال إلى ذكر خبر الكسعى الذى تمثل به الفرزدق فى الندامة، إذ
الحديث شجون، واللسان غير مسجون، وهو أنه خرج يرمى إبلاً له فى واد فيه حمض
وشوحط، فرأى قضيب شوحط نابتاً فى صخرة صماء ملساء، فقال: نعم منبت العود
فى قرار الجلمود، ثم أخذ سقاه فصب ما كان فيه من ماء فى أصله، فشربه لشدة
ظمئه، وجعل يتعاهده بالماء سنة حتى سبط العود وبسق واعتدل فقطعه، وجعل يقومه
ويقوم أوده حتى صلح، فبراه قوساً وهو يرتجز ويقول:

أدعوك فاسمع يا إلهى جرسى يا رب سدنى لنحت قوسى
وانفع بقوسى ولدى وعرسى فإنها من لذتى لنفسى
أنحتها صفراء لون الورد صلداً ليست كقسى النكس

ثم برى بقيته خمسة أسهم وهو يرتجز ويقول:

هن لعمري خمسة حسان يلى للرامى بها البنان
كأنها قوامها ميزان فأبشروا بالخصب يا صبيان
إن لم يعقنى الشؤم والحرام أو يرمنى بكيدة الشيطان

ثم أخذ قوسه وأسهمه، وخرج إلى مكمن كان مورداً لحمراً فى الوادى، فوارى
شخصه حتى إذا وردت رمى عيراً منها بسهم، فمرق منه بعد أن أنقذه، وضرب صخرة
فقدح منها ناراً، فظن أنه قد أخطأ، فقال:

أعوذ بالله العزيز الرحمن من نكد الجدمعاً والحرام

فأخلف اليوم رجاء الصبيان

ثم وردت حمر أخرى فرمى عيراً فصنع سهمه كالأول وظنه أخطأ، فقال:

أعوذ بالرحمن من شر القدر أأخطأ السهم لإرهاف الوتر
أم ذاك من سوء احتيال ونظر وإننى عهدى لرام ذو ظفر
مطعم بالصيد فى طول الدهر

ثم وردت حمر أخرى، فرمى عيراً منها بسهم ففعل سهمه كالأول وظنه أخطأ، فقال:

يا حسرتا للشؤم والجذ النكد قد شفى القوت لأهلى والولد
والله ما خلفت فى ذاك العمد لصعبتى من سبد ولا ليد
أذهب بالحرمان مع طول الأمد

ثم وردت أخرى حمر أخرى، فصنع كالأول، فقال:

ما بال سهمى يوقد الجباحبا وكنت أرجو أن يكون صائبا
إذ أمكن العير وأبدي جانباً وصار ظنى فيه ظناً كاذبا
وخفت أن أرجع يومى خائبا إذ أفلتت أربعة ذواهبا

ثم وردت أخرى فصنع كالأول، فقال:

أبعد خمس قد حفظت عدها أحمل قوسى وأريد ردها
أحزى الإله لينها وشدها والله لا تسلم عندى بعدها
ولا أرجى ما حييت ردها قد أعذرت نفسى وأبليت جهدها

ثم خرج من مكمنه، فاعترضته صخرة، فضرب بالقوس عليها حتى كسرها، ثم قال: أبيت ليلتى، ثم أتى أهلى، فبات، فلما أصبح رأى خمسة حمر مصرعة، ورأى أسهمه مضرجة بالدم، فندم على ما صنع، وعض على أنامله حتى قطعها وقال:

ندمت ندامة لو أن نفسى تطاوعنى إذا لقتلت نفسى
تبين لى سفاة الرأى منى لعمر الله حين كسرت قوسى
وقد كانت بمنزلة المفدى لدى وعند صبيانى وعرسى
فلم أملك غداً رأيت حولى حمير الوحش أن ضرجت خمسى

وقد روى فى طلاق الفرزدق غير هذا، وليس هذا موضع ذكره.

٩ - وروى الحاتمي فى كتاب حلية المحاضرة وغيره، قال: خرج جرير والفرزدق من العراق طالبى الرصافة لهشام بن عبد الملك وقد مدحاه، فلما كانا ببعض الطريق نزل جرير ليبول، فتلفتت ناقة الفرزدق، فضربها بالسوط وقال:

علام تلفتين وأنت تحتى وخير الناس كلهم أمامى
متى تردى الرصافة تستريحى من الأنساع والدبر الدوامى

ثم قال لرواتها: الساعة يجىء ابن المراغة، فأنشده البيتين، فينقضهما بأن يقول:

تلفت إنها تحت ابن قين إلى الكيرين والفأس الكهام
متى ترد الرصافة تحز فيها كخزيك فى المواسم كل عام

فرجع جرير فوجد القوم يضحكون، فقال: ما الخبر؟ فقال أحد الرواة: يا أبا حرزة، إن أخاك أبا فراس وقع له كيت وكيت، وأنشده البيتين الأولين، فارتجل البيتين الآخرين، فعجب القوم من ذلك الاتفاق، وقالوا: والله يا أبا حرزة لهكذا زعم أنك تقول، فقال: أو ما علمتم أن شيطاننا واحد.

١٠ - وروى أن معن بن أوس المزنى كان قد قدم البصرة وجلس بالمربد ينشد الناس، فوقف عليه الفرزدق، وقال: يا معن، من الذى يقول:

لعمرك ما مزينة رهط معن بأخفاف يطآن ولا سنام
فقال معن: هو الذى يقول:

لعمرك ما نميم أهل فلج بأرداف الملوك ولا كرام
فقال الفرزدق: حسبك، فإنما جربتك، فقال: قد جربت وأنت أعلم، فانصرف عنه الفرزدق.

١١ - وروى فى مثل هذا أن خلف بن خليفة الشاعر كان قد سرق، فقطعت يده، فصنع كفًا وأصابع من جلود، واتفق أن مر بالفرزدق فى بعض الأيام، فأراد العبث به، فقال: يا أبا فراس، من القائل:

هو القين وابن القين لا قين مثله لفتح المساحى أو لجدل الأدهم
فقال الفرزدق: هو الذى يقول:

هو اللص وابن اللص لا لص مثله لنقب جدار أو لطر دراهم

فانصرف مخزياً.

١٢ - وروى لنا عن عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - أنه قال: كنت فى مجلس عبد الملك والأخطل ينشده، إذ دخل الجحاف بن حكيم السلمى، فقطع الأخطل إنشاده والتفت إليه وقال:

ألا سائل الجحاف هل هو نائر بقتلى أصيبت من سليم وعامر
قال: فنفض الجحاف يده فى وجهه وقال:

نعم سوف ننكيهم بكل مهند وننكى عميراً بالرماح الشواجر
وكان ذلك عقب مقتل عمير بن الحباب، ثم قال: لقد ظننت - يا ابن النصرانية - أنك لا تجسر علىّ بهذا القول، ولو وجدتنى أسيراً فى يدك، فما برح الأخطل حتى حم، فقال له عبد الملك: أنا جارك منه، فقال: هبك أجزتنى منه يقظة، فمن يجيرنى منه مناماً، فضحك عبد الملك. قال على بن ظافر: وجرى هذا القول يوم البشر على تغلب.

١٣ - ومن ذلك ما رواه أبو عبيدة وابن عائشة من سؤال عبد الملك بن مروان عمر بن أبى ربيعة المخزومى عن مناقضته للفضل بن العباس اللهبى، وغلبة الفضل عليه، فقال عمر: نعم يا أمير المؤمنين بينا أنا جالس فى المسجد الحرام فى جماعة من قریش إذ دخل علينا الفضل بن عباس بن عتبة بن أبى لهب، فوافقنى وأنا أتمثل بهذا البيت:

وأصبح بطن مكة مقشعراً كأن الأرض ليس بها هشام
فأقبل علىّ وقال: يا أخا بنى مخزوم، إن بلدة نتج بها عبد المطلب، وبعث منها رسول الله ﷺ، واستقر بها بيت الله عز وجل لحقيقة بالأا تقشعر لهشام، وإن أشعر من هذا البيت وأصدق قول الذى يقول:

إنما عبد مناف جوهر زين الجوهر عبد المطلب
فأقبلت عليه وقلت: يا أخا بنى هاشم، وإن أشعر من صاحبك الذى يقول:

إن الدليل على الخيرات أجمعها أبناء مخزوم للخيرات مخزوم
فقال: أشعر والله من صاحبك الذى يقول:

جبريل أهدى لنا الخيرات أجمعها إذ أم هاشم لا أبناء مخزوم
فقلت فى نفسى: غلبنى والله، ثم حملنى الطمع فى انقطاعه على مخاطبتى، فقلت:

بل أشعر منه الذي يقول:

أبناء مخزوم الحريق إذا حركت نيرانه ترى ضرما
يخرج منه الشرار مع هب من حاد عن حره فقد سلما

فوالله ما تلعثم إلى أن أقبل بوجهه وقال: أشعر من صاحبك يا أخا بني مخزوم الذي يقول:

هاشم بحر إذا همى وطمى أحمده حر الحريق واضطرما
واعلم وخير المقال أصدقه بأن من رام هاشما هاشما

فقال: يا أمير المؤمنين، فتمنيت والله أن الأرض ساخت بي، ثم تجلدت وقلت: يا أخا بني هاشم، أشعر من صاحبك الذي يقول:

أبناء مخزوم أنجم طلعت للناس تجلو بنورها الظلما
تجود بالنيل قبل تسأله جوداً هنيئاً وتضرب البهما

فأقبل على أسرع من البرق، وقال: أشعر من صاحبك وأصدق الذي يقول:

هاشم شمس بالسعد مطلعها إذا بدت أخفت النجوم معا
اختار منها ربي النبي فمن قارعنا بعد أحمد قرعا

فاسودت الدنيا في عيني، وأدبر بي، وانقطعت فلم أحر جواباً، فقلت: يا أخا بني هاشم، إن كنت تفخر علينا برسول الله ﷺ، فما تسعنا مفاخرتك، فقال: كيف لا أم لك، والله لو كان منك لفخرت به عليّ، فقلت: صدقت وأستغفر الله، والله إنه لموضع الفخار ﷺ. وداخلني السرور لقطعه الكلام، ولثلا ينالني عجز عن إجابته فأنضج، ثم إنه ابتداء المناقضة فأفكر هنيهة، ثم قال: قد قلت فلم أجد بداً من الاستماع، فقلت: هات، فقال:

نحن الذين إذا سما لفخارهم ذو الفخر أفعده الزمان القعدد
فافخر بنا إن كنت يوماً فاحراً تلق الألى فخروا بفخرك أفردوا
قل يا ابن مخزوم لكل مفاخر منا المبارك ذو الرسالة أحمد
ماذا يقول ذوو الفخار هنا لكم هيهات ذلك هل ينال الفرقد

فحصرت وتبلدت وقلت: لك عندي جواب فأظنني، وأفكرت ملياً، ثم أنشأت

لا فخر إلا قد علاه محمد فإذا فخرت به فإنى أشهد
 أن قد فخرت وفقت كل مفاخر وإليك فى الشرف الرفيع المعمد
 ولنا دعائم قد بناها أول فى المكرمات جرى عليها المولد
 من رامها حاشا النبى وأهله بالفخر غطمطه الخليج المزيـد
 دع ذا ورح لغناء خود بضـة مما نطقـت به وغنى معبد
 مع فتية تندى بطون أكفهم جوداً إذا علج الحرون الأنكد
 يتناولون سلافة عانية لذت لشاربها وطاب المقعد

فوالله يا أمير المؤمنين لقد أجبني بجواب كان أشد على من الشعر، فقال: يا أبا بنى مخزوم، أريك السها وترينى القمر. قال أبو عبد الله اليزيدى: يريد: أدلك على الأمر الغامض وأنت لم تبلغ أن ترى الأمر الواضح، وهو مثل. ثم قال: تخرج من المفاخرة إلى شرب الخمر المحرمة، فقلت له: أما علمت - أصلحك الله - أن الله تعالى يقول فى الشعراء: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٦]، فقال: قد صدقت، وقد استثنى الله عز وجل قوماً منهم فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، فإن كنت منهم فقد دخلت فى الاستثناء واستحقت العقوبة بدعائك إليها، وإن لم تكن منهم فالشرك بالله عز وجل عليك أعظم من شرب الخمر، فقلت: أصلحك الله، لا أرى للمستجدى شيئاً أعظم من السكوت، فضحك وقال: أستغفر الله، ثم قام عنى، فضحك عبد الملك حتى كاد يموت، ثم قال: يا ابن أبى ربيعة، أما علمت أن لبنى عبد مناف السنة لا تطاق، ثم قضى حوائج عمر وصرفه. قال على بن زافر: وأحسب الحكاية مصنوعة؛ لأن أشعارها ضعيفة.

١٤ - وروى ورقاء العامرى أن الحجاج قال لليلى الأخيلية لما وفدت عليه: إن شبابك قد هرم فولى، واضمحل أمرك وأمر توبة بن الحمير، فأقسم عليك إلا ما صدقتنى، هل كان بينكما ريبة قط، أو خاطبك فى ذلك قط؟ فقالت: لا والله أيها الأمير، إلا أنه قال لى مرة كلمة فيها بعض الخضوع فقلت له:

وذى حاجة قلنا له لا تبج بها فليس إليها ما حييت سبيل
 لنا صاحب لا ينبغى أن نخونه وأنت لأخرى صاحب وخليـل

فى بدائع بدائه الأجابة ٢٣

فلا والله ما سمعت بعدها منه نعمة فيها ريبة حتى فرق الموت بيننا، فقال لها الحجاج: فما كان منه بعد ذلك؟ فقالت: وجه صاحباً له إلى حاضرنا فقال: إذا أتيت الحاضر من بنى عبادة بن عقيل، فاعل شرفاً، ثم اهتف بهذا البيت:

عفا الله عنها هل أبين ليلة من الدهر لا يسرى إلى خيالها
فلما فعل الرجل ذلك، عرفت المعنى فقلت له:

وعنه عفاريسى وأحسن حفظه عزيز علينا حاجة لا ينالها
١٥ - ومن ذلك ما روى أبو صالح الفزارى، قال: أقبل شقران مولى سلامان من البصرة بتمر قد امتاره، فلقية ابن ميادة الرماح بن أبرد، فقال: ما هذا الذى معك؟ قال: تمر امرته لأهلى يقال له: زُبّ رباح، فقال ابن ميادة:

كأنك لم تقفل لأهلك مرة إذا أنت لم تقفل بزب رباح
فقال شقران:

فإن كان هذا زبه فانطلق به إلى نسوة سود الوجوه قباح
فغضب ابن ميادة، وانحنى عليه بالسوط يضربه، ثم انصرف مغضباً.

١٦ - وكان المغيرة بن حبناء يهاجى زياداً الأعجم العقبسى، وكان بالمغيرة وضح، فقال فيه زياد يصف بياضه:

عجبت لأبيض الخصيين عبد كأن عجانه الشعرى العبور
فقيل له: يا أبا أمامة لقد شرفته، ورفعت من قدره، إذ تقول كأن عجانه الشعرى، فقال: أو هكذا ظنكم، لأزيدنه شرفاً ورفعة، ثم صنع فيه من قطعة، فقال:

لا تبصر الدهر منهم خارئاً أبداً إلا وجدت على باب استه قمرا
١٧ - واتفق أنهما اجتمعا يوماً بمجلس المهلب، فجرى بينهما مهاترة، فقال المغيرة لزياد:

أقول لخ وأنكر بعض ما بى ألم تعرف رقاب بنى تميم
فقال زياد:

بلى لعرفتهن مقصرات جباه مذلة وسببال لوم
فانقطع المغيرة.

٢٤ فى بدائع بدائه الأجابة

١٨ - ومن ذلك ما ذكره المدائنى قال: كان أرطاة بن شهية المرئى بهاجى الربيع بن قعب، فاجتمعا يوماً لمهاترة والمناقضة، فقال أرطاة للربيع:

لقد رأيتك عريانا ومؤتزرأً فما دريت أنثى أنت أم ذكر
فقال الربيع:

لكن شهية تدرى إذ أتيتكم على عرياء لما انحلت الأزر
فانقطع ابن شهية.

١٩ - ويروى - إن صح وجود مجنون بنى عامر - أنه لما تزوجت ليلى عظم ذلك عليه، واشتد همه وحزنه، وأراد ابن عم له سفرأً، وكان طريقه على منزل ليلى، فأتاه المجنون، وقال له: إذا مررت على منزل ليلى فارفع صوتك بهذا البيت قائلاً:

أما وجمال الله لو تذكرنى كذكرك ما تهنيت للعين مدمعا
فلما بلغ منزلها صنع ما سأله إياه، فخرجت ليلى إليه وقالت:

بلى وجمال الله ذكراً لو أنه تضمنه صلد الصفا لتصدعا
قال على بن ظافر: والصحيح أن هذين البيتين من قصيدة للصمة القشيري، ولكن نقلت هذه الحكاية من كتاب الأجابة للقمي.

٢٠ - روى الحسن بن صاعد السكونى، قال: حدثنى خولان الأسدى، قال: نزلنا على ماء يعرف بماء السيال، ونزل بجانب الماء حى آخر، فعلق رجل منا بامرأة من ذلك الحى، فلما أزمعنا الرحيل أخذ الرجل غلاماً منا فرواه هذا البيت، وهو:

وما بين ذا الحيين أن يتفرقا من الدهر إلا ليلة وضحاها
حتى حفظه، وقال له: قم بإزاء ذلك البيت الذى فيه الجارية وردد هذا البيت، واحفظ ما يرد عليك، ففعل الغلام، وكانت الجارية جالسة وفي حجرها رأس أخ لها كبير تفليه، وأخ لها صغير يصلح شيئاً، فقالت:

لقد كان فى عيش رضى لو أنه حوى حاجة فى نفسه فقضاها
فقال أخوها الصغير:

أما سمع الملقى لا در دره رسالة صب بالسلام نحاهما
فقال الكبير:

لحى الله من يلحى المحب على الهوى ومن يمنع النفس اللجوج هواها
ثم دعا بالرجل فزوجه إياها.

٢١ - وحدث المدائنى قال: كان بين يحيى بن زياد الحارثى وحماد الراوية ومعلى بن هبيرة، ما يكون مثله بين الشعراء والرواة من المنافسة، وكان معلى يجب أن يطرح حماداً فى لسان بعض الشعراء، قال حماد: فقال لى يوماً بحضرة يحيى بن زياد: أتقول لأبى عطاء السندى: قل: زج وجرادة ومسجد بنى شيطان؟

قال على بن ظافر: وكان أبو عطاء يرتضخ لكنة سنديّة يجعل فيها الجيم زائياً، والشين سيناً، والطاء والضاد ذالاً، والعين همزة، والحاء هاء - قال: قال حماد: فقلت: ما تجعل لى على ذلك؟ قال: بغلتى بسرجهما ولجامها، قلت: وعد لها على يدى يحيى بن زياد. ففعل، وأخذت عليه بالوفاء موثقاً، وجاء أبو عطاء فجلس إلينا، وقال: مرهباً مرهباً، هياكم الله، فرحبنا به، وعرضنا عليه العشاء فأبى، وقال: هل من نبيذ؟ فأحضرناه، فشرب حتى احمرت عيناه، فقلت له: يا أبا عطاء، طرح علينا رجل أبيتاً فيها لغز، ولست أقدر على إجابته، ففرج عنى، فقال: هات، فقلت:

أبن لى إن سئلت أبا عطاء يقينا كيف علمك بالمعانى
فقال مسرعاً:

خبير ألم فاسأل تزدنى بها دبا وآيات المثانى
فقلت:

فما اسم حديدة فى رأس رمح دوين الكعب ليست بالسنان
فقال:

هو الزز الذى إن بات ضيفا لقلبك لم يزل لك أولتان
فقلت: فرج الله عنك، تعنى الزج.

فما صفراء تدعى أم عوف كأن رجيلتيها منجلان
فقال:

أردت زرادة وأزن زنى بأنك ما قصدت سوى لسانى
فقلت: فرج الله عنك، وأطال بقاءك، تريد «جرادة»، و«أظن ظناً»، ثم قلت:

أعرف مسجداً لبنى تميم فويق الميل دون بنى أبان
فقال:

بنو سيطان دون بنى أبان كقرب أبىك من أبد المدان
قال حماد: ورأيت عينيه قد احمرتا وعرفت الغضب فى وجهه، فتخوفته فقلت: يا أبا
عطاء، هذا مقام المستجير بك، ولك النصف مما أخذت، قال: فاصدقنى، فأخبرته الخبر،
فقال: أولى لك، قد سلمت وسلم لك جعلك، وانقلب يهجو معلى بن هبيرة، فأفحش.
وروى العسكرى هذه الحكاية على غير هذا السياق، فذكر أن حماد الرواية وحماد
عجرد وحماد بن الزبيرقان وبكر بن مصعب الزهرى اجتمعوا فقالوا: لو بعثنا إلى أبى
عطاء السندى - ولم يذكر السبب الذى من أجله اقترح حماد على أبى عطاء ما اقترح -
وذكر البيت الثانى:

تزدنى - والقران - بها عليما بصيراً بالمقاطع والمبانى
وذكر البيت الثالث:

فما اسم حديدة فى رأس رمح دوين الصدر ليست بالسنان
وذكر البيت الثامن:

وذلك مسزداً أنساه قدما بنو سيطان مأرروف المكان
٢٢ - مدح بشار بن برد يعقوب بن داود وزير المهدي، فلم يعبا به وحرمه، فوفد
عليه، وطال مقامه ببابه وهو لا يأذن، فأحس به فى بعض الأيام، فرفع بشار صوته
فأنشد:

طال الوقوف على رسوم المنزل
فأجابه يعقوب مسرعاً:

فلإذا تشاء أبا معاذ فارحل
فرحل بشار، فهجاه بقوله فيه وفى المهدي:

بنى أمية هبوا طال نومكم إن الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين النأى والعود

هم حملوا فوق المنابر صالحا أذاك فضجت من أذاك المنابر
فلما اشتهر هجاؤه دخل يعقوب على المهدي فقال: يا أمير المؤمنين، إن هذا المشرك
هجاك بما لا أستطيع أن أذكره، فلم يزل المهدي به حتى كتب له قوله:

خليفة يزنى بعماته يلعب بالدبوق والصولجان
أبدلنا الله به غيره ودس موسى فى حر الخيزران

فجر ذلك إلى قتل بشار بن برد.

٢٤ - وذكر أبو الفرج الأصبهاني فى كتاب القيان والمغنين، قال: كانت بالكوفة
جارية مغنية يقال لها: سعاد جارية السكونى، وكان مولاها من الظرفاء وفتيان طبقتة،
مروءة وحسن عشرة ومساعدة، فحضرت سعاد فى مجلس فيه مطيع بن إياس وحماد
عجرد، فقال مطيع:

قبلنى سعاد بالله قبله واسألنى بها - فديتك - نحلته
فورب السماء لو قلت صل لوجهى جعلت وجهك قبله

فقال الجارية لحماد: أكفينه يا عم، فقال يجيبه بديهاً:

إن خلا لها سواك وفيا لا غدوراً بها ولا فيه مله
لا يباع التقبيل بيعاً ولا ير شى ولا يجعل التعاشق عليه

فقال له مطيع: هذا هجاء، وما أرادت الجارية هذا كله، ولقد اشتفيت منى على
لسان غيرك، فقالت الجارية - وكانت ظريفة بارعة: صدق، ما أردنا أن نسه، فقال
حماد:

أنا والله أشتهى من ك بئذ والبذل فى ذاك حله
فأجيبى وأنعمى وخذى البذل ل وأطفى لعاشق منك غله

قال: فرضى مطيع وخجلت الجارية، وقالت: أنا عائذة بكما من شركما فاكفيايه،
وخذاً فيما جئتما له.

فجاء رجل كان يقول الشعر إلى حماد، فقال له:

أعنى من غنثاك بيت شعر على فقري لعثمان بن شيبه
فقال حماد مسرعاً:

فإنك إن رضيت به خليلاً ملأت يدك من فقر وخيبه
فقال له الرجل: جزاك الله خيراً، فقد عرفتنى من أخلاقه ما قطعنى عنه، وصنت ماء
وجهى عن بذله.

٢٦ - وروى إسماعيل بن يحيى اليزيدى، عن أبيه قال: كنت جالساً أكتب كتاباً،
فنظر فيه سلم الخاسر، فقال:

أير يحيى أخط من كف يحيى إن يحيى بأيره لخطوط
قال: فقلت مسرعاً:

أم سلم أدرى بذلك منه إنها تحت أيره لضرورت
ولها تحته إذا ما علاها أزملمن ودأقها وأطيط
ليت شعرى ما بال سلم بن عمرو كاسف البال حين يذكر لوط
لا يصلى عليه حين نصلى بل له عند ذكره تثبيط

٢٧ - وذكر أبو مروان صاحب كتاب المقتبس فى أبناء أهل الأندلس أن أبا
المخشى عاصم بن زيد بن يحيى بن يحيى بن حنظلة بن علقمة بن عدى بن زيد بن حماد
العبادى شاعر الأندلس فى زمانه، كان خبيث اللسان، كثير الهجاء، وهو الذى قطع
هشام بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان لسانه؛ لأنه
عرض به فى قصيدة مدح بها أخاه أبا أيوب المعروف بالشامى، وكان بين الأخوين
تباعد مفراط، والبيت الذى عرض فيه قوله:

وليس كمن إذا ما سيل عرفا يقلب مقلّة فيها اعورار

وكان هشام فى إحدى عينيه نكتة بياض كجد أبيه هشام بن عبد الملك، ثم اتفق
لأبى المخشى أن مدح هشاماً ووفد عليه على ماردة، وهو يومئذ يتولى حربها لأبيه، فلما
مثل بين يديه قال له: يا عاصم، إن النساء اللاتى هجوتهن لمعاداة أولادهن وهتكت
أستارهن، قد دعون عليك، فاستجاب الله لهن، فبعث عليك منى من يدرك منك ثأرهن
وينتقم لهن، ثم أمر به فقطع لسانه، ثم نبت بعد ذلك وتكلم به. وكان أبو المخشى هذا

٢٩ فى بدائع بدائه الأجابة
يسكن بوادى شوس، وكان بينه وبين ابن هبيرة مهاجاة شديدة، فاجتمعنا يوماً
للمناقضة فيه، فقال له ابن هبيرة وعيره بأن نسبه إلى النصرانية لأجل أن آباءه كانوا
نصارى بقوله:

أقلفتك التى قطعت بشوش دعتك إلى هجائى وانتقالى
الانتقال: الشتم، فقال أبو المخشى مسرعاً:

سألت وعند أمك من ختانى جواب كان يغنى عن سؤالى
فقطعه.

وعلى ذكر أبى المخشى وقطع لسانه، كان مالك رضوان الله عليه يفتى فىمن قطع
لسان رجل عمداً بقطع لسانه من غير انتظار، ثم رجع لما انتهت إليه قصة أبى المخشى،
وأنه نبت لسانه بعد أن قطع بمقدار سنة، وأنه تكلم به، فقال: ينتظر سنة، فقد ثبت
عندى أن رجلاً بالأندلس نبت لسانه بعد أن قطع فى نحو هذه المدة.

٢٨ - ونقلت من خط الفقيه أبى محمد عبد الخالق المسكى، قال بشار لعنان:

عنان يا منيتى ويا سكنى أما ترينى أجول فى سككك
حرمت منك الوفا معذبتى فعجلى بالسجل من صككك
إنى ورب السماء مجتهد فى حل ما قد عقدت من تككك
فقال مجاوبة له:

لم يبق مما تقول قافية يقوها قائل سوى عككك
فقال:

بلى وإن شئت قلت فيشلة تسكن الهائجات من حككك
قال على بن ظافر: عنان لم يدركها بشار، وإنما كان يشاغبها أبو نواس، ولهما فى
مثل هذا أخبار كثيرة، وهذه القافية مما يعايا به.

٢٩ - كان بمصر رجل زجلى كثير الوسخ، فذر الجلد والثوب، لا تكاد تفارقه
قفة فيها كراريس، يعرف بالمفشراتى، ويلقب أديب القفة، وكان يصنع مقامات
مضحكة فيها غرائب وعجائب، يزعم أنه يضاهى بها مقامات الحريرى، وكان يقول:
أنا موازنه فى كل شىء حتى فى اسمه ولقبه، هو أبو القاسم محمد، وأنا أبو القاسم محمد،
وهو ابن على، وأنا ابن على، وهو الحريرى، وأنا الحريرى، وهو البصرى، وأنا المصرى،

٣٠ فى بدائع بدائه الأجابة

ويجعل هذا من أوضح البراهين وأقوى الأدلة على مساواته فى كل قصيدة، ومما أنشدنيه لنفسه - وأنا أذكره على سبيل الإطراف، فلقد كان عجيب الشأن - قوله:

يا ساجماً فى بركك وصائداً فى شببك
لا تحقن ككتى فككتى كككتك

والككة: مركب من مراكب صعيد مصر ليس فيها مسمار.

٣٠ - وروى أن أبا نواس خرج يوماً وهو مخمور إلى الكناسة فاستقبله أعرابى

ومعه غنم، فقال أبو نواس:

أيا صاحب الذود اللواتى تسوقها بكم ذلك الكبش الذى قد تقدما
فقال الأعرابى:

أبيعكه إن كنت تبغى شراءه ولم تك مزاحا بعشرين درهما
فقال أبو نواس:

أخذت هداك الله رجعى جوابنا فأحسن إلينا إن أردت تكرما
فقال الأعرابى:

أحط من العشرين خمسا لأننى أراك ظريفا أخرجنها مسلما
فقيل للأعرابى: أتدرى من يكلمك منذ اليوم؟ فقال: لا، فقيل: أبو نواس، فرجع
فلحقه، وحلف بصدقة غنمه إن لم يقبله.

٣١ - وروى أنه مر أعرابى ومعه نعجة وكبش وجمل صغير، فقال أبو نواس لمن

معه: ما رأيكم فى تخجيله؟ فقالوا له: افعل، فقال:

بكم النعجة التى خلفها الكبش والجمل
فقال الأعرابى:

بثلاثين درهما جددأ أيها الأجل

٣٢ - وروى أنه دخل على عنان، فكتب رقعة ونالوها إياها، فإذا فيها:

ماذا تقولين فىمن يريد منك نظيره

في بدائع بدائه الأجوبة ٣١
فكتبت تحتها عجلة:

إيأى تعنى بهذا عليك فاجلد عميره
ثم ناولته الرقعة فكتب تحتها عجلًا:

أريد هذا وأخشى على يدى منك غيره
فخجلت وقالت: تعست وتعس من يغار عليك.

٣٣ - وروى الجماز أنه دخل عليها قبل تعارفهما، فأنشد:

إن لى أيبراً خبيثاً عارم الرأس فلوتوا
لو رأى الحر ببحر عباد للغلطة حوتوا
أو رآه فسوق جوو لنزى حتى يموتوا
أو رآه جوف بيت صار فيه عنكبوتوا
فقال ارتجالاً:

زوجوا هذا باللف وأظن الألف قوتوا
إننى أخشى عليه إن تمادى أن يموتوا
بادروا ما حل بالمس كين خوفاً أن يفوتوا
قبل أن ينعكس الحامل فلا يأتى ويوتى
فعجب الحاضرون منهما، واستظرف كل منهما صاحبه، ودامت صحبتها بعد ذلك.

٣٤ - وروى المدائنى قال: اجتمع أبو نواس وإسماعيل بن نوبخت وأبو الشمقمق
فى بيت ابن أذين - قال على بن ظافر: هو أبو عبد الله الجماز - فبينما هم عنده، إذ
جاء أبو العتاهية يسأل عن ابن أذين - وكان بينه وبين أبى الشمقمق شر، فخبثوه من
أبى العتاهية فى بيت، ودخل أبو العتاهية، فنظر إلى غلام عندهم فيه تأنيث، فظنه
جارية، فقال لابن أذين: متى استظرفت هذه؟ فقال: قريباً يا أبا إسحاق، فقل فيها شيئاً،
فمد أبو العتاهية يده إلى الغلام وقال:

مددت كفى نحوكم سائلاً ماذا تردون على السائل
فصاح أبو الشمقمق من داخل البيت قائلاً:

يرد فى كفك ذا فيشة تشفى جوى فى أستك من داخل
فقام أبو العتاهية مغضباً، وهو يطلب الباب، ويقول: أبو الشمقمق والله، وضحك

القوم حتى كادوا يهلكون.

٣٥ - وذكر الخالديان فى كتاب أخبار مسلم بن الوليد هذه الحكاية، وذكرها غيرهما بأبسط مما ذكرها، فكتبتها بلفظ الأكثر.

قال دعبل بن على الخزاعى: بينما أنا بباب الكرخ، إذ أنا بفتاة تسمى قره، معروفة بظرف وجمال وشعر وأدب وغناء، وقد اجتازت، فتعرضت لها وقلت:

دموع عينى لها انبساط ونوم عينى به انقباض
فقلت:

وذا قليل لمن دهته بسحرها الأعين المراض
فقلت:

فهل لمولاي عطف قلب أو للذى فى الحشى انقراض
فقلت مسرعة من غير تلبث:

إن كنت تبغى الوصال منا فالوصل فى ديننا قراض
قال دعبل: فلا أعلم أنى خاطبت جارية تقطع الأنفاس بعدوية ألفاظها، وتختلس الأرواح ببلاغة منطقتها، وتذهل الألباب برخيم نغمها، مع تلاعة جيد، ورشاقة قد، وكمال عقل، وبراعة شكل، واعتدال خلق، قبلها، فحار والله البصر، وذهل اللب، وجل الخطب، وتلجلج اللسان، وتعلقت الرجلان، وما ظنك بالهلفاء أدنيت من النيران. ثم ثاب إلى عقلى، وراجعنى حلمى، وذكرت قول بشار:

لا يؤيسنك من مخبأة قول تغلظه وإن جرحا
عسر النساء إلى مياسرة والصعب يمكن بعدما جمحا
هذا لمن حاول ما دون الطمع فيه اليأس منه، فكيف بمن وعد دون المسألة، وبذل قبل الطلبة فنقلها من تلك القافية، وقلت:

أترى الزمان يسرنا بتلاق ويضم مشتاقا إلى مشتاق
فقلت مسرعة:

ما للزمان تقول فيه وإنما أنت الزمان فسرنا بتلاق
قال دعبل: فاستبعتها - وذلك فى زمن إملاقي - فقلت: ليس لى إلا بيت مسلم بن

في بدائع بدائه الأجوبة ٣٣
الوليد صريع الغوانى، فصرت إلى بابه، فاستوقفتها وناديتها، فقلت: أحمل إليك الخير،
معى وجه مليح، تقل له الدنيا بما فيها، مع ما أنا فيه من ضيقة وعسر، فقال: والله لقد
شكوت ما كدت أبادرك بشكواه، إيت بها.

فلما دخلت قال: والله ما أملك سوى هذا المنديل، فقلت: هو البغية، ناولنيه، فقال:
خذه، لا بارك لك الرحمن فيه. فأخذته فبعته بدينار وكسر، واشترت به لحماً وخبزاً
ونبيذاً، ثم صرت إليهما، فإذا هما يتساقطان حديثاً كأنه الدر، فقال: ما صنعت؟
فأخبرته، فقال: كيف يصلح طعام وشراب وجلس مع وجه مليح بغير نقل ولا ريجان
ولا طيب، اذهب فألطف بتمام ما كنت فى أوله.

قال: فخرجت، فاضطربت فى ذلك حتى أتيت به، فألفيت باب الدار مفتوحاً،
فدخلت فلم أر لهما ولا لشيء مما كنت جئت به أثراً، فأسقطت فى يدى، وقلت: أرى
صاحب الربيع أخذهما، وبقيت متلهفاً حائراً، أرجم الظن وأجيل الفكر سائر يومى،
فلما أمسيت قلت فى نفسى: أفلا أدور فى البيت لعل الطلب يوقعنى على أثر،
ففعلت، ووقعت على سرداب، وإذا بهما قد نزلا فيه، وأنزلا معهما ما احتاجا إليه،
فلما أحسست بهما دليت رأسى، ثم صحت: مسلم، ثلاثاً، فكان من إجابته أن غرد
بصوته وقال:

بت فى درعها وبات رفيقى جنب القلب طاهر الأطراف

قال دعبل: فقلت: ويلك من يقول هذا؟ قال:

من له فى حر أمه ألف قرن قد أنافت على علو مناف

قال: فضحكا ثم سكتا، واستجلبت كلامهما، فلم يجيبانى بشيء، وباتا فى لذتهما،
وبت ليلة يقصر عمر الدنيا عن ساعة منها طويلاً وغماً وهمماً، حتى أصبحت ولم أكد.
فخرج إلى مسلم وهى معه، فجعلت أشتمه وأفترى عليه، فلما أكثرت قال: يا أحمق،
منزلى دخلت، ومنديلى بعث، ودراهمى أنفقت، فعلى من تثرب يا قواد، فقلت: مهما
كذبت علىّ، فما كذبت فى الحمق والقيادة، وانصرفت وتركتهما.

٣٦ - وذكر صاحب كتاب نجباء الأبناء أن الرشيد اطلع من مستشرف له على
قصره، فرأى ولده عبد الله المأمون يكتب على حائط وهو صغير، فقال للخادم: انطلق
حتى تنظر ماذا يكتب عبد الله، واحرص على ألا يفطن لك، فذهب الخادم فتسلل حتى

٣٤ فى بدائع بدائه الأجابة

قام من خلفه، وهو مقبل على الحائط، فنظر وعاد إلى الرشيد، فأخبره أنه كتب:

قل لابن حمزة ما ترى فى زيـرياج محكمه

قال الخادم: إني تسللت عليه، حتى قمت من خلفه وهو لا يعلم لغلبة الفكر عليه، فقال له الرشيد: ارجع فسله عما يكتب، فسيقول لك: إني مفكر فى التميم على هذا البيت، فقل له: اكتب تحته:

قال ابن حمزة يا بنى هزلت مجترئاً فمه

فانطلق الخادم إلى الرشيد فكان ما ظنه الرشيد، ففعل الغلام ما أمره به، فأطرق المأمون قليلاً، ثم قال: لولا أنك مأمور لم تنج من يدي. فرجع الخادم إلى الرشيد فأخبره، فقال: نجوت. ثم دعا على بن حمزة الكسائي وقال له: من أين علم عبد الله أن الخادم مأمور؟ فقال الكسائي: علمه من قوله: هزلت مجترئاً فمه، إذ كان الخادم لا يقدر على مخاطبته بذلك إلا عن أمر.

٣٧ - وذكر أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري فى كتاب الوزراء قال: ذكر أبو

الفضل بن عبد الحميد فى كتابه أن الأحوال المحرر شخص مع محمد بن يزداد عند شخص المأمون إلى دمشق، وأنه شكاً يوماً إلى أبى هارون خليفة محمد بن يزداد الوحده والغربة وقلة ذات اليد، وسأله فى أن يسأل له ابن يزداد أن يكلم المأمون فى أمره فيبره بشيء، ففعل أبو هارون ذلك، ورأى محمد بن يزداد من المأمون طيب نفس، فكلمه له وعطفه عليه، فقال له المأمون: أنا أعرف الناس به، إنه لا يزال بخير ما لم يكن معه شيء، فإذا رزق فوق القوت بذرة أفسده ذلك، ولكن قد أمرنا له - لشفاعتك - بأربعة آلاف درهم، فدعا ابن يزداد بالأحوال، فعرفه بما جرى ونهاه عن الفساد، وأمر له بالمال، فلما قبضه ابتاع غلاماً بمائة دينار، واشترى سيفاً ومتاعاً، وأسرف فيما معه، حتى لم يبق معه شيء، فلما رأى الغلام ذلك أخذ كل ما كان فى بيته وهرب، فبقى عرياناً بأسوأ حال، فجاء إلى أبى هارون خليفة محمد بن يزداد فأخبره، فأخذ أبو هارون نصف طومار فكتب فى آخره:

فر الغلام فطار قلب الأحوال وأنا الشفيـع وأنت خير مؤمل

ثم ختمه وقال له: امض إلى محمد بن يزداد، فمضى وأوصله إليه، فلما رآه محمد قال له: ما فى كتابك؟ قال: لا أدري، قال: وهذا من حمك، تحمل كتاباً لا تدري ما فيه، ثم فضه فلم ير شيئاً، فجعل ينشره وهو يضحك، حتى انتهى إلى آخره، فوقف على البيت

لولا تعبت أحول بغلامه كان الغلام ربيطة في المنزل
ثم ختمه وناوله إياه، وأمره أن يرده إلى خليفته، فقال: الله الله في، جعلني الله
فدائك، ارحمني من الحالة التي قد صرت إليها، فرق له ووعدته أن يكلم المأمون، فكلمه
وشرح له الحال، ووصف له ضعف عقل الأحول ووهي عقده، فأمر المأمون
بإحضاره، فلما مثل بين يديه قال له: يا عدو الله تأخذ مالي وتشترى به غلاماً حتى يفر
منك، فارتاع لذلك وتلجلج لسانه، فقال: جعلني الله فدائك، ما فعلت، فقال: ضع يدك
على رأسى واحلف أنك لم تفعل، فارتاع، وجعل ابن يزداد يأخذ بيده لذلك، والمأمون
يضحك ويشير إليه أن ينحيا، ثم أمر بإجراء رزق واسع له كل شهر، ووصله مرة بعد
مرة حتى أغناه الله؛ لأنه كان يعجبه خطه.

٣٨ - أنبأنا الفقيه الحافظ التقى أبو محمد عبد الخالق المسكى إجازة، أنبأنا الحافظ
السلفى إجازة، أنبأنا أبو محمد جعفر بن أحمد السراج اللغوى، وابن بعلان الكبير، قالوا:
أنبأنا أبو نصر عبيد الله بن سعيد السجستاني الحافظ، قال: أخبرنا النجيرمى أبو
يعقوب، حدثنا المهلبى، قال: لما حضرت المأمون الوفاة جلست عند رأسه جارية كان
بها مشغوقاً، وقد أخذته غشية، فجعلت تبكيه وأنشأت تقول:

يا ملكا لست بناسيه وليتنى بالنفس أفديه
فأفاق من غشيته ونظر إليها وأنشأ يقول:

باكيتى من جزع أقصرى قد غلق الرهن بما فيه
٣٩ - ومن حسن الجواب بالشعر بديهاً ما روى طماس قال: جاء ابن دنقش
الحاجب إلى دار محمد بن عبد الملك الزياد يستدعيه، وقد كان المعتصم طلبه، فدخل
المجلس ليلبس ثيابه، فرأى ابن دنقش فى صحن الدار غلاماً له روفة، فقال - وهو يظن
أن محمد بن عبد الله لا يسمعه -:

وعلى اللواط فلا تلومن كاتباً إن اللواط سجية الكتاب
فقال محمد مسرعاً:

وكما اللواط سجية الكتاب فكذا الحلاق سجية الحجاب
فاستحيا ابن دنقش واعتذر بأن هذا شئ جرى على لسانه من غير قصد، فقال له

محمد بن عبد الملك: إنما يحسن الاعتذار، إذا لم يقع القصاص.

٤٠ - وذكر الصولى فى كتاب الوزراء قال: حدثنا محمد بن موسى اليزيدى، قال: دخل الحسن بن وهب على محمد بن عبد الملك وهو فى بستان، وأقبل غلام لمحمد بن عبد الملك حسن الوجه، فقال للحسن: أجز:

كيف ترى هذا الغلام الذى أقبل يحكى البدر فى المطلع
فقال الحسن:

لا تسألنى يا أبا جعفر عن مثله فى مثل ذا الموضع
فقال أبو الجهم أحمد بن سيف وكان حاضراً:

أتيت والله بها جملة وخيمة المريع والمرتع
فقال الحسن يعرض بأبى الجهم:

إذا ما حامت العقبان يوماً تسترت الجوارح بالغياض
فقال أبو الجهم يجيبه:

ألم يخفق فؤادك يا ابن وهب لذكرى دون رميك فى عراضى
وهل ثبتت عقاب فى مكان إذا نسر تحامل فى انقضاض
فأقسم عليهما محمد بأن يمسكا، وأقبل يردد بيت الحسن الذى أوله: لا تسألنى، فقال
الحسن:

نعم وإن أحببت يا سيدى فسرت ما أجملته فاسمع
فقال محمد:

إن كنت تهواه فخذة فقد جدت لك الآن به فاقطع
فقال الحسن:

إن كنت تهوى الصدق فأذن له يخرج إذا حان خروجى معى
قال: اخرج معه يا غلام فأنت له.

٤١ - وروى على بن الجهم قال: كنت يوماً عند فضل الشاعرة، فلحظتها لحظة

رابتها، فقالت:

يا رب رام حسن تعرضه يرمى ولا أشعر أنى غرضه
فقلت:

أى فتى لحظك ليس يمرضه وأى عهد محكم لا ينقضه
فضحكت وقالت: خذ فى غير هذا الحديث.

٤٢ - وكان أبو الفضل بن المضاء أحد أمراء بنى الأغبل يخضب، فأنشده يوماً أبو
شراحيل شريح بن عبد الله بن غانم بن العاص يعرض به:

لعمرك ما الخضاب إذا تولى شباب المرء إلا كالسراب
فقال يعقوب يحييه بديهاً:

٤٣ - وذكر الصولى فى كتاب الوزراء: حدثنى محمد بن العلاء السجزي قال:
دخل أبو ناضرة إلى عبيد الله بن سليمان فقال:

أيطعن فى جملة الظاعنين غداً أم يقيم أبو ناضره
فقال الوزير:

يقيم يقيم على رغمه وتحلق لحيته الوافره
فقال عبيد الله بن الفرغ كاتب سر عبد الله سرّاً:

٤٤ - وذكر أبو عبد الله التنوخى فى كتاب نشوار المحاضرة قال: حدثنى محمد بن
الحسن البصرى، قال: حدثنى الهمدانى الشاعر، قال: قصدت ابن الشملغانى فى ما درايا،
فأنشدته قصيدة قد مدحته بها، وتأنقت فيها وجودتها، فلم يحفل بها، فكنت أغاديه كل يوم،
وأحضر مجلسه إلى أن يتقوض الناس، فلا أرى للثواب طريقاً، فحضرت يوماً، وقد احتشد
مجلسه، فقام شاعر، فأنشد نونية، إلى أن بلغ فيها إلى بيت هو:

فليت الأرض كانت ما درايا وليت الناس آل الشلمغانى
فعن لى فى هذا الوقت هذا البيت، فقامت إليه مسرعاً:

إذا كانت بطون الأرض كنفنا وكل الناس أولاد الزوانى
فضحك وأمرنى بالجلوس، وقال: نحن أحوجناك لهذا، وأمر لى بجائزة سنية، فأخذتها

٤٥ - وكان أبو عمر أحمد بن عبد ربه صديقاً لمحمد بن يحيى بن القلظاى الشاعر، ثم فسد ما بينهما وتهاجيا، وكان سبب الفساد بينهما أن ابن عبد ربه مر يوماً، وكان فى مشيته اضطراب، فقال: يا أبا عمر، ما علمت أنك أدر إلا اليوم لما رأيت مشيتك، فقال له ابن عبد ربه: كذبتك عرسك أبا محمد، فعز على القلظاى كلامه، وقال له: أتعرض للحرى والله لأرنيك كيف الهجاء، ثم صنع قصيدة أولها:

يا عرس أحمد إنى مزعم سفرا فود عينى سراً من أبى عمرا
ثم تهاجيا بعد ذلك، وكان القلظاى يلقبه بطلاس؛ لأنه كان أطلس لا لحية له، ويسمى كتابه العقد جبل القوم، فاتفق اجتماعهما مرة عند بعض الوزراء، فقال الوزير للقلظاى: كيف حالك اليوم مع أبى عمر؟ فقال مرتجلاً:

حال لى طلاس عن رائه وكنت فى قعدد أبنايه
فبادره ابن عبد ربه، فقال:

إن كنت فى قعدد أبنايه فقد سقى أمك من مائه
فانقطع القلظاى خجلاً.

٤٦ - أبناى الشيخ النبىه الفقيه أبو الحسن على بن الفضل المقدسى، عن الفقيه أبى القاسم مخلوف بن على القيروانى، عن أبى عبد الله بن أبى نصر بن عبد الله الحميدى، قال: أخبرنى أبو محمد على بن أحمد الفقيه بن حزم، قال: أخبرنى الحسن على بن محمد بن أبى الحسن، قال: وجدت بخط أبى قال: أمرنا الحاكم المستنصر بالله بمقابلة كتاب العين للخليل بن أحمد مع أبى على إسماعيل بن القاسم البغدادى وابنى سعيد فى دار الملك التى بقصر قرطبة، وأحضر من الكتاب نسخاً كثيرة فى جملتها نسخة القاضى منذر بن سعيد التى رواها بمصر عن ابن ولاد، فمر لنا صدر من الكتاب بالمقابلة، فدخل علينا المستنصر فى بعض الأيام فسألنا عن النسخ، فقلنا له: إن نسخة القاضى التى كتبها بخطه محرفة، وأريناه مواضع مغيرة وأبياتاً مكسورة، وأسمعناه ألفاظاً مصحفة ولغات مبدلة، فعجب من ذلك وسأل أبا على، فقال له نحو ذلك، واتصل المجلس بالقاضى، فكتب إلى المستنصر رقعة فيها:

جزى الله الخليل الخير عنا بأفضل ما جزى فهو المجازى

وما خطأ الخليل سوى المغيلى وعضروطين فى دار الطراز
فصار القوم زريفة كل زار وسخرية وهزأة كل هاز
فلما دخلنا على المستنصر قال لنا: أما القاضى فقد هجاكم، وناولنا الرقعة بخط
القاضى - وكانت تحت شىء بين يديه - فقرأناها وقلنا: يا مولانا نحن نجل مجلسك
الكريم عن انتقاص أحد فيه، لا سيما مثل القاضى فى سنه ومنصبه، فإن أحب مولانا
أن يقف على حقيقة ما استدركناه فليحضره وليحضره الأستاذ أبا على، ثم نتكلم على
كل كلمة استدركناه عليه، فقال: قد ابتدأكم والبادى أظلم، وليس على من انتصر
لوم، قال أبى: فمددت يدي إلى الدواة وكتبت بين يديه:

ولقد ناجزت قرناً ذا فجاز	هلم فقد دعوت إلى البراز
أسود الغلب تخطو باحتفاز	ولا تمس الضراء فقد أثرت الـ
بماضى الحد مصقول جراز	وأصحر للقاء تكن صريعاً
لجهلك بالحقيقة والمجاز	رويت عن الخليل الوهم جهراً
يداك على مفاخره العزاز	دعوت له بخير ثم أخنت
أسافلها ستجزيك الجوازي	تهدمها وتجعل ما علاها
جزاء الخير فهو له مجازى	جزى الله الإمام العدل عنا
وشرف طالبه باعزاز	به وريت زناد العلم قدماً
وإظلاماً بنور ذى امتياز	وجلّى عن كتاب العين دجنا
وأخذان بناحية الطراز	بأستاذ اللغات أبى على
من التصحيف فى ظل احتراز	بهم صح الكتاب وصيروه

قال الحميدى: وأسقطنا نحن منها أبياتاً تجاوز الحد فيها. قال: ثم أنشدتها المستنصر
بالله فضحك وقال: قد انتصرت وزدت، وأمر بها فختمت ثم وجه بها إلى القاضى فلم
تسمع له بعد كلمة.

٤٧ - أنبأنا الفقيه أبو محمد عبد الخالق المسكى قال: نزلت من قرافة مصر أودع
الشيخ الأجل أبى الحسين بن جبير، فقال لى: كنت على الجىء إليك، فقلت: همة سيدنا
هى التى أتت بى، فسألنى عن القرافة، فقلت: هى موضع يصلح للخير والشر، من طلب
شيئاً وجدته، فقال: خذ هذه الحكاية، قال لى بعض مشايخنا عن ابن الفرضى: كنت فى

موضع يتفرج فيه، وبت به، ثم أقبلت باكرًا منه، فلقينى بعد من يقرأ على، فقال:

من أين أقبلت يا من لا نظير له ومن هو الشمس والدنيا له فلك
فأجبتة مسرعًا:

من موضع تعجب النساك خلوته وفيه ستر على الفتاك إن فتكوا

٤٨ - قال بديع الزمان الهمداني: كنت عند الصاحب كافي الكفاة أبى القاسم
إسماعيل بن عباد يومًا، وقد دخل عليه شاعر من شعراء العجم، فأنشده قصيدة يفضل
فيها قومه على العرب، وهى:

غينا بالطبول عن الطلول	وعن عنس عذافرة ذمول
وأذهلنى عقار عن عقار	ففى أست أم القضاة مع العذول
فلست بتارك إيوان كسرى	لتوضح أو لحومل فالدخول
وضب بالفلا ساع وذئب	بها يعوى وليث وسط غيل
يسلون السيوف لرأس ضب	حراشًا بالغداة وبالأصيل
إذا ذبحوا فذلك يوم عيد	وإن نحروا ففى عرس جليل
أما لو لم يكن للفرس إلا	نجار الصاحب القرم النبيل
لكان لهم بذلك خير فخر	وجيلهم بذلك خير جيل

فلما وصل إلى هذا الموضع من إنشاده، قال له الصاحب: قدك. ثم أشرب ينظر إلى
الزوايا وأهل المجلس - وكنت جالسًا فى زاوية من البهو فلم يرنى - فقال: أين أبو
الفضل؟ فقمتم وقبلت الأرض وقلت: أمرك، قال: أجب عن ثلاثتك، قلت: وما هى؟
قال: أدبك، ونسبك، ومذهبك، فأقبلت على الشاعر فقلت: لا فسحة للقول ولا راحة
للطبع إلا السرمد كما تسمع، ثم أنشأت أقول:

أراك على شفا خطر مهول	بما أودعت لفظك من فضول
تريد على مكارمنا دليلا	متى احتاج النهار إلى دليل
ألسنا الضارين جزى عليكم	وإن الجزى أولى بالذليل
متى قرع المنابر فارسى	متى عرف الأغر من الحجول
متى عرفت - وأنت بها زعيم -	أكف الفرس أعراف الخيول
فخرت بملء ماضغتيك هجرًا	على قحطان والبيت الأصيل
وتفخر أن مأكولا ولبسًا	وذلك فخر ربات الحجول
ففاخرهن فى خد أسيل	وفرع فى مفارقتها رسيل

٤١ فى بدائع بدائه الأجوبة

وأعجد من أيبك إذا تزيبا عراة كالليوث على الخيول

قال: فلما أتممت إنشادى التفت إليه الصاحب، وقال له: كيف رأيت؟ قال: لو سمعت به ما صدقت، قال: فإذا جازتك جوازك، إن رأيتك بعدها ضربت عنقك. ثم قال: لا أرى أحداً يفضل العجم على العرب إلا وفيه عرق من الجوسية ينزع إليها.

٤٩ - قال العميد أبو الحسن على بن الحسن بن أبى الطيب الباخري فى كتابه المعروف «بدمية القصر وعصرة أهل العصر» جرى بين القاضى أبى سعيد على بن عبد الله الناصحى وبين الحاكم أبى سعد دوست مبادهة، قال له القاضى:

وما وصل الكتاب إلى حتى أجبت إلى الذى استدعاه منى
فقال أبو سعد:

جزاك الله عن مولاك خيراً وخفف ثقل هذا الشكر عنى
فقال القاضى:

وأولى الشيخ عزا مستفاداً وحقق فيه مأمولى وظنى
فقال أبو سعد:

وكم لك نعمة من غير ذكر وكم لك منة من غير من
٥٠ - وكان حسان بن هجل الكلبى المعروف بعرقلة أعور، وكان يجلس على حانوت خياط بدمشق يعرف بأبى الحسين الأعرج، وكان له طبع فى قول الشعر، فقال له عرقلة يوماً يداعبه:

ألا قل للرقيع أبى حسين أرانى الله عينك مثل عينى
فقال الأعرج مجاوباً له:

ألا قل لابن كلب لا ابن عجل أرانى الله رجلك مثل رجلى
فخجل عرقلة من قوله وانصرف.

الباب الثانى

فى بدائع بدائه الإجازة

الإجازة أن ينظم الشاعر على شعر غيره فى معناه ما يكون به تمامه وكماله، وقد يكون بين متعاصرين وغير متعاصرين، وهى مشتقة من الإجازة فى السقى، يقال: أجاز فلان فلاناً، إذا سقاه أو سقى له، فكأنهم شبهوا عمل الشاعر المجيز لعمل الشاعر المجاز شعره، بسقى الشخص للشخص، قال يعقوب بن السكيت: يقال للذى يرد الماء: مستجيز، وأنشد:

وقالوا فقيم قيم الماء فاستجز عبادة إن المستجيز على قتر
قال أبو على حسن بن رشيح مولى الأزد: ويجوز أن يكون من أجزت عن فلان
الكأس إذا صرفتها عنه - دون أن يشربها - إلى من يليه، وكأنهم شبهوا الشاعر لما
تعدى إتمام شعره بمجيز الكأس. قال أبو نواس:

وقلت لساقيا أجزها فلم يكن لينهى أمير المؤمنين وأشربا
فجوزها عنى عصاراً ترى لها على الشرف الأعلى شعاعاً مطبنا
وقد ذكرنا أن الإجازة تكون بين عصرين وغير عصرين، ونحن الآن نجعلها لك فى
فصلين، ونذكر ما ورد فى كل فصل من الأخبار على ترتيب الأعصار، وهو شرطنا فى
هذا الكتاب.

الفصل الأول

فى إجازة الشاعر لمعاصره

٥١ - فمن هذا القسم ما تكون الإجازة فيه بقسيم لقسيم، كما روى الزبير بن
بكار، قال: استنشد عبد الله بن عباس - رضوان الله عليه - عمر بن أبى ربيعة فأنشده:

تَشْطُ غُدًّا دار جيراننا

فبدره ابن عباس فقال:

وللدار بعد غد أبعد

فقال له عمر: كذلك قلت أصلحك الله! أسمعته؟ قال: لا، ولكن كذلك ينبغى أن

٥٢ - وروى عمران بن عبد العزيز الزهرى أن عمر بن أبى ربيعة شيب بزيب بنت موسى أخت قدامة بن موسى الجمحى، وكان سبب تشييبه بها أن ابن أبى عتيق ذكرها له، فأطرب فى وصفها بالحسن والجمال، فصنع فيها قصيدته التى أولها:

يا خليلى من ملام دعانى وأما الغداة بالأظعان
فبلغ ذلك ابن أبى عتيق، فلامه فى ذكرها، فقال له:

لا تلمنى عتيق حسبى الذى بى إن عندى عتيق ما قد كفانى

لا تلمنى فأنت زينتها لى

فبدره ابن أبى عتيق فقال:

أنت مثل الشيطان للإنسان

فقال عمر: هكذا ورب الكعبة قلته. فقال ابن أبى عتيق: إن شيطانك - ورب العزة - ربما ألم بى، فيجد عندى من عصيانه خلاف ما يجد عندك من طاعته، فيصيب منى وأصيب منه.

٥٣ - ومن ذلك ما روى أبو عبيدة أن ركباً أقبل من اليمامة، فمر بالفرزدق وهو جالس، فقال له: من أين أقبلت؟ قال: من اليمامة، فقال: هل أحدث ابن المراغة بعدى من شىء؟ قال: نعم، قال: هات، فأنشد:

هاج الهوى بفؤادك المهتاج

فقال الفرزدق:

فانظر بتوضيح باكر الأحجاج

فأنشد الرجل:

هذا هوى شغف الفؤاد مبرح

فقال الفرزدق:

ونوى تقاذف غير ذات خلاج

فأنشد الرجل:

إن الغراب بما كرهت لمولع

فقال الفرزدق:

بنوى الأحبة دائم التشحاج

فقال الرجل: هكذا والله قال، أسمعته من غيرى؟ قال: لا، ولكن هكذا ينبغي أن يقال، أو ما علمت أن شيطاننا واحد! ثم قال: أمدح بها الحجاج؟ قال: نعم، قال: إياه أراد.

٥٤ - ومن ذلك ما أخبرنا الفقيه أبو محمد عبد الخالق المسكى، أخبرنا أبو طاهر السلفى إجازة، أنبأنا أبو صادق مرثد بن يحيى بن القاسم المدينى، قال: كتبت إلى القاضى أبو الحسين على بن محمد بن صخر الأزدي أن أبا القاسم عمر بن محمد بن سيف أذن لهم فى الرواية عنه، أخبرنا أبو خليفة، عن ابن سلام قال: قال عمر بن عبد العزيز، رضى الله عنه، لابن عبد الأعلى: أتمم هذا البيت وأنت أشعر العرب:

نروح ونغدو كل يوم وليلة

فقال مجيباً:

وعما قليل لا نروح ولا نغدو

٥٥ - ومن ذلك ما روى سلمة النميرى، قال: حضرت مجلس هشام بن عبد الملك وبين يديه جرير والفرزدق والأخطل، فأحضرت بين يدي هشام ناقة، فقال متمثلاً:

أنسخها ما بدالى ثم أرحلها

أيكم أتمه كما أريد فهى له، فبدر جرير فقال:

كأنها نقتنق تعدو بصحراء

فقال: لم تصنع شيئاً، فقال الفرزدق:

كأنها كاسر بالدو فتخاء

فقال: ولا أنت، فقال الأخطل:

ترخى المشافر واللحين إرخاء

فقال: اركبها لا حملك الله.

٥٦ - ومن ذلك ما روى أن بعض الشعراء قال لأبى العتاهية: أجز:

بـرد الماء وطابا

حبذا الماء شـرابا

٥٧ - ومن ذلك ما روى عن دعبيل بن علي الخزاعي أنه قال: كنت أنا ومحمد بن وهيب نسمر عند معقل بن عيسى بن إدريس العجلي أخى أبى دلف، فطلعت الثريا ليلة، فقال:

أما ترون الثـريا

فبدر محمد بن وهيب فقال:

كأنها عـقـد ريبا

٥٨ - ومن ذلك ما روى محمد بن إسحاق، عن أبيه قال: قلت:

وصف الصد لمن أهوى فصد

ثم أجبلت فمكثت عدة ليال لا أقدر على تمامه، فدخل على عبد الله بن عمار التيمي، فرأني مفكراً، فقال لي: ما قصتك؟ فأخبرته، فقال في الحال:

ويدا يـمـزح بالهجر فجد

قال إسحاق: ثم تمتها بعد فقلت:

ماله يعدل عنى وجهه وهو لا يعدله عندى أحد

٥٩ - ومن ذلك ما روى محمد بن داود بن الجراح، قال: كان أبو تمام حبيب بن أوس الطائي عند الحسن بن وهب، فدخل عليهما أبو نهشل بن حميد، فلما رآه أبو تمام قال:

أعـضـك الله أبـانـهـشـل

ثم قال للحسن: أجز فقال:

بـجـد ريم أبيض أكحل

ثم قال: أجز أبا نهشل فقال:

يطمع فى الوصل فإن رسته صار مع العيوق فى منزل
وهذا أيضاً فيه إجازة بيت بيت.

٦٠ - ومن ذلك ما روى أن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن

٤٦ فى بدائع بدائه الإجازة

الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان - وهو المنعوت بين ملوك الأندلس بالأمير - صنع فى بعض غزواته قسيماً، وهو:

نرى الشىء مما يتقى فنهايه

ثم أرتج عليه - وكان عبد الله بن الشمر نديمه وشاعره غائباً - فأحضر بعض قواده محمد بن سعيد الزجالى، وكان يكتب له، فأنشده القسم، فقال:

وما لا نرى مما يقى الله أكثر

فاستحسنه وأجازه وحمله استحسانه على أن استوزره.

٦١ - ومن ذلك ما روى النميرى قال: دخل أبى على المعتز بالله - وكان من

جلسائه - فوقع بين الجلساء تنازع، فنهاهم حتى أضجروه، قال النميرى: فقال له أبى:

عادتك الصفح والذنوب لنا

فقال المعتز:

كذاك فعل العبيد الملك

٦٢ - قال القاضى الفقيه جمال الدين: سمع الناس يذكرون حكاية لا أتقلد

صحتها، وهى أن أبا تمام لقى ديك الجن وهو طفل يلعب، ويدعى قول الشعر، فقال: إن كنت شاعراً كما تقول، فأجز:

فرقوا بين من أحب وبينى

فقال: أبعد أم أقرب؟ فقال أبو تمام بعد، فقال:

مثل بعد السماك والفرقدين

فقال له: قرب، فقال:

مثل ما بين حاجبى وعينى

٦٣ - وذكر عبيد الله بن أحمد بن طاهر فى تاريخه الذى ذيل به كتاب أبيه قال:

حدثنى أبو أحمد يحيى بن على بن المنجم أنه أول ما قال الشعر: حضر أبو الصقر إسماعيل بن بلبل عند أبيه فى مجلس فيه أبو عبد الله أحمد بن أبى فنن، ووالدى أحمد ابن أبى طاهر وجماعة من أهل الأدب، فاستنشدنى أبو الصقر شيئاً من شعرى فأنشدته، فاستنكره أبو الصقر، ثم قال: أريد أن أمتحنك فى شىء تجيزه، فقلت له: ذلك لك،

أنت غلام شاعر خبيث

فقلت من غير تلبث:

أنت امرؤ بجوده يغيث

يعجل ما يعطى ولا يريث

لك القديم ولك الحديث

فقال أبو عبد الله بن أبي فنن: اذهب يا غلام فأنت أشعر الأولين والآخرين، ثم حضرت المائدة، وحضر عليها كباب رشيدى، فقال ابن أبي فنن:

كباب رشيدى إذا ما رأيت

ثم قال: أجز فقلت:

وإن كنت شبعاناً قرمت إلى الأكل

ثم قال ابن أبي فنن: ما سمعت أحسن من هذا، ما لهذا الصدر عجز أولى به من هذا. وهذه الحكاية صدرها من باب الأجوبة وآخرها من هذا الباب.

٦٤ - وذكر الرئيس هلال بن المحسن بن الصابى فى كتاب الوزراء والكتاب، قال: حدث أبو الفرج الأصفهانى قال: سكر الوزير المهلبى ليلة، ولم يبق بمحضته من ندمائه غيرى، فقال له: يا أبا الفرج، أنا أعلم أنك تهجونى سراً، فاهجنى الساعة جهراً، فقلت: الله فى أيها الوزير، إن كنت قد ثقلت عليك، فمرنى فلا أعود أجيبك أبداً، وإن كنت تريد قتلى فبالسيف أهون، فقال: دع هذا، فلا بد أن تهجونى - وكنت قد سكرت - فقلت:

أير بغل مكوكب

فبدر فقال:

فى حرام المهلبى

هات مصراعاً آخر فقلت: الطلاق لازم لى، إن زدت على هذا كلمة.

٦٥ - وروى عبد الجبار بن حمديس الصقلى، قال: صنع عبد الجليل بن وهبون المرسى الشاعر نزهة بوادى إشبيلية، فأقمنا فيه يومنا، فلما دنت الشمس للغروب هب

نسيم ضعيف غضن وجه الماء، فقلت للجماعة: أجزوا:

حاكت الريح من الماء زرد

فأجازه كل بما تيسر له، فقال لى أبو تمام غالب بن رباح الحجام: كيف قلت يا أبا محمد؟ فأعدت القسيم له، فقال:

أى درع لقتال لوجمد

فحفظ القسيمان ونسى ما عداهما.

٦٦ - قال على بن ظافر: وقد أنبأنى الفقيه أبو محمد المسكى إجازة، قال: كتب إلى الحافظ السلفى: أنشدنى أبو الفضل أحمد بن عبد الكريم بن مقاتل المقرئ الصنهاجى بالإسكندرية، قال: أخبرنى أبو محمد بن حمديس قال: كنا مع المعتمد بن عباد بممص الأندلس، فمر على أضاة قد راح عليها الصبا، فأثبت على وجه الماء مثل الزرد، فقال:

نسج الريح على الماء زرد

وطلب الإجازة من شعرائه فلم يجبه أحد، فقلت أنا:

أى درع لقتال لوجمد

فاستحسن ذلك منى، وكنت وقت الإنشاد رابعاً فجعلنى ثانياً، وأمر لى بجائزة سنوية. قال على بن ظافر: والحكاية الأولى منصوصة فى ديوان ابن حمديس الذى دونه لنفسه، وهو موجود فى أيدى الناس. والحكاية الثانية رويتها من هذا الطريق، وقد نقله ابن حمديس إلى غير هذا الموصوف، فقال:

نثر الجو على الترب برد أى در لنحور لوجمد

فتناقض المعنى بقوله: البرد، وقوله: لوجمد، إذ ليس البرد إلا ما جمده البرد، اللهم إلا أن يريد بقوله: لوجمد: لو دام جموده، فيصح ويبعد عن التحقيق. ومثل هذا قول المعتمد بن عباد يصف فوارة:

ولربما سلت لنا من مائها سيفاً وكان عن النواظر مغمدا

طبعته لجيا فذابت صفحة منه ولو جهدت لكان مهندا

قال على بن ظافر: وقد أخذت أنا هذا المعنى، فقلت أصف روضاً:

فلو دام ذاك النبات كان زبرجداً ولو جهدت أنهاره كن بلورا

وهذا المعنى مأخوذ عن قول على بن التونسي الإيادي من قصيدته الطائفة المشهورة:

أولئـقـ طـقـر هـذا الجـو أم نـقـط ما كان أحسنه لو كان يلتقط
وهذا المعنى كثير للقدماء. قال على بن الرومي من قطعة في العنب الرازقي:

لو أنه يبقى على الدهور قرط آذان الحسان الحور
٦٧ - أنبأنا الشيخان الأجل العلامة أبو اليمن تاج الدين الكندي، والشيخ الفقيه جمال الدين بن الحرستاني إجازة عن الإمام الحافظ أبي القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عساكر سماعاً، قال: أنبأنا أبو الفرج غيث بن علي الصوري، حدثني أبي، قال: سمعت بكار بن علي الرياحي بدمشق يقول: لما وصل عبد المحسن الصوري إلى هنا جاءني المجدي الشاعر فعرفني به وقال: هل لك في أن نمضي إليه ونسلم عليه؟ فأجبت وقلت معه حتى أتينا إلى منزله، وكان ينزل دائماً إذا قدم في سوق القمح، وكان بين يديه دكان قطان، وفيها رجل أعمى، فوقف به عجوز كبيرة، فكلمها بشيء وهي منصتة له، فقال المجدي في الحال:

منصتة تسمع ما يقول

فقال عبد المحسن في الحال:

كالخلد لما قابلته الغول

فقال له المجدي: أحسنت والله يا أبا محمد، أتيت بتشبيهين في نصف بيت. أعيدك بالله.

٦٨ - قال على بن ظافر: وأخبرني من أثق به - هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي اليحصبي القرموني الزجال بما معناه، قال: ركب المعتمد على الله أبو القاسم بن عباد للتنزه بظاهر إشبيلية في جماعة من ندائه وخواص شعرائه، فلما أبعد أخذ في المسابقة بالخيول، فجاء فرسه بين البساتين سابقاً، فرأى شجرة تين قد أينعت وأزهرت وبرزت منها ثمرة قد بلغت وانتهت، فسدد إليها عصا كانت في يده فأصابها، وثبتت في أعلاها، فأطربه ما رأى من حسننها وثباتها، والتفت ليخبر من لحقه من أصحابه، فرأى ابن جاح الصباغ أول لاحق به، فقال: أجز:

كانها فوق العصا

فأجاب مسرعاً:

هامئة زنجى عصى

فزاد طربه وسروره بحسن ارتجاله، وأمر له بمجازة سنية.

٦٩ - قال على بن ظافر: وأخبرنى أيضاً أن سبب اشتهاى ابن جاخ هذا أن الوزير أبا بكر بن عمار كان كثير الوفادة على ملوك الأندلس، لا يستقر ببلد، ولا يستفزه عن وطره وطن، وكان كثير التطلب لما يصدر من أرباب المهن من الأدب الحسن، فبلغه خبر ابن جاخ هذا قبل اشتهاى، فمر على حانوته وهو آخذ فى صناعة صباغته، والنيل قد جر على مده ذيلًا، وأعاد نهاره ليلاً، فأراد أن يعلم سرعة خاطره، فأخرج زنده ويده بيضاء من غير سوء، وأشار إلى يده فقال:

كـم بـين زـند و زـند

فقال:

مـا بـين و صل و صد

فعبج من سرعة ارتجاله مع مضيه فى عمله واستعجاله، وجذب يضبعه، وبالغ فى الإحسان إليه غاية وسعه.

٧٠ - وأخبرنى أيضاً أنه دخل سرقسطة، فبلغه خبر يحيى القصاب السرقسطى، فمر عليه ولحم خرفانه بين يديه، فأشار ابن عمار إلى اللحم وقال:

لـحم سـباط الخـرفان مـهـزول

فقال:

يقول للمفلسين منه زولوا

٧١ - وأخبرنى الشيخ الأجل الفقيه الزاهد أبو عبد الله محمد القرطبى - أيده الله - قال: قال أبو محمد عبد المؤمن بن على صاحب قرطبة والمغرب يوماً فى مجلسه، وقد عوفى من مرضه:

الحمد لله رب العالمين على

ثم طلب إجازته من أهل المجلس، فلم يجبه أحد، فقال أبو العباس ابن حيوس:

برء الإمام الذى فى الأمنين علا

قال لى الحافظ ذو النسبتين أبو الخطاب عمر بن دحية: صنع شيخنا قاضى الجماعة

برء الإمام الذى فى الناس قد عدلا

ثم عمل فيها أبياتاً.

٧٢ - وأخبرنى الأجل شهاب الدين يعقوب ابن أخت الوزير الصدر الكبير نجم الدين أبى الفتح يوسف بن المجاور أدام الله عزه، قال: أخبرنى البهاء الحسن بن على بن محمد الخراسانى المعروف بابن الساعاتى قال: سايرت الفقيه مرتضى الدين نصر الشيرازى - رحمه الله تعالى - فجرى فى الحديث ما أوجب أن قال:

إن هذى النفوس للموت تسعى

واستجازنى فقلت:

فإذا قيل مات لم يك بدعا

٧٣ - وأخبرنى القاضى الموفق بهاء الدين أبو على بن الديباجى الكاتب قال: أنشدنى القاضى السعيد أبو القاسم بن سناء الملك - رحمه الله تعالى -:

إذا مت مهجوراً فلا عاش عاشق

قال: وقد أعيانى إتمامه على هذا النمط من الجناس، فقلت:

ولا طار للأحباب بعدى طارق

فقال: إنما مرادى أن يكون الجناس متصلًا مثل الأول، فقلت:

وبعدى للأحباب لا طار طارق

٧٤ - قال على بن ظافر: سايرت فى بعض أسفارى سنة ثلاث وستمائة أبا الحسن، وأنا عائد من ميفارقين إلى ماردین، وكان الشتاء كلبًا، والبرد قويًا، والوحل شديدًا، فلقينا فى تلك العقاب عشا، فقال:

عقاب فى ثناياها عقاب

واستجازنى فقلت للوقت:

فما هى بالعذاب بل العذاب

٧٥ - قال على بن ظافر: وبتنا ليلة بالقرافة، فرأى بعض أصحابنا الزهرة، وقد قارنت المشترى، وهما مشرقان فى حندس الظلماء، فأفرط فى استحسانهما، فقال أبو

الفضل الوجيه جعفر بن جعفر الحموى:

مقارن الزهرة والمشتري

فقلت:

كالزج واللهزم فى السمهرى

فأفرط الجماعة فى استحسانه، ثم وقع لى أن أشبههما بلهزم من ذهب وزج من فضة لاصفرار الزهرة وشدة بياض المشتري، فقلت:

أما ترى المشتري وقد قارن الزهرة يبغي دنو مقرب
كصعدة زجها ولهزمها ذاك لجين وذا من الذهب
٧٦ - قال على بن ظافر: اجتمعت أنا والقاضى الأعز أبو الحسن على بن المؤيد
الغسانى - رحمه الله - يوماً بالرصد، فرأينا شعاع الأصيل فوق بياض الماء، فقلت له:
أجز:

أذكت الشمس على الماء لهب

فقال:

فكست فضته منها ذهب

٧٧ - وقلت له يوماً: أجز:

طار نسيم الروض من وكر الزهر

فقال:

وجاؤ مبلول الجناح بالمطر

٧٨ - وذكر أبو على الحسن بن رشيق فى كتاب الأنموذج حكاية مطبوعة، قال:
جلست فى دكان أبى لقمان الصفار - وكان يتهم فى شعره - مع جماعة من الشعراء،
وأبو لقمان والدركادو الشاعر يلعبان بالشطرنج، ونحن نضحك لما يجرى بينهما من
غريب المهاترة، فقال الدركادو: أجز يا أبا لقمان:

حيتان حبك فى طنجير بلوائى

فقال أبو لقمان:

وفحم وجهك فى كانون أحشائى

فى بدائع بدائه الإجازة ٥٣

فقال له أحمد بن إبراهيم الكمونى: أحسنت يا أبا لقمان، قسيمك خير من قسيمه، فزهى أبو لقمان وقال: أدافع فى بديع الشعر، وهذا شعرى فى الهتف. وإنما لم أورد هذه الحكاية مرتبة فى نظام الحكايات المتقدمة على ترتيب الأعصار والأزمة، إذ كان حقها أن تكون بين الحكايات المنسوبة إلى أبى الفرج والمهلبى والمنسوبة إلى ابن حمدىس؛ لأنها ليست من بدائع البدائه، ولم أر إخلاء الكتاب منها لما فيها من الحلاوة.

٧٩ - ومن الإجازة إجازة قسيم بقسيم وبيت، كما يروى لنا أن الرشيد هارون - رحمه الله تعالى - صنع قسيمًا وهو:

المــــــــــــــــلك لله وحــــــــــــــــده

ثم أرتج عليه، فقال: استدعوا من الباب من الشعراء، فدخل عليه جماعة منهم الجماز، فقال: أجزوا - وأنشدهم القسيم - فبدر الجماز فقال:

ولللخــــــــــــــــيفة بعــــــــــــــــده

فقال له الرشيد: زد، فقال:

وللمحــــــــــــــــب إذا مــــــــــــــــا حــــــــــــــــيبه بات عــــــــــــــــنده

فقال له الرشيد: أحسنت ولم تعد ما فى نفسى، وأجازه بعشرة آلاف درهم.

٨٠ - وذكر عبید الله بن أحمد بن أبى طاهر فى تاريخ بغداد قال: حدثنى أبو أحمد يحيى بن على بن يحيى المنجم، قال: استزارنى أحمد بن سعيد الدمشقى وأنا صغير، وسأل أبى أبا الحسن الإذن لى فى المسير إليه، وأخبره أن أحمد بن أبى طاهر، وأبا طالب ابن مسلمة، وعلى بن مهدى، وجماعة من أهل العلم والأدب عنده، فأذن له، فصرت إليه، فصادفت عنده أبا الحسن جحظة، فلما أردنا القيام إلى صفة فى داره للأكل لبس الجماعة نعالم، وبقى جحظة بغير نعل، فسمعتة يقول:

يا قوم من لى بنعل

فقلت:

فى بيت تصحيف نعل

فضحكت الجماعة وغضب الدمشقى، فقلت:

وليس ذا قول جيد لکنه قول هزل

فضحك وتعجب القوم من بديهتى.

٨١ - قال على بن ظافر: صنع المتوكل على بن الأفتس صاحب بطليوس من بلاد الأندلس قسيما، وهو:

الشعر خطبة خسف

وأرتج عليه، فاستدعى أبا محمد عبد المجيد بن عبدون أحد وزراء دولته وخواص حضرته، فاستجازه إياه فقال:

لكل طالب عرف

للشيخ عيبة عيب ولفتى ظرف ظرف

وقد أنبأنى الشيخ الأجل الحافظ العلامة ذو النسبتين أبو الخطاب عمر بن الحسن بن دحية الكلبي إجازة عن الأستاذ المفيد أبى بكر محمد بن خير بقراءته عليه، عن الحافظ أبى القاسم خلف بن يوسف الشنترينى - عرف بابن الأبرش - عن أبى الحسن بن بسام فى كتاب الذخيرة، أن قائل القسيم الأول الأستاذ أبو الوليد ضابط، وأن عبد المجيد أجازته ارتجالاً، وهو ابن ثلاث عشرة سنة.

٨٢ - وبهذا الإسناد قال ابن بسام: ذكر أبو على الحسين بن الغليظ الملقى قال: قلت يوماً للأديب أبى عبد الله بن السراج الملقى، ونحن على جرية ماء: أجز:

شربنا على ماء كأن خريره

فقال مبادراً:

بكاء محب بان عنه حيبه

فمن كان مشغوفاً كئيباً يالفه فإنى مشغوف به وكئيبه

٨٣ - وبه أيضاً ما ذكر ابن بسام فى كتاب الذخيرة قال: اجتمع ابن عبادة وعبد الله بن القابلة السبتي بالمرية، فنظر إلى غلام وسيم يسبح فى البحر، وقد تعلق بسكان بعض المراكب، فقال ابن عبادة: أجز:

انظر إلى البدر الذى لاح لك

فقال ابن القابلة:

فى وسط اللجة تحت الحلك

قد جعل الماء سماءً له وصير الفلك مكان الفلك

قال على بن ظافر: وكل ما أسنده إلى ابن بسام فهذا الإسناد.

٨٤ - ومنها إجازة قسيم بقسيم وأكثر من بيت، أنبأني الشيخان تاج الدين أبو اليمين الكندى، وجمال الدين بن الخراسانى إجازة عن الحافظ أبى القاسم على بن الحسن بن عساكر سماعاً عليه، أخبرنا أبو بكر بن المرزوقى، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن أحمد بن الحسين بن عبد العزيز العسكرى، أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن الصلت المحبر، حدثنا أبو الفرج الأصبهانى، أخبرنى جعفر بن قدامة، حدثنى أحمد بن أبى طاهر قال: دخلت يوماً على نبت جارية مخفراة - وكانت حسنة الوجه والغناء - فقلت لها: قد قلت مصراعاً فأجيزه، فقالت لى: قل، فقلت:

يا نبت حسنك يعشى بهجة القمر

فقالت:

قد كاد حسنك أن يبتزنى بصرى

ثم وقفت أفكر فسبقتنى فقالت:

وطيب نورك مثل المسك قد نسمت ربا الرياض عليه فى دجى السحر

فزاد فكرى فبادرتنى فقالت:

فهل لنا منك حظ فى مواصلة أو لا فإنى راض منك بالنظر

فقلت عنها خجلاً، ثم عرضت بعد ذلك على المعتمد، فاشتراها بمشورة على بن يحيى بثلاثين ألفاً. وذكر أحمد بن الطيب عن بعض الكتاب أنها عرضت بعد ذلك على المعتمد، فامتحنها فى الغناء، فرضى بما ظهر منها، وكان أول ما غنته لحناً غريباً - والشعر فى المعتمد - فقالت:

سنةً وشهراً قابلاً بسعود

فطرب المعتمد وتبرك بغنائها. ثم قال لأحمد بن حمدون: قارضها، فقال:

وهبت نفسى للهوى

فقالت:

فجار لما أن ملكك

فقال:

فصرت عبداً خاضعاً

فقلت:

يسلك بى حيث سلك

فأمر المعتمد بابتياعها، فاشتريت بثلاثين ألفاً.

٨٥ - وبالإسناد المتقدم عن ابن بسام قال: روى أبو عامر بن شهيد قال: لما قدم زهير الصقلى حضرة قرطبة من المرية، وجه أبو جعفر بن عباس وزيره إلى لمة من أصحابنا، منهم ابن برد، وأبو بكر المروانى، وابن الحنات، والطبنى، فحضروا، فسألهم عنى وقال: وجهوا إليه، فوافانى رسوله مع دابة بسرج محلى، فسرت إليه، ودخلت المجلس - وأبو جعفر غائب - فتحرك المجلس لدخولى، وقاموا جميعاً إلىّ، حتى طلع أبو جعفر علينا ساحباً ذيلاً لم أر أحداً سحبه قبله، وهو يترنم، فسلمت عليه سلام من يعرف قدر الرجال، فرد رداً لطيفاً، فعلمت أن فى أنفه نعرة لا يخرج إلا بسعوط الكلام، ولا تراض إلا بمستحصد النظام، ورأيت أصحابى يصيخون إلى ترنمه، فقال لى ابن الحنات - وكان كثير الإنحاء علىّ، جالباً فى المحافل ما يسوء الأولياء إلىّ -: الوزير حضره قسيم، وهو يسألنا إجازته، فعلمت أنى المراد، فاستنشدته فأنشد:

مرض الجفون ولشغة فى المنطق

فقلت لمن حضر: لا تجهدوا نفوسكم، فما المراد غيرى، ثم أخذت الدواة فكتبت:

سبيان جرا عشق من لم يعشق

من لى بالثغ لا يزال حديثه يذكى على الأكباد جمرة محرق

ثم قمت عنهم، فلم يلبثوا أن وردوا علىّ، وأخبرونى أن أبا جعفر لم يرض بما جئت به من البديهة، وسألونى أن أحمل مكاوى الهجاء على حقارة - وزعموا أن إدريس بن اليمانى هجاه فأحسن، فقلت:

أبو جعفر كاتب شاعر ملىح سنى الخط حلو الخطابه

تملاً شحماً ولحمًا وما يلىق تملؤه بالكتابه

له عرق لىس ماء الجباه ولكنه رشح ماء الجنابه

جرى الماء فى سفله جرى لىن فأحدث فى العلو منه صلابه

قال على بن زافر: وأحسب أن الذى هجاه به إدريس وأفحش فيه قوله، وقد كان وفد عليه بالمربة وامتدحه بقصيدة، فلم يحفل به، فأنفذ إليه عند خروجه منها يقول:

إيه أبا جعفر المرجى ما بال طيرى خلاف طيرك
أهديت رقراقه المعانى لم أهد أمثالها لغيرك
فلم تمرها ولم تمرنى ولم تمرها بفضل ميرك
فصار شعرى لديق بكرأ قد يئست من فلاح أيرك

٨٦ - وذكر العميد أبو الحسين على بن الحسن بن أبى الطيب الباخري فى كتابه: دمية القصر وعصرة العصر قال: حدثنى الأديب يعقوب بن أحمد قال: أنشدت بحضرة أبى كامل مفرج بن دغفل الطائى:

سهل الكميت فقلت مالك تصهل

فغيره بعض الحاضرين فقال:

نعب الغراب فقلت مالك تنعب

فقال أبو كامل بديهاً:

أنأى أليفك أم لحال ترهب

أم بت تخبرنا بفرقة جيرة قد آن فى شعبان أن يتشعبوا

٨٧ - وأنبأنى الشيخ الفقيه النبيه أبو الحسن على بن المفضل المقدسى وقال: أنبأنى الفقيه أبو القاسم مخلوف بن على القيروانى، عن أبى عبد الله محمد بن سعيد السرقسطى، عن عبد الحافظ أبى عبد الله محمد بن عمر الأشبونى، قال: قصد ابن جاج الشاعر فخر الدولة أبا عمرو عباد بن محمد بن عباد، فلما وصل إليه قال: أجز:

إذا مررت بركب العيس حبيها

فقال ابن جاج فى الحال:

يا ناقتى فعسى أحبابنا فيها

ثم زاد فقال:

يا ناق عوجى على الأطلال عل بها

أم كيف أرفض طيب العيش بعدهم

منهم غريباً يرانى كيف أبكيها

أم كيف أسكب دمعاً فى مغانيها

إنى لأكتم أشواقى وأسترها جهدى ولكن دموع العين تبديها
 ٨٨ - وذكر الوزير أبو بكر بن اللبانة الدانى فى كتاب سقيط الدرر ولقيط الزهر:
 صنع المعتمد على الله بن عباد - رحمه الله تعالى - قسيماً فى القبة المعروفة بسعد
 السعود فوق المجلس بالزاهى، وهو:

سعد السعود يتيه فوق الزاهى

ثم استجاز الحاضرین فعجزوا، فصنع ولده عبد الله الرشيد:

وكلاهما فى حسنه متناه

ومن اغتدى سكتاً لمثل محمد قد جل فى العليا عن الأشباه

لا زال يخلد فيهما ما شاء ودهت عداه من الخطوب دواه

٨٩ - وكذلك ما روى أن القاضى الفقيه أبا الحسن على بن القاسم بن محمد بن

عشرة أحد رؤساء المغرب الأوسط، تنزه مع جماعة من أصحابه منهم محمد بن عيسى

ابن سوار الأشبونى، ورجل يسمى بأبى موسى، خفيف الروح، ثقيل الجسم، فجعل

يعبث بالحاضرین بأبيات من الشعر يصنعها فيهم، فصنع القاضى أبو الحسن معابثاً له:

وشاعر أثقل من جسمه

ثم استجاز ابن سوار فقال:

تأتى معانيه على حكمه

يهجو ولا يهجو فهل عندكم ظلامه تعدى على ظلمه

لسانه فى هجوه حية منية الحية فى سمه

أما أبو موسى ففى كفه عصا ابنه والسحر فى نظمه

يصيب سر المرء فى رميه كأنما العالم فى علمه

٩٠ - وأخبرنى القاضى الأعز بن المؤيد المقدم ذكره - رحمه الله - قال: أخبرنى

الشيخ أبو الحسن على بن عمر المفسر الأندلسى، قال: كتب أبو بكر البلنسى إلى

الأديب أبى بحر صفوان بن إدريس هذين البيتين يستجيزه القسم الأخير منهما، وهما:

خليلى أبا بحر - وما قرقت للى بأعذب من قولى خليلى أبا بحر

أجز غير مأمور قسيماً نظمته تأمل على بحر المياه حلى الزهر

فأجازه بقوله:

كعهدك بالخضراء والأنجم الزهر

وقد ضحكت للياسمين مباسم سروراً بأداب الوزير أبى بكر
وأصغت من الآس النضير مسامع لتسمع ما تتلوه من سور الشعر
قال: وهذان الرجلان من الفضلاء فى عصرنا هذا.

٩١ - ومنها إجازة بيت بيت، فمن ذلك ما روى يونس بن حبيب، قال: لما بنى يوسف بن زياد داره بالساحة صنع طعاماً، ودعا أصحابه فدخلوا الحمام المعروف بحمام فيل، ثم خرجوا فتغدوا عنده، وركبوا المهاليج والمقاريف والبغال، واجتازوا بحارثة بن بدر الغداني وأبى الأسود وهما جالسان، فقال أبو الأسود:

لعمر أبىك ما حمام كسرى على الثلثين من حمام فيل
فقال حارثة:

ولا إيجافنا خلف الموالى بستتنا على عهد الرسول
٩٢ - وروى حبيب بن نصر المهلبى قال: سافر يزيد بن معاوية بالأخطل، فاشتاق يزيد أهله، فقال:

بكى كل ذى شجو من الشام شاقه تهام فأنى يلتقى الشجيان
وقال: أجزى يا أخطل، فقال:

يغور الذى بالشام أو ينجد الذى بغور تهامات فيلتقىان
٩٣ - وروى عمر بن عبد الله العتكى، عن الرقاشى، عن أبى عبيدة، قال: كان حارثة بن بدر بدير كوار يتنزّه، فقال:

ألم تر أن حارثة بن بدر أقام بدير أبلق من كوارا
ثم قال للجد الذين كانوا معه: من أجاز هذا البيت فله حكمه، فقال رجل منهم:
على أن تجعل لى الأمان من غضبك، وتجعلنى رسولك إلى البصرة، وتطلب لى النفل من
الأمير، قال: ذلك لك، ثم ردد عليه البيت، فقال:

مقيم يشرب الصهباء صرفا إذا ما قلت تصرعه استدرارا
فقال له حارثة: لك شرطك، ولو كنت قلت لنا قولاً تسرنا لسررناك.

٩٤ - وروى أبو روح الراسبى قال: لما ولى خالد بن عبد الله القسرى مالك بن

المنذر شرطة البصرة، قال الفرزدق:

يبغض فينا شرطة المصر أننى رأيت عليها مالكا أثر الكلبى
قال: فقال مالك: علىّ به، فبلغه فقال:

أقول لنفسى إذ تغص بريقها ألا ليت شعرى ما لها عند مالك
قال: فسمع قوله حائك يطلع من طرازه، وقال:

لها عنده أن يرجع الله ريقها إليها وتنجو من عظيم المهالك
قال الفرزدق: هذا أشعر الناس، أو ليعودن مجنوناً يصيح به الصبيان، فكان كما قال.

٩٥ - وروى أن عبد العزيز بن عمر عبد العزيز - رحمه الله - خرج وهو أمير
المدينة ومعه عبد الله بن الحسن، فنزلوا تحت سرحة وتغدوا، وأخذ عبد الله حجراً،
وكتب به على ساق السرحة يقول:

خبرتنا خصصت بالغيث يا سر ح بصدق فالصدق فيه شفاء
فأخذ عبد العزيز الحجر وكتب تحته:

هل يموت المحب من ألم الحب ويشفى من الحبيب اللقاء
ثم ركبوا دوابهم ومضوا غير بعيد، فإذا السماء قد أقبلت عليهم، فرجعوا مسرعين
إلى السرحة، فأضافوا تحت ما كتبوا:

إن جهلاً سؤالك السرح عما ليس يوماً به عليك خفاء
ليس للعاشق المحب من العشق سوى لذة الوصال دواء
فعجبوا وانصرفوا.

٩٦ - حدث المدائنى قال: وهب نصر بن سيار لأبى عطاء السندى جارية، فبات
معها، فلما أصبح غدا على نصر، فقال له: كيف كانت ليلتك معها؟ قال: كان بينى
وبينها ما شرد منامى، وقضى مرامى، قال: فهل قلت فى ذلك شعراً؟ قال: نعم،
وأنشد:

إن النكاح وإن هزلت لصالح خلفا لعينك من لذيذ المرقد
فقال نصر:

ذاك الشقاء فلا تظنن غيره ليس المجرب مثل من لم يشهد

فى بدائع بدائه الإجازة ٦١

٩٧ - وروى زحر بن حصن قال: خرجنا من مكة مع المنصور فى زمان صائف، فلما كان بزبالة ركب نجيباً، والشمس تلعب بين عينيه، وعليه جبة وشى، فالتفت إلينا وقال: إنى قائل بيتاً، فمن أجازة فله جبتى هذه، قلنا: يقول أمير المؤمنين، فأنشد:

وهاجرة نصبت لها جينى يقطع حرها ظهر العظايه
فبدر بشار فقال:

وقفت لها القلوص ففاض دمعى على خدى وأقصر واعظايه
فخرج له عن الجبة، ثم لقيته فذكر أنه باعها بخمسائة دينار. وقد ذكرها الصولى فى كتاب الأوراق على غير هذا السياق.

٩٨ - وروى أن رسول عليه بنت المهدي - أو عائشة بنت الرشيد - خرج يوماً إلى الشعراء، فقال: تقرئكم سيدتى السلام وتقول: من أجاز هذا البيت منكم فله مائة دينار، فقالوا: وما هو؟ فأنشد:

أنلى نوالاً وجودى لنا فقد بلغت نفسى الترقوه
فبدرهم مسلم بن الوليد الصريع فقال:
وإنى لكالدلو فى حبكم هويت إذا انقطعت عرقوه
فخرجت له المائة دينار.

٩٩ - وروى محمد بن حسن الحاتمى، عن أبى العيناء، عن العتبى، قال: دخل يحيى ابن خالد بستان داره ومعه جاريتة دنانير، فرأى بهجة الورد على شعره، فقال: أجزى:

الورد أحسن منظراً فتمتعوا باللحظ منه
فقال مسرعة:

فإذا انقضت أيامه ورد الخدود يسنوب عنه
فاستحسن ذلك منها، وأمر لها بمال جزيل بعد أن قبل خدها.

١٠٠ - وروى الحسين بن الضحاك قال: كنت أمشى مع أبى العتاهية فمررنا بمقبرة، فإذا امرأة تبكى ولدأ لها، فقال أبو العتاهية:

فما تنفك باكيةً بعين غزير دمعها كمد حشاها
أجز يا حسين، فقلت:

٦٢ فى بدائع بدائه الإجازة

تنادى حفرة أعيت جواباً فقد ولت وصم بها صداها
١٠١ - وروى أن أبا نواس دخل على عنان جارية الناطفى فى بعض أيام الربيع،
فقال: أجزى:

كل يوم عن أقحوان جديد تضحك الأرض من بكاء السماء
فقلت مسرعة:

فهو كالوشى من ثياب عروس جلبتها التجار من صنعاء
قال على بن ظافر: والبيت الأول أظنه لابن مطير من قصيدة، إلا أنه منسوب فى
الموضع الذى نقلت منه إلى أبى نواس، فأوردته كما وجدته.

١٠٢ - وروى أنه دخل عليها يوماً وهى تبكى، وقد كان مولاها ضربها، فقال:

بكت عنان فجرى دمعا كؤلؤ ينسل من خيطه
فقلت:

فليت من ضربها ظالماً تجف يمانه على سوطه
وقد روى أبو الفرج الأصبهاني هذه الحكاية عن مروان بن أبى حفصة، وأنه الذى
استجازها البيت الأول.

١٠٣ - وروى محمد بن الأشعث قال: قال دعبل بن على الخزاعى: مررت أنا
ورزين العروضى بقوم من بنى مخزوم، فلم يقرونا، فقلت فيهم:

عصابة من بنى مخزوم بت بهم بحيث لا تطمع المسحاة فى الطين
ثم قلت لرزين: أجز: فقال:

فى مضغ أعراضهم من خبزهم بنو النفاق وآباء الملاعين
قال ابن الأشعث: وكان هذا أقوى الأسباب فى مهاجاته لأبى سعيد المخزومى.

١٠٤ - وروى لنا أن العباس بن الأحنف دخل على الذلفاء جارية ابن طرخان،
فقال لها: أجزى:

أهدى له أصحابه أترجة فبكى وأشفق من عيافة زاجر
فقلت ارتجالاً:

خاف التلون فى الوداد لأنها لوان باطنها خلاف الظاهر
فجن استحساناً، وحلف لها - وكانت تعزه - إن ادعته ما دخل دارها. فتركته له
فاستلحقه.

١٠٥ - وذكر ابن القمى فى كتاب النباهة قال: دخل أبو السمراء على نخاس،
فسمع بكاء من داخل البيت وقائلة تقول:

أصابهما ريب الزمان فأفردا لدى خفض عيش مونق معجب
وكنا كزوج من قفا فى مفازة ولم نر شيئاً قط أوحش من فرد
فقال للنخاس: أخرجها، فقال: إن صاحبها مات، وهى شعبة مغبرة. قال: فخرجت
فقال لها: قولى فى معنى هذا، قالت: أى معنى؟ قال: فى معنى هذين البيتين اللذين
تمثلت بهما، فقالت:

وكنا كغضى بانه وسط روضة نشم جنى الجنات فى عيشة رغد
فأفرد هذا الغصن من ذاك قاطع فيا فردةً باتت تحن إلى فرد
فكتب الأمير أبو السمراء عبد الله بن طاهر بخبرها، فكتب: إن أجازت هذا البيت
فاشترها، وهو:

بعيد وصل بديع صد جعلته فى الهوى ملاذا
فقال مسرعةً:

فعاتبوه فزاد شوقا فمات عشقا فكان ماذا
فاشترها أبو السمراء، فمات من الغد.

١٠٦ - وروى إبراهيم بن محمد اليزيدى، قال: كنت عند المأمون يوماً وبجضرتة
عريب، فقالت لى - على سبيل الولوج والعبث - يا سعلوس - وكانت جوارى المأمون
يلقبني بها عبثاً - فقلت:

فقل لعريب لا تكونى مسعلسه وكونى كترريف وكونى كمؤنسه
قال: فبدرنى المأمون فارتجل:

فإن كثرت منك الأقاويل لم يكن هنالك شك أن ذا منك وسوسه
فقال له: كذا والله يا أمير المؤمنين أردت أن أقول وعجبت من ذهن المأمون وجودة

١٠٧ - أنبأنا الفقيه أبو محمد عبد الخالق المسكى، عن السلفى، قال: أنبأنا أبو محمد جعفر بن أحمد السراج اللغوى، وابن بعلان الكبير، قالوا: أنبأنا أبو نصر عبد الله بن سعيد السجستانى الحافظ، قال: أخبرنا أبو يعقوب النجيرمى، حدثنا ابن سيف قال: حدثنا محمد بن العباس اليزيدى قال: حدثنى عم أبى أحمد بن محمد اليزيدى قال - واللفظ من رواية أخرى قريب من لفظ هذا الإسناد - قال: دعا المعتصم أخاه المأمون ذات يوم إلى داره، فأتاه فأجلسه فى بيت على سقفه جامات، فوق ضوء الشمس من وراء تلك الجامات على وجه سيما التركى غلام المعتصم، وكان أحسن تركى على وجه الأرض، وكان المعتصم أوجد خلق الله به، فصاح المأمون لأحمد بن محمد اليزيدى، فقال انظر ويلك إلى ضوء الشمس على وجه سيما، رأيت أحسن من هذا قط! وقد قلت:

قد طلعت شمس على شمس فزالت الوحشة بالأنس
فأجز يا أحمد، فقال أحمد:

قد كنت أشنا الشمس من قبل ذا فصرت أرتاح إلى الشمس
قال: ففطن المعتصم فعرض شفته لأحمد، فقال أحمد للمأمون: والله يا أمير المؤمنين، إن لم يعلم الأمير حقيقة الأمر منك لأقنع معه فيما أكره. فدعاه المأمون فأخبره الخبر، فضحك المعتصم، فقال له المأمون: أكثر يا أخى فى غلمانك مثله، إنما استحسنت شيئاً فجرى ما سمعت لا غير. وقد وقعت لنا هذه الحكاية بإسناد أخصر من هذا عن ابن سيف هو المذكور فى إجازة قسيم بقسيم.

١٠٨ - وحكى صاحب كتاب المقتبس أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام صاحب الأندلس خرج فى بعض أسفاره، فطرقه خيال جاريته طروب أم ولده عبد الله، وكانت أعظم حظاياها عنده وأرفعهن لديه، لا يزال كلفاً بها هائماً مجبها، فانتبه وهو يقول:

شاقك من قرطبة السارى فى الليل لم يدرب به الدارى
ثم انتبه عبد الله بن الشمر نديمه، فاستجازه كمال البيت، فقال:

زار فحياً فى ظلام الدجى أحبيب به من زائر سار

١٠٩ - وذكر الصولى فى كتاب الأوراق برواية تنتهى إلى جعفر بن محمد بن عبد الواحد الهاشمى قال: دخلت على المتوكل على الله لما توفيت أمه معزياً، فقال: يا جعفر، إنى ربما قلت البيت الواحد، فإذا جاوزته توقفت وقد قلت:

تذكرت لما فرق الدهر بيننا فعزيت نفسى بالنبى محمد
قال: فأجازه بعض من حضر المجلس فقال:

وقلنا لها إن المسنايا سبيلنا فمن لم يميت فى يومه مات فى غد
قال الصولى: فظننا أن جعفر بن محمد بن عبد الواحد قائل البيت.

١١٠ - قال مروان بن الجنوب: دخلت على المتوكل، فرمى إلى برقعة فيها بيت شعر، وهو:

أدرت الهوى حتى إذا صار كالرحى جعلت محل القلب فى موضع
وتحت البيت: أجز يا مروان، فكتبت تحته:

فلما جعلت القلب تحت رحى الهوى ندمت وصار القلب فى موضع
١١١ - وذكر يزيد بن محمد المهلبى، قال: كان ابن المعتز يشرب يوماً فى بستان مملوء بالنمام وشقائق النعمان، فدخل عليه يونس بن بغا، وعليه قباء أخضر، فقال ابن المعتز لما رآه ارتجالاً:

شبهت حمرة خده فى ثوبه بشقائق النعمان فى النمام
ثم قال: أجزوا، فبدر بنان المغنى - وكان ربما عبث بالبيت بعد البيت - فقال:
والقد منه وقد بدا فى قرطق بالغصن فى لين وحسن قوام
فطرب ابن المعتز وقال له: غن فيه الآن، فصنع فيه لحناً.

١١٢ - وذكر عبيد الله بن أحمد بن أبى طاهر فى تاريخه قال: حدثنى أبو أحمد يحيى بن على بن المنجم، قال: صرت إلى أبى زيد عمر بن شبة، فقال لى: قد قلت بيتاً تعذر علىّ ثان له، فأحب أن تميزه فقلت: وما هو؟ قال:

كبرت وغاللتنى خطوب تتابعت ومن يصحب الأيام لا بد يهرم
فقلت:

ومن يصحب الأيام تنقص خطوبها قواه ويجهل بعض ما كان يعلم

فأعجب به، وحدث الناس بما بيننا، فكتبوه عنه.

١١٣ - أنبأنى الفقيه النبیه أبو الحسن بن المقدسى، عن أبى القاسم مخلوف بن على القيروانى، عن أبى عبد الله محمد بن أبى سعيد السرقسطى، عن الحافظ أبى عبد الله محمد بن أبى نصر بن عبد الله الحميدى قال: حدثنى أبو محمد على بن أحمد قال: حدثنى أبو عبد الله محمد بن عبد الأعلى بن هاشم القاضى المعروف بابن الغليظ، أن صهيب بن منيع - قال على بن ظافر: وكان قاضياً ببعض بلاد الأندلس، ومات بها فى أيام الناصر عبد الرحمن سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة - كان نقش خاتمه:

يا عليما كل غيب كن رءوفا بصهيب

وأنه كان يشرب النبيذ - لعله كان يذهب مذهب أهل العراق - فشرب مرة عند الحاجب موسى بن حدير - وكان من عظماء الدولة الأموية - فسكر ونام، فأمر موسى باختلاس خاتمه، وأحضر نقاشاً، فنقش تحت البيت المذكور:

واستر العيب عليه إن فيه كل عيب

ورد الخاتم عليه وختم به زماناً حتى فطن له.

١١٤ - وأنبأنى الشيخان الأجل العلامة تاج الدين أبو اليمن الكندى، والفقيه جمال الدين بن الحرساني، عن الشيخ الحافظ أبى القاسم على بن الحسن بن عساكر سماعاً، أخبرنا أبو النجم بدر الدين عبد الله السنجى، أخبرنا أبو بكر الخبيب، أنبأنا على بن أبى على المعدل، حدثنى أبى، حدثنى عبد العزيز بن أبى بكر المحرف العلاف الشاعر - وكان أحد ندماء المعتضد - قال: كنت ليلة فى دار المعتضد، وقد أطلنا الجلوس بحضرته، ثم نهضنا إلى مجلسنا فى حجرة كانت مرسومة بالندماء. فلما أخذنا مضاجعنا وهدأت العيون، أحسنا بفتح الأبواب وتفتيح الأقفال بسرعة، فارتاعت الجماعة لذلك، وجلسنا فى فرشنا، فدخل إلينا خادم من خدم المعتضد، فقال لنا: إن أمير المؤمنين يقول لكم: أرقت الليلة بعد انصرافكم فعلمت هذا البيت:

ولما انتبهنا للخيال الذى سرى إذ الدار قفر والمزار بعيد

وقد أرتج على إتمامه فأجيزوه، ومن أجازه بما يوافق غرضى أجزلت عطيته - وفى الجماعة كل شاعر مجيد مذكور، وأديب فاضل مشهور - فأفحمت الجماعة، وأطالوا التفكير، فقلت مبتدراً:

فقلت لعينى عاودى النوم واهجعى لعل خيالاً طارقاً سيعود
فرجع الخادم إليه بهذا الجواب، ثم عاد فقال: أمير المؤمنين يقول لك: أحسنت وما
قصرت، وقد وقع بيتك الموقع الذى أريده، وقد أمرت لك بجائزة وها هي، فأخذتها
فازداد غيظ الجماعة منى.

١١٥ - وقال يزيد بن أبى اليسر الرياضى فى كتابه الأمثال: دخل رحمون الفارسى
على أبى وهو مريض، فقال له: كيف أصبحت؟ فقال:

يكاد جسمى من تحول الضنى تحمله أنفاس عوادى
فقال رحمون: هل ترى أن أزيد عليه يا أبا اليسر؟ فقال: نعم، فقال رحمون:

لم يبق إلا الروح فى مهجة يروح أو يغدو بها الغادى
١١٦ - أنبأى القاضى الفقيه الإمام نبيه الدين أبو الحسن بن على بن المفضل
المقدسى - رحمه الله - قال: أخبرنى الشيخ الفقيه أبو القاسم على بن مهدى بن قلبنا
الإسكندرى، قال: أخبرنا أبو الحسن على بن عبد الجبار بن سلامة الهذلى قال: أخبرنا
أبو القاسم على بن جعفر بن على الصقلى، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن على بن
الحسن التميمى قال: أخبرنا أبو محمد إسماعيل بن محمد النيسابورى قال: أخبرنا أبو
منصور الثعالبى فى كتاب اليتيمة، أن الصحاب بن عباد اتهم بعض المرد فى مجلسه
بسرقه بعض كتبه، فقال:

سُرقت يا ظبى كتبى ألحقت كتبى بقلبى
وأمر أبا محمد الحسن بن أحمد البروجردى بإجازه، فقال:

فلو فعلت جميلاً رددت قلبى وكتبى
وكل ما أسنده إلى اليتيمة فهذا الإسناد.

١١٧ - وذكر الرئيس هلال بن الصابى أن الصحاب بن عباد قال: أرسل إلى
الأستاذ الرئيس أبو الفضل بن العميد يستدعيني فى وقت لم تجر عادته باستدعائى فى
مثله، فتهيأت للمضى، فجاءنى رسول ثان، فركبت فلقينى ثالث يستحثنى، فارتبت
وارتعت، فلما دخلت عليه قال: قلت بيتاً ثم أعميت عن إتمامه، وهو:

وجاءوا بظبى كمثل الغزال ينادى على الرسم فى مثله
فقلت فى الحال:

فأدخلت بعضى فى بعضه فىالبيت كللى فى كلله
فجعل يكثر التعجب منى، ثم انصرفت.

١١٨ - وأنبأنا العماد أبو حامد الأصفهاني قال: ذكر السمعاني فى تاريخه قال:
سمعت أبا المظفر منصور بن محمد بن سعيد بن مسعود المسعودى المروزى فى مذاكرتى
إياه يقول: دخلت على العزيز الخشاب - وشبل الدولة عنده حاضر - فقال العزيز:
قلت اليوم بيتاً - وأنشده:

صفو دن العمر فى عصر الصبا وزمان الشيب دردى محيل
وقال لشبل الدولة: أجز، فقال مبادراً:

والذى يطلب صفواً بعده إنما يطلب شيئاً مستحيل

١١٩ - أخبرنى الشيخ أبو عبد الله بن على اليحصبى القرمونى قال: سمعت أبا
بكر اليكى الشاعر - وهو بجامع عدوة القرويين بفاس - يحكى لأبى ولجماعة معه،
قال: خرجت من فاس قاصداً تلمسان، فدخلت فى بعض الخانات، وكانت ليلة مطيرة
جداً، فأنزلنى صاحب الخان فى بيت مفرد، وأوقد لى قنديلاً، فبينما أنا جالس، وإذا
برجل قد فتح الباب، ودخل علىّ وعلى وجهه سلهامة قد سترته، فجلس وقد عرفنى
ولم أعرفه، فسألته عن صناعته، فقال: أنا شاعر، فقلت له كالمستهزئ به: أجز -
وضربت بعينى إلى شىء أصفه، فلم أجد غير القنديل، فقلت:

وقنديل كأن الضوء فيه محيا من أحب إذا تجلى
فقال فى الحال:

أشار إلى الدجى بلسان أفعى فشمّر ذيله هرباً وولى

فجننت استحساناً لما أتى، فكشف السلهامة عن وجهه، فإذا هو أبو العباس البنى
الشاعر، فقال: كيف ترى هذا الكهن وما فجاك منه، وبتنا بأطيب ليلة، فلما قام الركب
للسفر سار هو إلى فاس، وسرت أنا إلى تلمسان.

١٢٠ - وأخبرنى القاضى السعيد أبو القاسم هبة الله بن سناء الملك - رحمه الله -
قال: أخبرنى الشريف الجليل الوافد من العراق على الدولة المصرية قال: اجتمعت فى
بعض الأيام بأمين الدولة أبى الحسن هبة الله بن صاعد - قال على بن ظافر: هو
المعروف بابن التلميذ، وإنما أمه من بنات التلميذ فعرف بذلك - قال: فأخذنا فى ذم

فى بدائع بدائه الإجازة ٦٩
الدهر وإخناؤه على أهل الفضل، وإذا بكلاب الصيد التى برسم الخليفة قد أبرزت فى
جلال الوشى والديباج، فحرك ذلك ما كنا نتجاذب أهدا به فى ذم الدهر، فقلت:

من كان يكسو الكلب وشياً ثم يقنع لى بجلدى
واستجزته فقال:

الكلب خير عنده منى وخير منه عندى
١٢١ - وأخبرنى الأجل بهاء الدين بن الساعاتى المقدم ذكره، قال: حضرت
مجلس سماع عند بعض الرؤساء، فغنى مغن قبيح النغمة، سبى الضرب، فقال لبعض
الحاضرين:

من منصفى ممن إذا مانح نحت لقبح نغمه
واستجازنى فقلت:

هو خارج وقت الغنا ء وداخل فى رحم أمه
١٢٢ - وأخبرنى الفقيه أبو ثابت بن حسن الكربونى بالإسكندرية، قال: حضرت
أنا والأديب عبد المنعم بن صالح الحريرى صاحبنا ببعض الأماكن، ورجل يقرأ
المقامات التى صنفها الحريرى على رجل آخر، وهما يصحفان فيها، فقال عبد المنعم:

يا أيها الثور البهيم الذى يقرأ المقامات على الثور
ثم استجازنى فقلت:

دع المقامات لأربابها وعد إلى النافات والدور
١٢٣ - قال على بن ظافر: حضر عندى وأنا برأس العين فى خدمة الملك الأشرف
- أدام الله أيامه - الأديب الموفق على بن محمد البغدادى الساكن بها، والفقيه بهاء
الدين بن كساء الشاعران، وعندنا رجل يعرف بالضياء بن الزراد - مصرى معروف -
وكانوا يمجنون، فعمل ابن كساء بديهة وقال:

رأيت الضياء وفى دبره قمد كزند البعير الشديد
ثم استجاز الموفق، فقال فى الحال:

كأن جهنم فى دبره تقول لآتيه هل من مزيد
ثم صنع الموفق فيه بديهة:

زمان الضيياء رعاه الإله عييد ولكن به يرتزق
 فطوراً بأعلاه رمى القبق وطوراً بأدناه طعن الحلق
 بنا وبه أعظم الحاليتين فمنه البغاء ومنا الشبق
 فلو جمعنا به خلوة لقد قيل وافق شن طبق
 وهذا المعنى الذى فيه ذكر الحلق والقبق معنى مطبوع، إلا أنه لم يحسن نظمه، وقد
 نظمته أنا على سبيل التجريب للخاطر، فقلت:

لقد عيد الترك فى ذا الرقيق وعاطوه باللعب أكواسه
 بنيك يقطع أعفاجه وصفع يززع أضراسه
 فكم جعلوا حلقة دبره وكم جعلوا قلباً راسه
 وقلت أيضاً فى المعنى:

أصبح عيداً للترك من هو كالم أتم فى عين من رأى خلقه
 وفوه بالنيك تارة وبمر الصفع أخرى من لعبهم حقه
 إن قر فالطعن بالأيور وإن فر أجادت نعالهم رشقه
 فللسراميز رأسه قبق وللفياشى خناره حلقة

١٢٤ - قال على بن زافر: كان يصحبنى وأنا فى خدمة الأشرف - أبقاه الله -
 رجل كاتب حسن الخط من أهل العلم والخبرة، هاجر إلى دمشق يقال له: جمال الدين
 على بن أبى طالب، فلما رأيت ما عليه الأحوال من الاختلال، وقويت فى نفسى
 شهوة الانفصال، كنت ليلى ونهارى مكباً على الدعاء بتسهيل ذلك وتعجيله، وتيسير
 ما أرجوه منه، وأقمت على هذا مدة طويلة، بحيث كان الأمر مشهوراً عند كل أحد من
 الحاشية، فأخبرنى أنه بات مشغول القلب بما يسمعه منى فى ذلك، فرأى كأنه فى جامع
 دمشق تحت النسر، وإلى جانبه شيخ، وكأنهم ينتظرون الصلاة، وإذا برجل شاب قد
 أقبل من الباب الغربى، فقال له الشيخ: يا أبا العباس أجز:

إن ابن زافر سوف يظفر بالذى يرجوه عاجل
 فقال:

ظفرت عدها بخيبة وغدا لما قد شاء نائل
 فسررت بذلك، فلم يكن شىء أسرع من عود الملك الأشرف - أبقاه الله - من

٧١ فى بدائع بدائمه الإجازة
دمشق، وانفصالى من خدمته على الوجه الجميل، وكان ذلك - والله - أعظم ظفر،
وأرفق قدر، ولو لم يكن فيه إلا الرجوع إلى الباب الذى منه درجت، وفى خدمته
تخرجت، والوطن الذى هو أول أرض مس تراها جلدى، وعلقت فيه تئامى، فالله
تعالى يحقق الرجاء، ويكمل الأمل بمنه وطوله.

١٢٥ - وكنت أنا وابن المؤيد يوماً عائدين إلى مصر، فثار قتام شديد ترب وجه
الأرض، وأقذى عين الشمس، فقال:

وقــــــــتام إذا رآه بــــــــصير عاد مما يقذيه مثل الضرير
ثم استجازنى فقلت:

رد ثوبى مصندلاً بعدما كا ن شديد النقاء كالكافور
١٢٦ - واجتمعت يوماً بالأجل شهاب الدين ابن أخت الوزير نجم الدين العزى
رحم الله، فأنشدنى لنفسه فى غلام رآه فى الحمام مؤزرراً بإزار أخضر:

ومرتج ردف أزروه بأخضر كما ماج ماء قد تردى بطحلب
واستجازنى فقلت:

يخيل لى مرآه نعمان أطلعت قضيبا على حقف ليرين معشب
قال القاضى الفقيه جمال الدين: وهاتان حكايتان قرأتهما فى بعض الجاميع، ولم
أعرف رواتهما، فأستدل بهم على عصرهم، فلذلك أفردتها هاهنا ولم أضعهما فى نظام
الحكايات المرتبة على ترتيب الأعصار، خوفاً من نقد منتقد:

١٢٧ - إحداهما: قال أبو سليمان الواسطى: مر بنا موسوس كان يؤثر عنه أدب،
والسما مغيمة، فتعرضت له وقلت:

أرى يومنا يوماً تكامل حسنه ويوشك أن اليوم لا شك ماطر
وقلت له: أجز، فوقف وقال:

وقد سترت فيه السحاب شمسه كما سترت ورد الخدود المعاجر
١٢٨ - والأخرى قال أبو على: اجتمعنا فى بعض الأيام جماعة من أهل الأدب،
وخرجنا إلى منتزه، فوقفنا فى ظل قصر لنستريح، فوقع علينا منه رقعة فيها: أجزوا
هذا البيت:

ولى مقلّة عهدها بالكبرى بعيد وبالدمع عهد قريب
فكنت تحتة:

يچار إذا مرف فيها المنام كما حار فى الحى ضيف غريب
ثم صرفنا الرقعة مع بواب القصر، فأخرج إلينا سفرة فيها طعام كثير وأشياء فيها
عون لنا على نزهتنا. قال على بن ظافر: وأحسب أن أبا على هذا الحاتمى، فإن صح
الحديث فينبغى أن يكون بعد حكاية الصحاب بن عباد رحمه الله تعالى.

١٢٩ - ومن إجازة بيت بيت ما يكون الشاعر قد عمل بيتاً واستجاز له أولاً، أو
عمل بيتين وأراد إبدال أحدهما أو الاختبار فيه، مثل ما أنبأنا به العماد أبو جعفر
الأصبهاني قال: أخبرني الأمير الأجل نجم الدين بن مصال، أن شاباً يعرف بأحمد الأبى
من أهل الإسكندرية سافر إلى الشيخ الأجل أبى بكر أحمد بن محمد العيذبي التميمي
الكاظم فاضل اليمن ورئيسه، وانتفع من جانبه، وأن أحمد ذكر عنه أنه عمل أبياتاً يهنيئ
فيها الداعى بطهور أولاده، من جملتها قوله:

كذباله المصباح يقضى قطعها عند الخمود لها بقوة ناره
قال: فقال الأديب العيذبي: يصلح أن يكون لهذا البيت توطئة من قبله، فقال:

أخذ من العضو الشريف قضى له ثير فيه بمقتضى آثاره
١٣٠ - قال العماد: ونقلت من مجموع أبى المعالى الكتبي لأبى القاسم الهمداني:

حنى الشيب ظهري واستمرت ولولا الحجول البيض لم تحسن
تعيرنى وخط الشيب بعارضى ولولا انحناء القوس لم ينفذ السهم
قال: فنظمت المعنى وقلت:

يفيد العقل اليقظ التغابى ليدرك فى الغنى حظ الغبى
فلم تصب السهام على اعتدال بها لولا اعوجاج فى القسى
قال: وأنشدتها للأمير مؤيد الدولة أسامة بن منقذ، فصنع فى الحال بدل الأول من
البيتين، وهو:

أرى أن الحلِيم به افتقار إلى جهل الفتى الغر الغبى
١٣١ - قال على بن ظافر: وبالإسناد المتقدم عن أبى الحسن على بن بسام

في بدائع بدائه الإجازة ٧٣
الشتريني مما أورده في كتاب الذخيرة ما هذا معناه، واللفظ لى: أن المعتمد على الله أبا
القاسم محمد بن عباد صاحب إشبيلية وغرب الأندلس جلس يوماً للشرب، وذلك في
وقت مطر أجرى كل وهدة نهرا، وحلى جيد كل غصن من الزهر جوهرًا، وبين يديه
ساقية تحجل الزهر بطيب العرف والريا، وتقابل بدر وجهها بشهاب الكاس في راحة
الثرى، فاتفق أن لعب البرق بجسامه، وأجال سوطه المذهب ليسوق به ركاب ركاه،
فارتاعت لخطفته، وذعرت من خيفته، فقال بديهاً:

روعها البرق وفى كفها برق من القهوة لماع
عجبت منها وهى شمس الضحى كيف من الأنوار ترتاع
وحين صنعهما أطربه معناهما وهزه، وحركة استحسانهما واستفزه، فاستدعى عبد
الجليل بن وهبون المرسى، وأنشده البيت الأول، فقال عبد الجليل:

ولن ترى أعجب من أنس من مثل ما يمسك يرتاع
فاستحسنه وأمر له بجائزة. وبيته أحسن من بيت المعتمد عندى.

١٣٢ - وأخبرنا القاضى السعيد أبو القاسم هبة الله بن سناء الملك - رحمه الله -
بما هذا معناه، قال: تذاكرنا فى بعض الأيام بديوان الإنشاء، فأفضى بنا الحديث إلى ذكر
الناشى الأصغر وقوله ووردة:

ورودة فى بنان معطار حيا بها فى خفى إسرار
كأنها وجنة الحبيب وقد نقطها عاشق بديانار
فقلت: تشبيه الصفرة بالدينار فيه بعض تقصير، وعليه نقد خفى لا يدركه إلا الناقد
البصير، وهو كون الصفرة فى رأى العين أصغر من الدينار، ولو قال:

كمثل وجنة خود قد نقطت برباع
لكان أحصر وأحسن، فاستحسنته الجماعة، فقال السيد هبة الله بن سراج منشئ
الديوان: يا قوم، أنا أجزيه ببيت أول، ثم صنع جارياً على عادته فى التجنيس:

ورودة نالت الحرس من إذ زهت فى الرباع
١٣٣ - وأخبرنى صاحبنا الفقيه أبو الفضل جعفر الحموى قال: مر بى فى بعض
الأيام يهودى يعرف بأبى الخير، أقبح الناس صورة، وأشدهم تنافر خلقه، قصير القامة،
طويل اللحية، بارز الأنف، فحين رأته وقع لى بيت على شبه الارتجال، وهو:

لحىة طولها ذراع وأنف طول شبر وقامة طول إصبع
ثم أرتج على، فمر بى الأديب فاضل بن راجى الله المنبوز بمداد، فأنشدته إياه فقال:
أعمل له أو لا؟ فقلت: إن شئت، فقال:

ما رأينا ولا سمعنا بشخص كأبى الخير فى الخلائق أجمع
١٣٤ - ومن ذلك ما أخبرنى الفقيه أبو محمد عبد الخالق بن زيدان المسكى -
المقدم ذكره - قال: أخبرنى صاحبنا الأديب أبو الحسن على بن خروف القرطبى -
المقدم ذكره فى هذا الكتاب - قال: رأيت فى المنام منشداً ينشدنى:

إذا كنت فى الدنيا حليف تكبر فإنك فى الأخرى أقل من الذر
قال: فانتبهت وقد حفظته، فأجزته بقولى:

تنزه عن الدنيا وكن متواضعاً عفيفاً ولا تسحب ذيولاً من الكبر
١٣٥ - ومنها إجازة بيت بأكثر من بيت، فمن ذلك ما رواه أبو الفرج الأصبهانى
فى أخبار بشار بن برد، وهو أن المهدي أشرف يوماً من أعلى القصر، فرأى جارية من
جواريه تغتسل، فحين رآته استترت منه، فقال:

نظرت من القصر عيني نظراً وافق حينى
ثم أرتج عليه، فأمر بإحضار من يجيزه، فأحضر بشار، فأنشده البيت فقال:

سترت لما رأتنى دونه بالراحتين
فضلت منه فضول تحت طى العكنتين
فقال المهدي: قبحك الله! أكنت ثالثنا؟ ثم قال: ثم ماذا؟ فقال:

فتمنيت وقلبي للهوى للهوى فى زفرتين
أننى كنت عليه ساعة أو ساعتين

فضحك المهدي وأمر له بجائزة، فقال له: يا أمير المؤمنين، أقنعت فى مثل هذه الصفة
بساعة أو ساعتين؟ قال: فبم ويحك، قال: سنة أو سنتين، فضحك وقال: اخرج عنى
قبحك الله.

١٣٦ - ومثله ما روى من أن الرشيد أنشد الأصمعى بيتاً وهو:

ليتنى عقدك أو ياليتنى تكة موشية من تككك

واستجازه فقال:

امنحيني الوصل يا سيدتي واطعميني عسلاً من عككك
ما على قومك أو ما ضرهم لو وقفنا ساعة في سككك
وقد تقدم قريب منهما في باب المجاورة.

١٣٧ - قال يزيد بن أبي يسر الرياضي في كتابه الأمثال: سمعت سيويه يقول:
دخل عبد الله بن طاهر الرى سحرًا، فسمع قمرية تنوح فقال: لله در الهلالي حيث
يقول:

ألا يا حمام الأيك إلفك حاضر وغصنك مَياد ففيم تنوح
وكان معه عوف بن محلم الشاعر، فقال له: أجز هذا البيت، فقال:

وأرقنى بالليل صوت حمامة فنحت وذو الشوق القديم ينوح
على أنها ناحت ولم تذر دمعاً ونحت وأسراب الدموع سفوح
وناحت وفرخاها بجيث تراهما ومن دون أفرأخي مهامه فيح

١٣٨ - أنبأني الشيخان الأجل العلامة تاج الدين الكندي، وابن الحرستاني إجازة
عن أبي القاسم بن عساكر سماعاً منه، أخبرنا أبو بكر المرزوقي، أنبأنا أبو منصور
العكبري، أنبأنا أبو الحسن أحمد بن محمد الصلت المحبر، حدثنا أبو الفرج على بن
الحسين الأصبهاني، حدثني على بن صالح، عن أحمد بن أبي طاهر، حدثه أنه ألقى
على فضل الشاعرة:

علم الجمال تركتني في الحب أشهر من علم
فقال:

وأجتني يا سيدي سقمًا يزيد على السقم
وتركتني غرضاً - فدي - لك - للعواذل والتهتم

١٣٩ - وذكر أبو العباس المروزي قال: صنع المتوكل بيتاً وطالب فضل الشاعرة أن
تجيزه، وهو:

لاذ بها يشتكى إليها فلم يجد عندها ملاذا

فصنعت بديهة:

ولم يزل ضارِعاً إليها تهطل أجفانه رذاذا
 فعاتبوه فزاد شوقا فمات عشقا فكان ماذا
 فطرب المتوكل وقال: أحسنت - وحياتى - يا فضل، وأمر لها بمائتى دينار، وأمر
 عريب فغنت به. قال على بن ظافر: وقد ذكرنا البيت الأخير من بيتى فضل فى حكاية
 أبى السمراء فى إجازة بيت بيت، إلا أن هذه الحكاية أثبت رواية من تلك، وهى من
 رواية أبى الفرج فى الأغانى.

١٤٠ - وبالإسناد المتقدم ذكر الثعالبي فى كتاب اليتيمة قال: جلس سيف الدولة
 أبو الحسن على بن عبد الله بن حمدان يوماً مع جماعة من خواص كتابه وأصحابه، فقال:
 أيكم يميز قولى:

لك جسمى تعلقه فدمى لم تحلله
 وليس لها إلا سيدى - يعنى ابن عمه أبا فراس بن أبى العلاء بن حمدان - فارتجل
 أبو فراس:

لك من قلبى المكا ن فلم لا تحلله
 ولئن كنت مالكا فلك الأمر كله
 فاستحسنهما ووهب له ضيعة منبج تغل ألفى دينار فى كل سنة.

١٤١ - وذكر القاضى أبو على التنوخى فى كتاب النشوار قال: أنشدنى أبو
 القاسم عبد الله بن محمد الضرورى لنفسه بالأهواز يقول:

إذا حمد الناس الزمان ذمته ومن كان فوق الدهر لا يحمد الدهرا
 وزعم أنه حاول أن يضيف إليه شيئاً، فتعذر عليه مدة طويلة، وضجر منه وتركه
 مفرداً، وكان عنده أبو القاسم المصيصى المؤدب، فسمع القول، فعمل فى الحال إجازة
 له، وأنشدها لنفسه:

وإن أوسعتنى النائبات مكارهاً ثبت ولم أجزع وأوسعتها صبرا
 إذا ليل خطب سد طرق مذهبى لجأت إلى عزمى فأطلع لى فجرا

١٤٢ - وبالإسناد المتقدم ذكر ابن بسام فى كتاب الذخيرة: أن المعتمد بن عباد
 جلس يوماً فى بعض دور الحرم، فمر عليه بعض حظاياه فى غلالة لا يكاد يفرق بينها
 وبين جسمها، وذوائب تبدى إياة الشمس فى مدلهما، فسكب عليها إناء ماء ورد كان

فى بدائع بدائه الإجازة ٧٧
بين يديه، فامتزج الكل ليناً واسترسالاً، وطيباً وجمالاً، وأدركت المعتمد أريحية الطرب،
ومادت بعطفه راح الأدب، فقال:

وهويت سالة النفوس عزيزةً تختال بيت أسنة وبواتر
وتعذر عليه المقال، فقال لبعض الخدم القائمين على رأسه: سر إلى الوليد
النحلى وخذه بإجازة هذا البيت ولا تفارقه حتى يفرغ، فأضاف إليه لأول وقوع
الرقعة بين يديه:

راقت محاسنها ورق أديمها	فتكاد تبصر باطناً من ظاهر
وتمايلت كالغصن بلله الندى	يختال فى ورق الشباب الناضر
تبدى بماء الورد مسبل شعرها	كالطل يسقط من جناح الطائر
تزهى برونقها وحسن جاهها	زهو المؤيد بالثناء العاطر
ملك تضاءلت الملوك لقدره	وعنا له صرف الزمان الجائر
وإذا لمحت جبينه ويمينه	أبصرت بدرأ فوق بحر

زاخر

فلما قرأها المعتمد استحضره وقال له: أحسنت أو كنت معنا؟ فأجابه النحلى بكلام
معناه: ياقاتل المحل أو ما تلوت: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ [النحل: ٦٨].

١٤٣ - ومن ذلك بالإسناد المتقدم أيضاً لكتاب الذخيرة ما روى ابن بسام أن
المعتمد أيضاً أمر بصنع غزال وهلال من ذهب فصيغاً، فجاء وزنهما سبعمائة مثقال،
فأهدى الغزال للسيدة ابنة مجاهد والهلال لابنه الرشيد، فوق له أن قال:

بعثنا بالغزال إلى الغزال وللشمس المنيرة بالهلال
واصطبح وحضر الرشيد فدخل عليه، وجاء الندمان والجلساء وفيهم أبو القاسم بن
مرزقان، فحكى لهم المعتمد البيت، وأمر بإجازته، فبدر ابن مرزقان فقال:

فذا سكنى أسكنه فؤادى	وذا نحلى أقلده المعالى
شغلت بذنا وذا خلدى ونفسى	ولكنى بذاك رخى بال
زفقت إلى يديه زمام ملكى	محللى بالصوارم والعوالى

فقام يقر عينى فى مضاء ويسلك مسلكى فى كل حال
فدمنا للعلاء ودام فينا فإننا للسماح وللنزال

١٤٤ - وذكر أبو الفتح بن خاقان فى كتاب القلائد قال: خرجت من إشبيلية لوداع كبير من المرابطين، فوجدت معه الوزير أبا محمد بن مالك، فلما انصرفنا عدنا متسايرين، فمررنا بمرج حسن النبات، بديع النوار، فبادر مملوك من مماليكه، وضىء الوجع إلى زهرة بديعة، فقطفها، وأتاه بها لتعجبه من حسنهما، فاقترح على أن أصفه، فقلت:

وبدر بدا والظرف مطلع حسنه وفى كفه من رائق النور كوكب
فقال مجيزاً له:

يروح لتعذيب النفوس ويغتدى ويطلع فى أفق الجمال ويغرب
ويجسد منه الغصن أى مهفهف يحيى على مثل الكثيب ويذهب

١٤٥ - قال على بن ظافر: ومن هذا القسم ما تكون الإجازة لبيت بأبيات تجعل قبله أو بعده وقبله، كما أنبأنى العماد أبو حامد قال: قال عمارة اليمنى الشاعر فى كتابه فى شعراء اليمن: إن الفقيه أبا العباس أحمد بن محمد الأبي حدثه قال: أذكر ليلة وأنا أمشى مع الأديب أبى بكر العدنى على ساحل عدن وقد تشاغل عن الحديث معه، فقال لى: فى أى شىء أنت تفكر؟ فقلت: فى بيت عملته وهو:

وأنظر البدر مرتاحاً لرؤيته لعل طرف الذى أهواه ينظره
فقال: لمن هذا البيت؟ فقلت: لى، فأنشد مرتجلاً:

يا راقداً الليل بالإسكندرية لى من يسهر الليل وجداً حين أسهره
الأحظ النوم تذكارةً لطلعته وإن جرى دمع أجفانى تذكره

١٤٦ - قال على بن ظافر: اتفق أن خرجنا للقاء القاضى الفاضل، فرأيت فى الموكب رجلاً أسود اللون، وعليه جبة حمراء، فأنكرته ولم أعرفه، ولقيت القاضى الأسعد أبا المكارم أسعد بن الخطير أطل الله بقاءه، فقلت له: من هذا الأسود الذى كأنه فحمة من دم حجامة؟ فقال لى:

كأنه ناظر طرف أرمم

فقلت: يصلح أن يكون قبله:

وأسود فى ثوبه المورد

وبعده:

أو مثل خال فوق خد أمرد

ثم لقيت بعد ذلك القاضى السعيد بن سناء الملك - رحمه الله تعالى - فأنشدته إياهما وكتمته الأول، وقلت: قد صنعت لهما أولاً، فاصنع أنت أيضاً، وقصدت بذلك اختبار القافية وتمكنها، إذ كل خاطر إنما يبادر إليها، فقال:

وأسود فى ملبس مورد

فعجبت من توارد الخاطرين لما كانت القافية متمكنة غير مستدعاة ولا مجتلبة، إلا أن قوله: «فى ملبس» أحسن من قولى: «فى ثوبه».

١٤٧ - قال على بن ظافر: وخرجت أنا وشهاب الدين يعقوب ابن أخت ابن المجاور ونحن بالإسكندرية أيام حلول الملك العزيز - رحمه الله - بها إلى جزيرتها المباركة لزيارة قبر صاحبنا القاضى الأعز أبو الحسن على بن المؤيد المردد ذكره فى هذا الكتاب، وقد كان توفى أغبط ما كان بالحياة، وأبعد ما كان من تحوف الوفاة، وغصن شبابه رطيب، والزمان على منبر فضله خطيب، فلما نزلنا بفناء قبره، وأسبلنا سيل المدامع لذكره، أنشدنى شهاب الدين بيتين صنعهما فى الطريق وهما:

أيا قبر الأعز سقيت غيئاً كجود يديه أو دمعى عليه

فلا وإخائه الصافى وداداً وددت الموت من شوقى إليه

فقال: إن بين الأول والثانى فرجة، تريد بيتاً ليسدها، فلعلك أن تسعدنى، فقلت:

وحلت جانبك مروج زهر تحاكى طيب أوقاتى لديه

١٤٨ - ومنه إجازة بيت وقسيم بقسيم، كما روى إسحاق الجصاص، قال: صنع

زهير بن أبى سلمى بيتاً وقسيماً، وهما:

تراك الأرض إمامت خفا وتحيا إن حيت بها ثقيلاً

نزلت بمستقر العز منها

ثم أكدى فمر به النابغة الذبياني، فقال له: أجز يا أبا أمامة وأنشده، فأكدى النابغة، وأقبل كعب بن زهير، وإنه لغلام، فقال له أبوه: أجز يا بنى، فقال: وما أجز؟ فأنشده فقال:

وتمنع جانبـيها أن يزولا

فضمه زهير إليه وقال له: أنت ابنى حقاً.

١٤٩ - ومن ذلك ما رواه إسحاق الموصلى قال: ولد للفضل بن يحيى بن خالد مولود، فدخل عليه أبو النضير عمر بن عبد الملك، ولم يكن علم الخبر، فلما مثل بين يديه ورأى الناس يهتونه نثراً ونظماً، وقف وأنشد ارتجالاً:

ويفرح بالمولود من آل برمك بغاة الندى والسيف والرمح والنصل

وتبسط الآمال فيه لفضله

ثم أرتج عليه فلم يدر ما يقول، فقال الفضل يلقنه:

ولا سيما إن كان من ولد الفضل

فاستحسن الناس بديهته، وأمر لأبى النضير بصلة.

١٥٠ - أنبأنى الشيخ الفقيه النبيه أبو الحسن على بن الفضل المقدسى قال: أنبأنى الفقيه أبو القاسم مخلوف بن على القيروانى، عن أبى عبد الله محمد بن أبى سعيد السرقسطى، عن أبى عبد الله محمد بن أبى نصر الحميدى، قال: أخبرنى أبو زكريا يحيى بن على الأنصارى فيما أظن، وقد كتبت منه، قال: أخبرنى عمر بن الصيرفى المقرى قال: أخبرنا محمد بن عبد الله، عن أبيه، أنه سمع أبا عمرو الكلبى قال: كنت جالساً عند أبى عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه، فأتاه من بعض إخوانه طبق فيه أنابيب من قصب السكر، وكتاب معه، فحول ابن عبد ربه الكتاب، وجاوبه بديهة وكتب فى الجواب:

بعثت يا سيدى حلو الأنابيب عذب المذاقة مخضر الجلابيب

كأنما العسل الماذى شيب به

قال الكلبى: ثم توقف فقال: يا كلبى أجز هذا البيت، فإنى لا أجد له تماماً، فقلت:

لا بل يزيد على الماذى فى الطيب

فقال: أحسنت يا كلبى، ثم أخذ القلم وأراد أن يكتبه على ما قلت، ثم كره

الاستعارة، فأطرق قليلاً ثم قال:

أو ريق محبوبة جادت محبوب

قال الكلبي: فقمنا وقبلنا رأسه سروراً منا بقوله.

١٥١ - وأخبرنى القاضى السعيد ابن سناء الملك قال: صنعت:

قد كان لى منديل كم ساذج ما جاز مسح يدى به فى مذهبه

فاعتضت عنه بنجد من أحببته

وأرتج علىّ، فلم أستطع أكمل البيت، فاستجزت القاضى تاج الدين بن الجراح،

فقال:

فمسحت فى منديل كم مذهب

١٥٢ - ومنه إجازة بيتين بيت، فمن ذلك ما روى لنا أن أبا دلامة زيد بن الجون

مولى بنى أسد دعا السيد الحميرى إلى منزله، فبكت ابنة له، فحملها على عاتقه، فبالت

عليه، فوضعها مغضباً وقال:

بللت علىّ - لا حيّيت - ثوبى فبال عليك شيطان رجيم

فما ولدتك مريم أم عيسى ولا رباك لقمان الحكيم

ثم استجاز السيد الحميرى فقال:

ولكن قد تضمك أم سوء إلى لـبـباتها وأب لـثـيم

فضحك أبو دلامة وقال: عليك لعنة الله، ما دعاك إلى هذا كله، ثم حلف لا ينازعه

بيتاً بعدها، فقال له السيد: يكون الهرب من جهتك لا من جهتى.

وقد روى أبو الفرج هذه الحكاية بإسناد ينتهى إلى على بن إسماعيل، قال: كنت

أسقى أبا دلامة والسيد... ولم يذكر سوى البيت الثانى من بيتى أبى دلامة. ورواها أبو

الفرج أيضاً بإسناد ينتهى إلى الهيثم بن عدى، وأنها كانت بين أبى دلامة وأبى عطاء

السندى، وأن أبا عطاء أجاز بيته بأن قال:

صدقت أبا دلامة لم تلدها مطهرة ولا فحل كريم

ولكن قد حوتها أم سوء إلى لـبـباتها وأب لـثـيم

وعلى هذه الرواية تدخل فى باب المجاوبة.

١٥٣ - وذكر ابن رشيق فى كتاب الأتمودج قال: اجتمعت بأبى حديدة الشاعر يوماً

وأنا سكران، فسألنى عن حال المكان الذى كنت فيه، فوصفته له، وأفضت بى صفته إلى

ذكر غلام كان ساقياً، فقلت فى عرض الكلام ولم أرد الوزن:

فـشربتها من راحتيه — كـأنها من وجتـيه
وكـأنها فى فعلها — تحكى الذى فى ناظره
وقلت له: أجز، فقال:

وشممت وردة خـده — نظراً ونرجس مقلتيه
فقلت له: أحسنت فى شمك بالنظر، كما سمع أبو الطيب بالبصر حيث يقول:

كالخط يملأ مسمعى من أبصرا

١٥٤ - واجتمع أبو عبد الله بن شرف الجذامى يوماً بأبى على بن رشيق، فوصف له منزلاً ضيقاً كان فيه، ثم صنع فى صفته، فقال:

ومنزل قبيح من منزل — النتن والظلمة والضيق
كأننى فى وسطه فيشة — ألوطه والعرق الـريق
وكان ابن شرف أعور أصلع، فقال: ابن رشيق يداعبه على طريق الإجازة:

وأنت أيضاً أعور أصلع — فوافق التشبيه تحقيق
ولو قال ابن شرف: كأننى فى وسطه فيشة فى فقرة... لكان أوضح فى تشبيه المنزل.

١٥٥ - قال على بن ظافر: وأخبرنى القاضى الأعز بن المؤيد رحمه الله بما هذا معناه: أنه كان عند أبى المعالى بن الشماس كاتب القاضى الأسعد ابن ممتى فى ليلة اصطلى فيها بالجمر من كئوس الخمر، واجتلى بها النجوم الزهر، من مجتنى نجوم الزهر، قال: فأفضت فى ذمها، وذكر عظيم إثمها، ثم ندمت على ما فرط، واعتذرت اعتذار من فرط، فقلت:

شربتم قهوةً وشربت ماءً — فأغنانى اللجين عن النضار
ومن بانـت أحبته وساروا — تعلل بالتشاغل بالـديار
ثم استجزته فقال:

وكنـت نظيركم بالشـم منها — ولكنى سلمت من الخمار
١٥٦ - قال على بن ظافر: بتنا ليلةً على المقياس عند مبالغة النيل فى نقصه

فى بدائع بدائه الإجازة ٨٣

واحتراقه وانفراجه عما لم يزل مستوراً من أرصفه وانفراقه، والمراكب قد انتظمت فى لبتة وركدت بالإرساء فوق لجته، وأحاطت به إحاطة المحيط بنقطته، وسفهاء الرياح تعبت بها حتى كادت تذهب بوقارها، وأجسادها قد لبست لفقد الماء حداد قارها وهى فى أوكارها، من المراسى مزمومة، وأجنحة قلعوها لعارض الليل مضمومة، فقلت بديهاً:

أو ما ترى المقياس قد حفت به سود المراكب فوق ظهر اللجه
يسمو وقد حفت به كفلادة سبحية فى لبة فضيه
واستجزت القاضى الأعز بن المؤيد - رحمه الله - فقال:

وكأنه حصن عليه عسكر للزنج لف بنوده للحمله
١٥٧ - ومنه إجازة بيتين بأكثر من بيت كما روى العباس بن الفضل بن الربيع،
قال: غضب الرشيد على جارية له، فحلف لا يدخل إليها، ثم ندم فقال:

صد عنى إذ رآنى مفتتن وأطال الصدم لما أن فطن
كان مملوكى فأضحى مالكى إن هذا من أعاجيب الزمن
ثم قال لجعفر بن يحيى: اطلب لى من يزيد فى هذين البيتين، فقال: ليس لهما إلا أبو
العتاهية - وكان محبوباً - فبعثوا إليه، فكتب إلى الرشيد:

يا ابن عم النبى سمعاً وطاعةً قد خلعنا الكساء والدراعه
ورجعنا إلى الصنعة لما كان سخط الإمام ترك الصنعه
فأمر بإطلاقه وصلته، فقال: الآن طاب القول، ثم قال يبيزهما:

عزة الحب أرتته ذلتى فى هواه وله وجه حسن
فلهذا صرت مملوكاً له ولهذا شاع ما بى وعلن
فقال الرشيد: أحسنت والله وأصبت ما فى نفسى، وأضعف صلته. وذكرها الصولى
فى الأوراق بقريب من هذا، وأنه كتب إليه لما أمر بالإجازة يقول:

ضعف المسكين عن تلك المحن لهلاك الروح منه والبدن
ولقد كلفت شيئاً عجباً زاد فى النكبة واستوفى المحن
قليل فرحنا ويأبى فرح أن يوافينى فى بيت الحزن
ولم يذكر العينية. وأما يزيد بن محمد المهلبى فإنه روى البيتين اللذين هما على قافية

العين لموصولين بالهاء لإسحاق الموصلى، وذلك أنه كتب بهما إلى المأمون، وكان قد ترك الغناء والمنادمة فسجنه.

١٥٨ - وذكر محمد بن جرير الطبرى فى تاريخه الكبير قال: خرج كوثر خادم الأمين لينظر الحرب أيام محاصرة طاهر بن الحسين وهزيمة ابن أعين لبغداد، فأصابه سهم غرب فجرحه، فدخل على الأمين وهو يبكى لألم الجراحة، فلم يتمالك الأمين أن جعل يمسخ عنه الدم ويقول:

ضربوا قرة عينى وممن أجلى ضربوه
أخذ الله لقلبى ممن أناس أوجعوه

ثم أرتج عليه، فاستدعى الفضل بن الربيع، وأمره بإحضار شاعر يجيز البيتين، فاستدعى لذلك عبد الله بن محمد بن أيوب التيمى، وأنشدهما له فقال:

ما لمن أهوى شيبه فبه الدنيا تننيه
وصله حلوا ولكن هجره مر كبريه
من رأى الناس له الف ضل عليهم حسدوه
مثل ما قد حسد القا ثم بالملك أخوه

فأمر الأمين له بوقر ثلاثة أبغل دراهم، فلما ولى المأمون الخلافة واستقر الأمر له توسل إليه عبد الله بالحسن بن سهل، فلما دخل عليه قال: ألت القائل:

ما لمن أهوى شيبه

فقال: بل أنا القائل:

نصر المأمون عبد الله له لما ظلموه
نقضوا العهد الذى كا نوا قديماً أكسده
لم يعامله أخوه بالذى أوصى أبوه
وأنشده فى مدحه قصيدة أولها:

جزعت ابن تيم أن علاك مشيب وبان شباب والشباب حبيب
فأمره له بعشرة آلاف درهم.

لمتيم الهاشمية جارية على بن هشام: أجزى:

تعالى تكون الكتب بينى وبينكم ملاحظة نومى بها ونشير
فعدى من الكتب المشومة حيرة وعندى من شؤم الرسول أمور
فقلت:

جعلت كتابى عبرةً مستهلةً فى الخد من ماء الجفون سطور
ورسلى لحاجاتى وهن كثيرة إليك إشارات بها وزفير
١٦٠ - أنبأنى الشيخان الشيخ الأجل العلامة تاج الدين أبو اليمن الكندى،
والشيخ الأجل الفقيه جمال الدين بن الحرستانى إجازة قالاً: أخبرنا الإمام الحافظ أبو
القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عساكر قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين،
أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن أحمد بن الحسين، أخبرنا أحمد بن محمد بن الصلت،
حدثنا أبو الفرج على بن الحسين الأصفهانى، أخبرنى جعفر بن قدامة، قال: اشترى أبو
عبادة جاريته سلمى اليمانية من نخاس مكى قدم بها عليه، فلما جاءه بها أراد أن
يتمتعها، فأنشد:

من لمحب أحب فى صغره فصار أهدوثةً على كبره
من نظر شفه فأرقه وكان مبدا هواه من نظره
ثم قال لها: أجزى، فقلت مجيبة غير متوقفة:

لولا التمنى لمات من كمد مر الليلالى يزيد فى فكره
ما إن له مسعد فيسعه بالليل فى طوله وفى قصره
الجسم يلى فلا حراك به والروح فيما أرى على أثره
١٦١ - أنبأنى الفقيه أبو محمد عبد الخالق المسكى، عن الحافظ السلفى إجازة قال:
أنبأنا أبو محمد جعفر بن السراج اللغوى، وابن بعلان الكبير، قالاً: حدثنا أبو نصر عبد
الله بن سعيد السجستانى الحافظ قال: أخبرنا أبو يعقوب النجيمى، حدثنا أبو الحسين
المهلبى، عن أبى الفوارس، عن يعقوب بن السكيت قال: عزم محمد بن عبد الله بن
طاهر على الحج، فخرجت جارية إليه شاعرة، فبكت لما رأت آلة السفر، فقال محمد بن
عبد الله:

دمعة كاللؤلؤ الرطوب من الطرف الكحيل

هطلت فى ساعة البى من على الخد الأسيل
فقلت الجارية:

حين هم القمر الزا هرر عسنا بالأفول
إنما يفتضح العش ااق فى وقت الرحيل

١٦٢ - قال على بن ظافر: ذكر ابن رشيق فى كتاب الأئموذج ما معناه قال: خرج أبو العباس بن حديدة القيروانى فى جماعة من رفقاءه طالباً للتزنه، فحلوا بروضة قد سفرت عن وجنات الشقيق، وأطلعت فى زبرجد الأرض الخضراء نجومًا من عقيق، والجو قد أفرط فى تعيبه، ونثر لغيظه جميع ما كان من لؤلؤ القطر فى كيسه، فقال ابن حديدة:

أو ما ترى الغيث المعرس باكيًا يذرى الدموع على رياض شقيق
فكان قطر دموعه من فوقها در تبدد فى بساط عقيق
قال: وأنشدنيهما فأجزتهما بأن قلت:

فاجع إلى شكايهما بزجاجة شكلين من حبب وصفو رحيق
فكأنما انتصرا لعبرة عاشق مهراقة فى وجنتى معشوق

١٦٣ - وبالإسناد المتقدم عن ابن بسام قال فى كتاب الذخيرة - ورواه الفتح بن خاقان فى كتاب قلائد العقيان - قال: ذكر أبو إسحاق بن خفاجة الحريرى الأندلسى قال: اجتمعت مع عبد الجليل بن وهبون المرسى، ونحن نريد المرية أيام مقام العدو بحصن بلبيط، فبتنا بلزقه نتجاذب أذيال المذاكرة إلى أن قام السفر فى السحر، للسرى والسفر، وقد شهروا سلاحهم، وأظهروا عددهم لقربهم من العدو، فظهر من عبد الجليل الجزع، والارتياح والهلع، مما ألجأنى إلى تسكينه بإنشاد عجائب الأشعار، وإيراد غرائب الأخبار، وهو لا يفهم ما أورده، ولا يعقل معانى ما أسرده، فمررنا فى الطريق بمشاهدين متقابلين، وعليهما رأسان منصوبان، فقلت:

ألا رب رأس لا تزاور بيئته وبين أخيه والمزار قريب
أناف به صلد الصفا فهو منبر وقام أعلاه فهو خطيب
ثم استجزته باستطالة فقال:

يقول حذار الاغترار فطالما أناخ قتيل بى وفر سليل

وينشدنا إنا غريبان هاهنا وكل غريب للغريب نسيب
فإن لم يزره صاحب أو خليله فقد زاره نسر هناك وذيب
وها هو أما منظرًا فهو ضاحك إليك وأما نصبه فكئيب
قال أبو إسحاق: فما أتم إنشاده حتى طلعت سرية العدو، فأوقعت بالركب، فأناخ
قتيلًا، وبجوت مسلوبًا، فعجبت من هذا الاتفاق.

١٦٤ - قال وصنع يوماً الأعز أبو الحسن بن المؤيد - رحمه الله تعالى - بديهاً فى

مغن:

مغن صوته يحكيه ه فى حسن وفى لين
يغنينى فى يغنينى ويحيا إذ يحينى
واستجاز شهاب الدين يعقوب ابن أخت الوزير نجم الدين بن المجاور فقال:

ويستقيني سلاف الرا ح من فيه فيشفينى
تعجلت به أجرى ولم أعطف على دينى

١٦٥ - ومنه إجازة أبيات بيت، كما أنبأنى الشيخان تاج الدين أبو اليمن زيد بن
حسن الكندى وجمال الدين الحرستاني إجازة عن الإمام الحافظ أبى القاسم على بن
الحسن بن عساكر قال: أخبرنا أبو القاسم الحسين بن محمد، أخبرنا أبو الفرج سهل بن
بشر، أخبرنا أبو الحسين على بن عبد الله الهمداني إجازة، أخبرنا أبو سعيد عبد الرحمن
ابن خيران، أخبرنا ابن الأنبارى قال: دخل الزبير بن بكار على أمير المؤمنين المعتز بالله
وهو محموم، فقال له: يا أبا عبد الله، إنى قد قلت فى ليلتى هذه أبياتاً، وقد أعيا علىّ
إجازة بعضها، وأنشدنى:

إنى عرفت علاج الجسم من وجعى وما عرفت علاج الحب والجزع
جزعت للحب والحمى صبرت لها إنى لأعجب من صبرى ومن جزعى
من كان يشغله عن حبه وجع فليس يشغلنى عن حبكم وجعى
فقال أبو عبد الله:

وما أمل حبيى ليتنى أبداً مع الحبيب ويا ليت الحبيب معى
فأمر له على هذا البيت بألف دينار.

١٦٦ - وبهذا الإسناد عن الإمام الحافظ ابن عساكر قال: حدثنا أبو عبد الله محمد

..... فى بدائع بدائه الإجازة
ابن المحسن بن أحمد الملحى لفظاً - وكتبه لى بخطه - قال: حدثنى السابق أبو اليمى محمد
ابن الخضر المعرى قال: اجتمعت بأبى عبد الله بن الخياط - يعنى الشاعر الدمشقى
بطرابلس - وكنت أنا وهو نجلس فى دكان عطار نصرانى، يعرف بأبى المفضل، فىه
ذكاء ومحبة للأدب، فخرجنا يوماً إلى ظاهر البلد، فاخترنا موضعاً نجلس فىه على غدير
هناك، فقال ابن الخياط بديهياً:

أو ما ترى قلق الغدير كأنه يبدو لعينك منه حلى مناطق
مترقرق لعب الشعاع بمائه فتراه يخفق مثل قلب العاشق
فإذا نظرت إليه راقك لمعه وعللت طرفك من سراب صادق
ولم يفتح الله على السابق ولا بلفظة، فقال العطار:

قد كنت أرجو أن تكون مصلياً حتى رأيتك سابقاً للسابق
فاستحسننا ما أتى به العطار، وجعلناه من مآثور الأخبار. قال أبو عبد الله: وكان
السابق لا يحفظ من شعره بيتاً واحداً، وأبو عبد الله بن الخياط بخلافه، يحفظ شعره منذ
عمله إلى أن مات.

١٦٧ - ومنه إجازة أكثر من بيت بأكثر من بيت، فمن ذلك ما ذكره الثعالبى فى
كتاب اليتيمة من حكاية أبى الفرج البيغاء فى دير مران، ووصفها بأن قال: وهى وإن
كان فىها بعض طول، فالبديع غير مملول، وكل ما أرويه وأسنده إلى اليتيمة فى هذا
الكتاب فهو مما أجازته لى القاضى الفقيه نبيه الدين أبو الحسن على بن المفضل المقدسى
- رحمه الله تعالى - قال: أخبرنا الشيخ الفقيه أبو القاسم على بن مهدي الإسكندرى،
قال: أخبرنا أبو الحسن على بن عبد الله بن عبد الجبار بن سلامة الهذلى قال: أخبرنا أبو
بكر محمد بن على بن الحسن التميمى قال: أخبرنا أبو محمد إسماعيل بن محمد
النيسابورى قال: أخبرنا أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى - وقد
تقدم ذكر هذا الإسناد - قال الثعالبى: قال أبو الفرج واللفظ له:

تأخرت عند سيف الدولة بدمشق مكرهاً، وقد سار عنها فى بعض وقائعه، وكان
الخطر شديداً على من أراد اللحق به من أصحابه، حتى إن ذلك كان يؤدى إلى الهب
وطول الاعتقال، فاضطرت إلى أعمال الحيلة والسلامة بخدمة من بها من رؤساء الدولة
الإخشيدية، وكانت سنى فى ذلك الوقت عشرين سنة، وكان انقطاعى منهم إلى أبى

بكر على بن صالح الروذبارى لتقدمه فى الرياسة، ومكانه من الفضل والصناعة، فأحسن تقبلنى وبالغ فى الإحسان إلىّ وحصلت تحت الضرورة والمقام، فتوفرت على قصد البقاع المستحسنة، والمتزهات المطروقة، تسلياً وتعللاً، فلما كان فى بعض الأيام، عملت على قصد دير مران - وهذا الدير مشهور الموقع فى الجلالة وحسن المنظر - فاستصحبت بعض من كنت آنس به، وتهدمت بحمل ما يصلحنا، وتوجهت نحوه، فلما حصلنا تحته أخذنا فى شأننا.

وقد كنت اخترت من رهبانه لعشرتنا من توسمت فيه رقة الطبع، وسجاجة النفس، حسبما جرى به الرسم والعادة فى غشيان الأغمار، وطروق الدير من التطرف بعشرة أهلها والأنسة بسكانها، ولم تزل الأقداح دائرة بين مطرب الغناء، ومزاهر المذاكرة إلى أن فض اللهو ختامه، ولوح السكر لصحبي أعلامه، فحانت منى التفاتة إلى بعض الرهبان، فوجده إلى خطابى متوثباً، ولنظري إليه مترقباً، فلما أخذته عينى أكب يزعجنى بخفى الرمز ووحى الإيماء، فاستوحشت لذلك وأنكرته، ونهضت عجباً واستحضرتة، فأدرج لى رقة مختومة، وقال لى: قد لزمك فرض الأمانة فيما تتضمنه هذه الرقعة وسقط ذمام كاتبها فى سترها بك عنى، ففضضتها، فإذا فيها مكتوب بأحسن خط وأملحه وأقواه وأوضحه:

بسم الله الرحمن الرحيم، لم أزل فيما تؤديه هذه الرقعة - يا مولاي - بين حزم يحث على الانقباض عنك، وحسن ظن يحض على التسامح بنفيس الحظ منك، إلى أن استنزلتنى الرغبة فيك على حكم الثقة بك من غير خبرة، فرفعت سجع الحشمة، وأطعت فى الانبساط أوامر الأنسة، وانتهزت فى التوصل إلى مودتك فائت الفرصة، والمستماح منك - جعلنى الله فداك - زورة أرتجع بها ما اغتصبتنيه الأيام من المسرة، مهنة بالانفراد إلا من غلامك الذى هو مادة مسرتك:

وما ذاك عن خلق بضيق بطارق ولكن لأخذى باحتياط على حالى
فإن صادف ما خطبته منك - أيدك الله - قبولاً، ولديك نفاقاً، فمنية غفل الدهر عنها، إذ فارق مذهبه فيما أهدها إلىّ منها، وإن جرى على رسمه فى المضايقة فيما أوثره وأهواه، وأترقبه من قربك وأتمناه، فذمام المروءة يلزمك رد هذه الرقعة وسترها وتناسيها، وأطراح ذكرها إن شاء الله تعالى. وإذا بأبيات تتلو الخطاب وهى:

يا عامر العمر بالفتوة وال
هل لك فى صاحب تناسب فى ال
أوحشه الدهر فاستراح إلى
فإن تقبلت ما أتاك به
وإن أبى الدهر دون رغبته
قصف وحث الكئوس والطرب
غربة أخلاقه وفى الأدب
قربك مستنصراً على السونب
لم تشب الظن فيك بالكذب
فكمن كمن لم يقل ولم يجب

قال أبو الفرج: فورد على ما حيرنى، واسترد ما أخذه الشراب من تمييزى، وحصل لى فى الجملة أن أغلب الأوصاف على صاحبها فى الكتابة خطأ وترسلاً ونظماً، وشاهدته بالفراصة من ألفاظه، وحمدت أخلاقه قبل الاختبار من رقعته، فقلت للراهب: ويحك، من هذا؟ وكيف السبيل إلى لقائه؟ فقال: أما ذكر حاله فإليه إذا اجتمعنا، وأما السبيل إلى لقائه فسهل إن شئت، قلت: دلنى، قال: تظهر فتوراً، وتنصب عذراً تفارق به أصحابك منصرفاً، فإذا صرت بباب الدير عدلت بك إلى باب صغير تدخل منه. فرددت الرقعة عليه وقلت: أذفعها إليه ليمكن أنسه بى وسكونه إلى، ثم عرفته أن التوفر على أعمال الحيلة المبادرة إلى حضرته على ما أثره من التفرد أولى من التشاغل بإصدار جواب وقطع وقت بكتابته.

ومضى الراهب وعدت إلى أصحابى بغير النشاط الذى ذهبت به، فأنكروا ذلك منى، فاعتذرت إليهم بشيء عرض لى، واستدعيت ما أركبه، وتقدمت إلى من كان معى من الخدم بالتوفر على خدمتهم، وقد كنا عولنا على المبيت، فأجمعوا على تعجيل السكر والانصراف، وخرجت من باب الدير ومعى صبى صغير كنت آتس به وبخدمته، وتقدمت إلى الشاكرى برد الدابة وستر خبرى ومباكرتى. وتلقانى الراهب، فعدل بى إلى طريق فى مضيق، وأدخلنى الدير من طريق غامض، وصار بى إلى باب قلاية يتميز عما يجاوره من الأبواب نظافةً وحسنًا، فقرعه بمركات مختلفة كالعلامة بينهما، فابتدرنا منه غلام كأن البدر ركب على أزراره: مهفهف الكشح مخطفه، معتدل القوام أهيفه، نخال الشمس برقعت غرته، واللليل ناسب أصداعه وطرته.

فى غلالة تم على ما تستر، وتحفو مع رقتها عما يظهر، وعلى رأسه مجلسية فصمته، فبهر عقلى، واستوقف نظرى، ثم أجفل كالظبى المذعور، وتلوتوه والراهب إلى صحن القلاية، فإذا أنا بببيت فضى الحيطان، رخامى الأركان، يضم طارمة خيش مفروشة بحصير مستعمل، فوثب إلينا منه فتى مقتبل الشيبية، حسن الصورة، ظاهر النبل والهيفة،

متزى من اللباس بزى غلامه، فلقينى حافياً يعثر فى سراويله، واعتقنى ثم قال: إنما استخدمت هذا الغلام فى تلقيك يا سيدى لأجعل ما لعلك استحسنته من صورته، مصانعاً لما يرد عليك من مشاهدتى.

فاستحسنت اختصاره الطريق إلى بسطى، وارتجاله إلى النادرة على نفسه حرصاً على تأنيسى. وأفاض فى شكرى على المسارعة إلى امتثال أمره، وأنا فى خلال ذلك أوصل المبالغة فى الاعتداد به، ثم قال: يا سيدى أنت مكدود بمن كان معك، والتمكن من الأنس بك لا يتم إلا براحتك.

وقد كان الأمر على ما ذكر، فاستلقت يسيراً ثم نهضت، فخدمت فى حالتى النوم واليقظة الخدمة التى عهدتها فى دار الملوك وجلة الرؤساء. ثم جاءنا خادم لم أر أحسن وجهاً، ولا أتم سواداً منه، يضم ما يتخذ للعشاء مما خف ولطف، فقال: يا سيدى العشاء منى للحاجة ومنك للموانسة، فنلنا شيئاً.

وأقبل الليل وطلع القمر، ففتحت مناظر ذلك البيت إلى فضاء أدى إلينا محاسن الغوطة، وحبانا بذخائر رياضها من المنظر الجنانى، والنسيم العطرى، وجاءنا الراهب من الأشربة بما وقع اتفاقنا عليه، واقتعدنا غارب اللذة، وجربنا فى ميدان المفاوضة، وأخذ يناهبنى نوادر الأخبار، وملح الأشعار، ويخلط ذلك من المرح بأظرفه، ومن التودد بالطفه، فلما توسطنا الشرب التفت إلى غلامه وقال: يا مترف، إن مولاك لم يدخر عنا ممكناً من السرور بمحضرتة، فينبغى لنا ألا ندخر ممكناً من تمام مسرته. فامتقع وجه الغلام حياءً وخفراً، فأقسم عليه بحياته، وأنا لا أعلم ما يريد، فمضى ثم عاد يحمل طنبوراً، وجلس فقال لى: تأذن لى يا سيدى فى خدمتك؟ فهملت بتقيل يديه لما داخلنى من عظم المسرة بذلك، فأصلح الغلام الطنبور، وضرب وغنى يقول:

يا مالكى وهو ملكى وسالى ثوب نسكى
نزه يقين الهوى فى ك عن تعرض شك
لولاك ما بت أبكى إلى الصباح وأبكى

فنظر إلى الغلام وتبسم، فعلمت أن الشعر له، وكدت - والله - أن أطير طرباً وفرحاً لملاحه خلقه، وجودة ضربه، وعذوبة منطقه، وتكامل حسنه، فاستدعيت كيزاناً، فأحضر الغلام عدة قطع من البلور، وجيد الجام المحكم، فشربت سروراً بوجهه، وشرب بمثل ما شربت به. ثم قال: أنا - والله - يا سيدى أحب ترفيهك، ألا

أقطعك عما أنت متوفر عليه، ولكن حيث عرف الاسم والنسب والصناعة واللقب، فلا بد أن تسم ليلىنا هذه بشيء يكون لها طرازاً، ولذكرها علماً، فجدبت الدواة وكتبت ارتجالاً، وقد أخذ الشراب منى:

وليلة أوسعتنى لهواً وحسناً وأنسا
ما زلت ألثم بدرأ بها وأشرب شمساً
إذ أطلع الديبر سعداً لم يبق مذب نحسا
فصار للسروح منى روحاً وللنفس نفساً

فطرب لقولى: «ألثم بدرأ وأشرب شمساً» وجذب غلامه فقبله، وقال: لم أجهل يا سيدى ما يجب لك من التوقير، وإنما اعتمدت تصديقك فيما ذكرته، فبحياتى إلا فعلت مثل ذلك بغلامك، فاتبعت آثاره خوفاً من احتشامه، ثم أخذ الأبيات وجعل يرددها، ثم أخذ الدواة وكتب إجازة لها:

ولم أكن لغريمى والله أبذل فلنسا
لو ارتضى لى غريمى بدير مران حبساً
فقلت له: إذأ - والله - ما كان أحد يؤدى حقاً ولا باطلاً.

وداعبته فى هذا المعنى بما حضرنى، وعرفت فى الجملة أنه مستتر من دين قد ركبته، فقال لى: يا سيدى، قد خرج لك أكثر الحديث، فإن عذرت وإلا ذكرت لك القصة، فأثرت مراده فى كتمان أمره، فقلت: يا سيدى، كل ما لا يتعرف بك نكرة، وقد أغنت المشاهدة عن الاعتذار، ونابت الخبرة عن الاستخبار، وجعل يشرب وينتخب من غير إكراه ولا إبطاء، إلى أن رأيت الشراب قد دب فيه، وأكب على محادثة غلامه والفتنة تشبه فى الوقت بعد الوقت، فأظهرت السكر وحاولت النوم، وجاء الغلام برذعة ففرشها بإزاء برذعته، فنهضت إليها، فقام وتفقد أمرى بنفسه، فقلت له: إن لى مذهباً فى تقريب غلامى منى، واعتمدت فى ذلك تسهيل ما يختاره من غلامه فى هذه الحال، فتبسم وقال لى بسكره: وجمع الله لك المسرة كما جمعه لى بك، وأظهرت النوم، وعاد يحادث غلامه بأعذب لفظ وأحلى معاتبة، ويخلط ذلك بمواعيد تدل على سعة حال وانبساط يد، وغلامه تارة يقبل يده وتارة يقبل فمه.

وغلبتنى عينائى إلى أن أيقظنى هواء السحر، فانتبهت وهما متعانقان مما عليهما من

اللباس، فأوردت توديعه وكرهت إنباهه وإزعاجه، فخرجت، فلقيني الخادم يريد إيقاظه وتعريفه انصرافي، فأقسمت عليه ألا يفعل، ووجدت غلامي قد بكر بما أركبه كما كنت أمرته، فركبت منصرفاً وعازماً على العودة إليه، والتوفر على مواصلته، وأخذ الحظ من معاشرته، ومتوهماً أن ما كنت فيه منام لطيبه، وقرب آخره من أوله.

واعترضتني أسباب أدت إلى اللحاق بسيف الدولة، فسرت على أم حسرة لما فاتني من معاودة لقائه، وقلت في ذلك:

ويوم كأن الدهر ساعنا به
جرت فيه أفراس الصبا بارتياحنا
بجيث هواء الغوطتين معطر ال
فمن روضة بالحسن ترفد روضةً
وفى الهيكل المعمور منه افترعته
ونزهت عن غير الدنانير قدرها
وحل لنا ما كان منها محرماً
فأهدت لي الأيام منها مودةً
أتى من شريف الطبع أصدق رغبة
فلاقيت ملء العين نبلاً وهمةً
وكان جوابي طاعةً لا مقالةً
وأحشمني بالود حتى ظننته
ونزه عن غير الصفاء اجتماعنا
وشاء سرور أن يلينا بثالث
بمعط عيوناً ما اشتهدت من جماله
جنينا جنى الورد في غير وقته
قابلنا من وجهه وشرابه
وغنى فصار السمع كالطرف آخذاً
وأمتعنا من وجنتيه بمثل ما
سرور شكرنا منة الصحو إذ دعا
كأن الليالي نمن عنه فعندما

فصار اسمه ما بيننا هبة الدهر
إلى دير مران المعظم والعمير
نسيم بأنفاس الرياحين والزهر
ومن نهر بالفيض يجري إلى نهر
وصحبي حلالاً بعد توفية المهر
فما زلت منها أشرب التبر بالتبر
وهل يحظر المحظور في بلد الكفر
دعتني إلى ستر فلبيت في ستر
يخاطبني عن معدن النظم والنثر
محلّى السجايا بالطلاقة والبشر
ومن ذا الذي لا يستجيب إلى اليسر
يريد اختداعى عن حياتي ولا أدري
فكنت وإياه كقلبين في صدر
فلاطفنا بالبدر أو بأخى البدر
ومضن قلوباً بالتجنب والمهجر
وزهر الربا من ورد خديه والثغر
بشمسين في جنحى دجا الليل والشعر
بأوفر حظ من محاسنه الزهر
تمزج كفاه من الماء والخمر
إليه ولم نشكر به منة السكر
تنبهن نكين الوفاء إلى الغدر

مضى فكأنى كنت منه مهوماً يحدث عن طيف الخيال الذى يسرى
وهل يحصل الإنسان من كل ما به تسامحه الأيام إلا عن الذكر

ولم أزل على أتم قلق، وأعظم حسرة، وأشد أسف، على ما سلبته من عظيم النعمة
بفراق الفتى، لا سيما ولم أحصل منه على حقيقة علم، ولا نص خبر، يؤدى إلى
الطمع فى لقائه إلى أن عاد سيف الدولة إلى دمشق، وأنا فى جملته، فما بدأت بشيء قبل
مصري إلى الراهب، وقد كنت حفظت اسمه، فخرج إلى مرعوباً، وهو لا يعلم ما
السبب.

فلما رآنى استطار فرحاً، وأقسم لا يكلمنى إلا بعد النزول والمقام عنده يومى ذلك،
فلما جلسنا للمحادثة قال لى: ما لى أراك لا تسألنى عن صاحبك، قلت: والله ما لى فكر
ينصرف عنه، ولا أسف يتجاوز ما حزته منه، ولا سررت بعودى إلى هذا البلد إلا من
أجله، ولذلك بدأت بقصدك، فاذا لى خبره.

فقال: أما الآن فنعم، هذا فتى من الماردانيين، جليل القدر، عظيم النعمة، كان قد
ضمن من سلطانه بمصر ضياعاً بمال عظيم، فخاس به ضمانه لعود السعر عنه،
وأشرف على الخروج من نعمته فاستتر. ولما اشتد البحث عنه خرج مستخفياً إلى أن
ورد دمشق بزى تاجر، وكان استتاره عند بعض إخوانه ممن لى به ارتباط، فإنى كنت
عنده يوماً إذ ظهر لى، وقال لصديقه: إنى أريد الانتقال إلى هذا الراهب إن كان مأموناً
على، فذكر له صديقه مذهبه، وأظهرت له السرور بما رغب فيه من الأنس بى، وأنا لا
أعرفه، غير أن صديقى قد أمرنى بخدمته.

فلما حصل فى قلايتى واصل الصوم، فلما كان بعد أيام جاءنا الرسول من عند
صديقنا، ومعه الغلام والخادم، وقد لحقا به، ومعهما سفاتج، وعليهما ثياب رثة، فلما نظر
إلى الغلام والخادم قال: يا راهب قد حل الفطر، وجاء العيد، ووثب إلى الغلام فاعتقه،
وجعل يقبل عينيه ويكى، ثم وقف على السفاتج، فأنفذها مع رقعة إلى صديقه.

فلما كان بعد يومين حمل إليه ألفى دينار وما يحتاج إليه من فرش وملبوس، ولم يزل
مكباً على ما رأيت إلى أن ورد عليه البغال والآلات السنينة الحسنة من مصر، وكتب إليه
أهله باجتماعهم بصاحب مصر وتعريفهم إياه الحال فى بعده عن وطنه لضيق ذات

يده عما يطالب به، والتوقيع بمحططة المال، فلما أعمل المسير قال لغلامه: سلم جميع ما بقى معك من النفقة إلى الراهب ليصرفه فى مصالح الدير إلى أن نواصل تفقده فى مستقرنا، وسار وماله حسرة غيرك، ولا أسف إلا عليك، يقطع الأوقات بذكرك، ولا يشرب إلا على ما يغنيه الغلام من شعرك، وهو الآن بمصر على أحسن الأحوال وأجلها ما يخل بتفقدى، ولا يغيب برى.

قال أبو الفرج: فتعجلت بعد السلوة بما عرفت من حقيقة خبره، وأتممت يومى عند الراهب، وكان آخر العهد به.

قال على بن ظافر: أقسم بالله إن هذه الحكاية - وإن طالت - لحقيقة أن تكتب بالمثل السود، على صفحات الحدود، ولقد أذرت بمرأى العقود بين الترائب والنهود، فرحم الله أبا الفرج وصاحبه، فلقد استحقنا منا بهذه الحكاية حمداً وشكراً، وأبقيا لهما فى الظرفاء ذكراً، ولقد بلغ من طربى بها، وارتياحى عند قراءتها، ما أنى أوسع هذا الفتى الماردانى دعاءً وترحيماً، وأتبع ذكره صلاة عليه وتسليماً، حتى أنى أكثر قصد ترب الماردانيين بالزيارة والدعاء، أملاً أن يكون فى جملتهم وطمعاً أن يكون مدفوناً معهم، وما أنا وإياهم إلا كما قال خالد بن يزيد:

أحب بنى العوام من أجل حبها ومن أجلها أحببت أخوالها كلبا
وهذه غاية جهدى مع تربة دائرة ورمة بالية، فرحمة الله كلما غرب نجم وطلع، ونبت نجم وأينع بجرمة محمد ﷺ.

١٦٨ - أنبأنى العماد أبو حامد، أخبرنى أبو على الحسن بن سعد الشاتانى، قال لى نجم الدين بن الشهرزورى قاضى الموصل: دخل إلى شاب من أهل بغداد، فأثنى هذه الأبيات:

فى نهر عيسى والهواء معنبر والماء فضى القميص صقيل
والطير إما هاتف بقيرينه أو نادب يشكو الفراق ثكول
والدهر كالليل البهيم وأنتم غرر تضىء ظلامه وحجول
واستجازنى فقلت:

والغصن مهزوز القوام كأنما هبت عليه من الشمال شمول
وكأنما السرو التحفن بسندس ورقصن فارتفعت لهن ذيول

١٦٩ - قال على بن ظافر: واتفقت لى وللقاضى الأجل شهاب الدين يعقوب
سفرة إلى البيت المقدس للتبرك بما هناك من البقاع المقدسة، والمشاهد المعظمة، وأجدات
الأنبياء المباركة الطيبة، فلما جد بنا المسير، وسهل من فراق الأهل والأوطان العسير،
وقطعت المطايا بنا الربا والوهاد، ولم يسمع إلا هيد وهاد صنع الشهاب:

يا رب سير كالشهاب المحرق
قدحته من زند عود أورك
يسير فى الخرق مسير الأخرق
فهل رأيت عيناك عدو النقتق
حتى إذا ما أفتقر ثغر المشرق

ثم استجازنى فقلت:

ولاح فى الجوا احمرار الشفق
كالخمر صبت فى زجاج أزرق
بدا على الآل قطار الأينق
كمثل سطر فى بياض مهرق
أو كالمدارى فى مشيب المفرق
كم بازل فى بجره كالزورق
أو كهلال مشرق فى زبرق

١٧٠ - وهذه أيضاً حكاية بديعة، تشتمل على نوعى الإجازة القديم والعصرى،
قصدت بإيرادها فى هذا الموضوع أن تكون دهليزاً للخروج من القسم الأول، والدخول
فى القسم الثانى لما بينهما من الاشتراك فيها:

روى من طرق مختلفة كتبت أكملها وأتمها، أن الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر
ارتاح منادمة من بعد عهده بمنادمته، أو من لم يره، وحضره صاحبه الحسن بن محمد بن
طالوت - وكان أخص الناس به - فقال له: لا بد لنا فى يومنا هذا من ثالث، نطيب
بمعاشرته، ونلتذ بصحبته ومؤانسته، فمن ترى أن يكون طاهر الأعراق، غير دنس
الأخلاق، فأعمل فكره، وأمعن نظره، وقال: أيها الأمير، قد خطر ببالى رجل ليست
علينا فى مجالسته كلفة، قد خلا من إبرام المجالسة، وبرئ من ثقل المؤانسة، خفيف

الوقفة إذا أحببت، سريع الوثبة إذا أمرت، قال: ومن ذاك؟ قال: ماني الموسوس، قال: أحسنت والله، فتقدم إلى أصحاب الأرباع بطلبه، فما كان أسرع من أن اقتنصه صاحب ريع الكرخ، فصار به إلى باب الأمير، فأدخل الحمام، وأخذ من شعره، وألبس ثياباً نظيفاً، ثم أدخل عليه، فقال: السلام عليك أيها الأمير، فقال: وعليك السلام يا ماني، ألم يأن أن تزورنا على حين توفان منا إليك، ومنازعة قلوبنا نحوك! فقال ماني: الشوق شديد، والمزار بعيد، والحجاب عتيد، والبواب فظ، ولو سهل الإذن لسهلت علينا الزيارة، قال: لقد ألفت في الاستئذان، فلا تمتع في أي وقت جئت من ليل أو نهار، ثم أذن له فجلس، ثم دعا بالطعام فأكل، ثم غسل يده وأخذ مجلسه، وكان محمد قد تشوق إلى السماع من تنوسة جارية ابنة المهدي، فأحضرت، فكان أول ما غنت:

ولست بناس إذ غدوا فتحملوا دموعى على الأحباب من شدة
وقولى وقد زالت بليل همولهم بواكر تحدى لا يكن آخر العهد
فقال ماني: أحسنت والله بحق رأس الأمير إلا ما زدت فيه:

أقمت أناجى الفكر والدمع حائر بمقلة موقوف على الجهد والصد
ولم يعدنى هذا الأمير بعزه على ظالم قد لج في الهجر والصد
فاندفعت تغنيه، فرق محمد بن عبد الله له وقال: أعاشق أنت يا ماني؟ قال:
فاستحيا، وغمزه ابن طالوت لثلا يبوح له بشيء فيسقط من عينه، فقال: بل هلع
مطرب أعز الله الأمير، وشوق كان كامناً فظهر، وهل بعد المشيب من صبوة، ثم اقترح
محمد على تنوسة هذا الصوت من شعر أبي العتاهية:

حجبوها عن الرياح لأنى قلت يا ريح بلغيتها السلاما
لو رضوا بالحجاب هان ولكن منعوها يوم الرحيل الكلاما
فغنته فطرب محمد، فقال ماني: ما على قائل هذا الشعر لو زاد فيه:

فتنفست ثم قلت لطيفى آه لو زرت طيفها إلاما
خصها بالسلام سراً وإلا منعوها لشقوتى أن تناما
فكان أبعث للصبابة بين الأحشاء، وأطف تغلغلاً على كبد الظمان من زلال الماء،
مع حسن تأليف نظامه، وانتهائه إلى غاية تمامه.

قال محمد: أحسنت والله يا ماني، ثم أمر تنوسة بإلحاقها هذين البيتين بالأولين،

ففعلت، ثم غنت هذين البيتين من شعر أبى نواس:

يا خليلى ساعة لا ترميا وعلى ذى صبابه فأقيما
 ما مررنا بدار زينب إلا فضح الدمع سرها المكتوما
 فاستحسنه محمد، فقال مانى: لولا رهبة التعدى لأضفت إلى هذين البيتين بيتين لا
 يردان على سمع ذى لب إلا صدر استحسانه لهما، فقال محمد: الرغبة فيما تأتى به
 حائلة دون كل رهبة، فهات ما عندك، فقال:

ظبية كالغزال لو تلاحظ الصخ ر بطرف لغادرته هشيم
 وإذا ما تبسمت خلت ما تب دى من الثغر لؤلؤاً منظوما

فقال محمد: أحسنت والله فأجز هذا الشعر:

لم تطب اللذات إلا لمن طابت له لذة تنوسه
 غنت بصوت أطلقت عبرة كانت بحسن الصبر محبوسه

فقال مانى:

وكيف صبر النفس عن غادة تظلمها إن قلت طاووسه
 وجرت إن شبهتها بانة فى جنة الفردوس مغروسه

ثم سكت فقال محمد: فأعد لى وصفك لها فقال:

وغير عدل إن قرنا بها جوهرة فى التاج ملموسه
 جلت عن الوصف فما فكرة تلحقها بالنعى محسوسه

فقال تنوسة: وجب علينا يا مانى شكرك، فساعدك دهرك، وعطف عليك إلفك،
 وقارنك سرورك، وفارقك محذورك، والله تعالى يديم لنا السرور ببقائه من بقاءه اجتمع
 شملنا، وطاب يومنا، فأنشأ يقول:

ليس لى إلف فيقطعنى فارقت نفسى الأباطيل
 أنا موصول بنعمة من حبله بالحمد موصول
 أنا مشمول بمنة من منه فى الخلق مبدول
 أنا مغبوط بزورة من ربعه بالجهد مأهول

فأوماً إليه ابن طالوت بالقيام، فنهض وهو يقول:

ملك عز النظير له زانه الغر البهاليل

طاهرى فى مركبه عرفه للناس مبدول

دم من يشقى بصارمه مع هبوب الريح مطلول

فقال محمد: وجب جزاؤك لشكرك على غير نعمة سلفت منا إليك. ثم أقبل على ابن طالوت فقال: يا هذا، ليست خسارة ثوب المرء واتضاع المنظر ونبو العين بمذهبة جوهر الأدب المركب فيه، والله در صالح بن عبد القدوس حيث يقول:

لا يعجبنك من يصون ثيابه حذر الغبار وعرضه مبدول

فلربما افتقر الفتى فرأيته وسخ الثياب وعرضه مغسول

قال ابن طالوت: فما رأيت أحداً أحضر دهنًا منه، إذ تقول له الجارية: عطف عليك إلفك، فينفيتها بقوله:

ليس لى إلف فيقطعنى

قال: ولم يزل مجريا عليه رزقاً سنياً إلى أن مات.

١٧١ - القسم الثانى ما تكون الإجازة فيه لشعر قديم، فمنه إجازة بيت بيت، كما روى إسحاق الموصلى، قال أبو الجيب شداد بن عقبة: دعا رجل من الحى - يقال له: أبو سفيان - رجلاً من حيه اسمه القتال الكلابى إلى وليمة، فجلس القتال ينتظر رسوله، ولا يأكل حتى ارتفع النهار، وكانت عند امرأته فقرة من حوار، فلما يس قال:

فإن أبا سفيان ليس بمولم فقومى فهاتى فقرة من حوارك

قال إسحاق: فقلت له: ثم ماذا؟ قال: لم يأت بعده بشيء، إنما أرسله يتيماً، فقلت:

أفلا أزيدك إليه بيتاً آخر ليس بدونه؟ قال: بلى، فقلت:

فبيتك خير من بيوت كثيرة وقدرك خير من وليمة جارك

فقال: بأبى أنت وأمى، والله لقد أرسلته مثلاً وما انتظرت به العرب، وإنك لبز طراز، ما رأيت فى العراق مثله، وما يلام الخليفة على أن يدنيك ويؤثرك ويتملح بك، ولو كان السباب يشتري لابتعته لك بإحدى يدي، ويمنى عينى، على أن فيك بحمد الله منه بقية تسر الودود، وترغم الحسود.

..... فى بدائع بدائه الإجازة
 هذا من رواية الأصبهاني متصل بعمر بن شبة وحامد، عن إسحاق. وفى رواية له
 متصل بالأخفش ويزد المهلبى أن إسحاق قال: أخبرنى أبو زياد الكلابى قال: أولم جار
 لى... وذكر الحكاية. والبیت الأول فيها لأبى زياد، فعلى هذا تكون من إجازة بیت
 عصرى بییت.

١٧٢ - ومن ذلك ما روى أحمد بن أبى فتن قال: دخل أبو نواس على الذلفاء
 جارية ابن طرخان، ودخل على إثره مروان بن أبى حفصة، فرفعه مولاها عنه،
 فغضب، وقال: أجزى لجرير:

غیضن من عبراتهن وقلن لى ماذا لقيت من الهوى ولقينا
 فقالت - وكانت تشب بالرشيد -:

هیجت بالبیت الذى أنشدتنى حبا بقلبى للإمام دفيننا
 فقام أبو نواس عند ذلك، وخرج وهو ينشد:

عجبا من حماقة الذلفاء تشهى فياشل الخلفاء
 قال ابن أبى فتن: فأجزت أنا قول أبى نواس، وأكثر الناس يروونه له:

لو تشهيت غيره كان أولى من أيور الدناة والضعفاء
 إن أدنى الأمور عندى منالاً شهوات الأكفاء للأكفاء

١٧٣ - وروى أحمد بن معاوية قال: قال لى رجل: تصفحت كتباً، فوجدت فيها
 بيتاً جهدت جهدى أن أجد من يجيزه، فلم أجد، فقال لى صديقى: عليك بعنان جارية
 الناطقى، فجتتها فقلت: أجزى:

فما زال يشكو الحب حتى رأيته تنفس فى أحشائه وتكلما
 فلم تلبث أن قالت:

ويكى فابكى رحمة لبكائه إذا ما بكى دمعاً بكيت له دما

١٧٤ - وروى العباس بن رستم قال: دخلت مع أبان اللاحقى على عنان فى
 خيشها فقال:

العيش فى الصيف خيش

فقالت مسرعة:

إذ لا قـتال وجـيش

قال: فأنشدتها لجرير:

ظللت أوارى صاحبي صبابتي وقد علقتنى من هواك علوق
فقلت:

إذا أغفل الخوف اللسان تكلمت بأسراره عين عليه نطوق
١٧٥ - وذكر الجهمشيارى فى كتاب الوزراء والكتاب، حدث محمد بن الفضل
الهاشمى قال: حدث أحمد بن سلمة الكاتب أنه قال لعياش بن القاسم: اجتمعت مع
عمرو بن مسعدة وأحمد بن يوسف فى مجلس فىه قينة، فغنت:

أناس مضوا كانوا إذا ذكر الألى مضوا قبلهم صلوا عليهم وسلموا
فقال عمرو: هو - والله - حسن، إلا أنه مفرد، فأضيفوا إليه بيتاً آخر، فإنه أحسن
له وأطول للقافية، وأطوع للغناء فيه، فقال أحمد بديهاً:

وما نحن إلا مثلهم غير أننا أقمنا قليلاً بعدهم وتقدموا
فغنت بهما المغنية، فطربوا وشربوا عليهما بقية يومهم.

١٧٦ - وروى على بن الحسن الباخرزى فى كتاب «دمية القصر» أن أبا جعفر
محمد بن إبراهيم المعدنى، معدن زوزن، رأى على جدار بيتاً مكتوباً:

لكل شىء من فقده عوض وما لفقده الشباب من عوض
وليس فى الدهر من شدائده أشد من فاقة على مرض
١٧٧ - وذكر أحمد بن أبى طاهر قال: ألقى بعض أصحابنا على فضل الشاعرة:
ومستفتح باب البلاء بنظرة تزود منها قلبه حسرة الدهر
فقلت مسرعة:

فوالله ما ندرى أتدرى بما جنت على قلبه أم أهلكته ولا تدرى
١٧٨ - وروى الفضل بن العباس الهاشمى عنها وعن بنان الشاعرة، قالت: توكتأ
المتوكل على يدى ويد فضل وقال: أجزى قول الشاعر:

تعلمت أسباب الرضا خوف سخطه وعلمه حبى له كيف يغضب

فقلت فضل:

يصد وأدنو بالمودة جاهداً ويبعد عنى بالوصال وأقرب
فقلت أنا:

وعتدى له العتبي على كل حالة فما منه لى بد ولا عنه مذهب
١٧٩ - قال على بن ظافر: أنشدنى أبو القاسم الصيرفى فى قول عبد الله بن
السمط:

حار طرف تأملك ملك أنت أم ملسك
فقلت بديهاً:

بل تعاليت رتبةً فللك الأرض والفللك
١٨٠ - وأخبرنى بهاء الدين بن الساعاتى المقدم ذكره قال: غنى مغن فى مجلس
كنت به حاضراً:

يا بدر عدالى عليك كثيرة والمسعدون على هواك قليل
فأجزته بديهاً فقلت:

فى الصبر عن هذا القوام ولينه قصر وفى شرح الصباية طول
١٨١ - وأخبرنى الأديب أبو القاسم العداس المنبوز بالراوية قال: قصد الشيخ
أبو الخير سلامة الأنبارى الضرير النحوى تعجيزى بين يدى الشيخ العلامة أبى
محمد بن برى، لسر كان بينى وبينه، فقال لى: إن كنت شاعراً كما تزعم فأجز:
أدرجت فى أثناء نسيانكم حتى كأنى ألف الوصل
فقلت بديهاً:

وكنت عين الفعل فى قربكم فصرت لام الجرف فى الفعل
١٨٢ - قال على بن ظافر: أنشدنى بعض أصحابنا هذا البيت من شعر ابن منير
وسألنى إجازته:

يجل عن التشبيه فى الحسن وجهه فبدر الدجى من حسنه يتعجب
فقلت فى قصيدة اقتضاها سؤاله:

ومن كان بدر التم يعجب أن رأى محاسنه بالسدر كيف يلقب
١٨٣ - ومنه ما تكون الإجازة فيه لبيت بأكثر من بيت، روى أبو الفرج فى كتاب

فى بدائع بدائه الإجازة ١٠٣

القيان والمغنين أن بذلاً الكبيرة جارية عبد الله بن موسى الهادى غنت بين يدى المأمون:

ألا لا أرى شيئاً ألد من الوعد ومن أمل فيه وإن كان لا يجدى
فصنع المأمون بيتين بديهاً وقال: زيديهما فيه:

ومن غفلة الواشى إذا ما لقيته ومن زورتى أبياتها خالياً وحدى
ومن ضحكة فى الملتقى ثم سكتة وكلتاها عندى ألد من الشهد
١٨٤ - وبالإسناد المتقدم ذكر ابن بسام فى الذخيرة قال: غنى يوماً بين يدى العالى
الإدريسى بمالقة ببيت لعبد الله بن المعتز:

هل ترين البدر يخال إن غدت للسير أجمال
فأمر الفقيه أبا محمد غانم بن الوليد الملقى بإجازته فقال بديهاً:

إنما العالى إمام هدى جلبت فى عصره الخال
ملك إقبال دولته لذوى الأفهام إقبال
قل لمن أكدت مطالبه راحتاه الجاه والمال
١٨٥ - وأخبرنى أبو الحسن بن الساعاتى المقدم ذكره، قال: غنى مغن فى بعض
المجالس:

أسفى على بان القدود ريان أثمر بالهنود
وكان عندنا بالمجلس رجل كبير الأنف يتطايب، وكان ينعت بالسديد، فأردت العبث
به، فقلت بديهاً:

يا مانعى صفو الوصا ل وما نحى كدر الصدود
ما ضاقت الدنيا على وقد حوت أنف السديد
١٨٦ - وغنى بعض القوالين يوماً:

سلام على من لست أرجو وصاله وغير الصبا ما لى إليه رسول
فأجابه الشهاب بن المجاور بديهاً بقوله:

يراجعنى عن خده وهو عاطر ويرجع عن عطفه وهو بليل
وما كنت لولا هجره بمروع ولو صدنى عنه قنأ ونصول
أناه فإنى لا أصيخ للائم ولو أن حد المشرفى عذول

سأصبر لا يدري هوأى فيثنى ولا أنا أرجو عطفه فأقول
 ١٨٧ - وأخبرنى القاضى الموفق بهاء الدين أبو على الديباجى كاتب الدست
 الشريف قال: أنشدنا مولانا السلطان الملك الكامل - خلد الله ملكه - قول الشاعر:

ترحل من حياتى فى يديه فى أسفى ويا شوقى إليه
 واستجاز الجماعة فقلت:

ومن هذا يكون عليه مثلى وهذى الريح أخشاها عليه
 وقال الأمير الأجل الكبير صلاح الدين أدام الله توفيقه:

ألا يا ليته إن كان يأتى حياتى ثم موتى فى يديه
 ١٨٨ - ومنه ما تكون الإجازة فيه لأكثر من بيت، ذكر أبو العتاهية قال: حبسنى
 الرشيد لتركى الشعر وغلقت على الأبواب، فبقيت دهشاً كما يدهش مثلى لتلك الحال،
 فإذا رجل جالس فى جانب السجن وهو مقيد، فجعلت أنظر إليه ساعة، فتمثل بقوله:

تعودت مر الصبر حتى ألفته فأسلمنى حسن العزاء إلى الصبر
 وصيرنى يأسى من الناس راجياً لحسن صنيع الله من حيث لا أدرى

فقلت له: أعد - أعزك الله - هذين البيتين، فقال لى: ويلىك يا أبا العتاهية، ما أسوأ
 أدبك وأقل عقلك، دخلت على السجن، فما سلمت تسليم المسلم على المسلم، ولا
 سألت مسألة الحر للحر، ولا توجعت توجع المبتلى للمبتلى، حتى إذا سمعت بيتين من
 الشعر الذى لا فضيلة فيك سواه، لم تصبر عن استعادتهما، ولم تقدم قبل مسألتك
 عنهما عذراً لنفسك فى طلبهما، فقلت: يا أخى، إنى دهشت من هذه الحال، فلا
 تعذلى واعذرنى متفضلاً، فقال: أنا والله بالدهش والحيرة أولى منك؛ لأنك حبست
 على أن تقول الشعر الذى به ارتفعت وبلغت ما بلغت، وإذا قلته أمنت، وأنا حبست
 على أن أدل على ابن رسول الله ﷺ ليقتل أو أقتل دونه، ووالله لا أدل عليه أبداً،
 والساعة يدعى بى فأقتل، فأينا أحق بالدهش.

فقلت: أنت والله أولى، سلمك الله وكفاك، ولو علمت أن هذه حالك ما سألتك،
 فقال: إذاً لا أبخل عليك، ثم أعاد على البيتين حتى حفظتهما وأجزتهما بقولى:

إذا أنا لم أقبل من الدهر كل ما تكرهت منه طال عتبى على الدهر

ثم سألته عن اسمه فقال: أنا أبو حاضرة داعية عيسى بن زيد وابنه أحمد. قال: فلم نلبث إلا قليلاً حتى سمعنا صوت الأقفال، فقام فسكب عليه ماءً من جرة كانت عنده، ولبس ثوباً نظيفاً، ودخل الحرس ومعهم الشموع، فأخرجونا جميعاً، وقُدِّم قبلى إلى الرشيد، فسأله عن أحمد بن عيسى، فقال: لا تسألنى عنه، وافعل ما بدا لك، فلو أنه تحت ثوبى ما كشفت عنه. فأمر به فضربت عنقه، ثم قال: أظنك يا إسماعيل ارتعت! فقلت: دون ما رأيت تسيل منه النفوس، فقال: ردوه إلى محبسه فردونى.

١٨٩ - وذكر ابن عبد ربه فى كتاب العقد، قال: صنع أبو دلف القاسم بن إسماعيل العجلي:

أنا أبو دلف البادى بقافية جوابها يعجز الداهى من الغيظ
من زاد فيها له رحلى وراحلتى وخاتمى والمدى فيها إلى القيظ
فظن أنه لا ثالث لهاتين القافيتين، فصنعت:

قد زدت فيها ولو أمسى أبو دلف والنفس قد أشرفت منه على الفيظ
قال على بن ظافر: تذاكرنا بهذه القطعة، فقال بعض الحاضرين: لم يبق رابعه، فصنعت:

أزيد فيها ولو ماتا بغيظهما ما ألتقت النمل أحياناً من البيظ
وذلك أن كل بيض لطائر أو حيوان فبالضاد إلا بيظ النمل، فإنه بالطاء، وكل ما يبيض من إناء وغيره فبالضاد إلا فيظ النفس، فإنه بالطاء. ثم صنع القاضى الأعز بن المؤيد رحمه الله بعد ذلك بديهاً:

ذو الحزم لا يتعدى فى فعائله ما دام للناس تكوين من البيظ
والبيظ هاهنا: ماء الرجل. ثم صنع شهاب الدين ابن أخت الوزير نجم الدين -
رحمه الله:

يا سادتى فى القوافى قل ما تركوا كماتح البئر لم يترك سوى البيظ
حازت قوافيكم الظآآت أجمعها كمثل ما حيز مح البيظ بالبيظ
لكن مواعيد باديكم أبى دلف لا صدق فيها كمثل الآل والبيظ
البيظ فى القافية الأولى: بقية الماء فى نقرة البئر، وهى الحفرة التى يبقى فيها الماء بعد نرحها، وفى القافية الثانية: قشرة البيض الرقيقة فوق المح، وهو الغرقىء، قال زهير:

١٠٦ فى بدائع بدائه الإجازة

كان البيظ لفعه قناعا على الهامات كرات الدهور
وفى القافية الثانية خيال وجه الإنسان فى السيف، قال عبيد:

كان وجوه نسل بنى نمير مثال البيظ فى السيف اليمانى
قالوا: وجميعها بالطاء، ولست على يقين من صحة ذلك، وأظن أن صاحب العقد
قد وهم فى كون قائل البيتين أبا دلف المجلى، فإن أبا دلف أفضل وأفصح وأعلم
وأشرف من أن يقع فى مثل هذا، وأظن قائلهما أبا دلف هاشم بن محمد الخزاعى الوالى
كان بالبصرة للمقتدر بالله سنة خمس وثلاثمائة، وهذا كله إنما وقع فى المختصرات،
وأما الأمهات فلم تذكر فيها إلا القوافى الثلاث الأولى.

١٩٠ - وبالإسناد المتقدم ذكره ذكر صاحب اليتيمة أن الصحاب أمر أبا محمد
الحسن بن محمد البروجردى بإجازة هذين البيتين:

يا نسيم الريح من بلدى خبرى بالله كيف هم
ليس لى صبر ولا جلد لىت شعرى كيف صبرهم
فقال:

ولسان الدمع يشهد لى وهو ممن ليس يهتم
١٩١ - وأنبأنى الفقيه أبو الحسن بن المقدسى إجازة قال: أنبأنى الشيخ أبو القاسم
مخلف بن على القيروانى، عن أبى عبد الله محمد بن أبى سعيد السرقسطى، عن الحافظ
أبى عبد الله محمد بن محمد بن أبى نصر بن عبد الله الحميدى، قال: أخبرنى أبو الوليد
الحسين بن محمد الكاتب المعروف بابن الفراء، قال: حضرت عند عمى وعنده أبو عمر
القسطلى - يعنى ابن دراج - وأبو عبد الله المعيطى، فغنى المعيطى:

مروع منك كل يوم محتمل فىك كل لوم
يا غايتى فى المنى وسؤلى ملكت رقى بغير سوم

فأعجبنا بهذين البيتين، فقال أبو عمر: أنا أضيف إليهما ثالثاً لا يتأخر عنهما، ثم
قال:

تركت قلبى بغير صبر فىك وعينى بغير نوم
١٩٢ - وذكر ابن بسام فى كتاب الذخيرة أن المعتمد بن عباد غنى بين يديه يقول

وحمارة من بنات المجوس ترى الزق فى بيتها سائلا
وزنا لها ذهباً جامداً فكالت لنا ذهباً سائلا

فأجازهما بديهاً بقوله:

وقلنا خذى جوهراً ثابتاً فقالت خذوا عرضاً زائلاً
١٩٣ - ونقلت من خط عبد الجليل بن عبد المحسن الكتامى الشاعر الأسيوطى،
قال: غنى لنا يوماً بعض القوالين هذين البيتين، وهما لأبى العلاء الأسدى من شعراء
اليتيمة:

لا لعمرى ما أنصفوا حين بانوا حلفوا لى ألا يخونوا فخانوا
شتتوا بالفراق شمل اتصالى جمع الله شملهم أين كانوا

قال: فأجزتهما بقولى بديهاً:

أنا ممن يدين فى الرجعة الآ ن تراهم بمذهب الصب دانوا
١٩٤ - قال على بن ظافر: ومما هو من هذا الباب إلا أن الإجازة فيه لسد فرجة
بين البيتين ما ذكره صاحب المقتبس من أن أبا الحسن زريباً المغنى مولى المهدي الروانى
غنى يوماً بين يدي الأمير عبد الرحمن الداخل ملك الأندلس بهذين البيتين:

قالت ظلوم سمية الظلم ما لى رأيتك ناحل الجسم
يا من رمى قلبى فأقصده أنت الخبير بموقع السهم

فقال عبد الرحمن: هذان البيتان منقطعان، فلو كان بينهما ما يوصلهما لكان أبداع،
فقال عبد الرحمن بن قرمان بديهاً:

فأجبتها والدمع منحدر مثل الجمان هوى من النظم
فاستحسنه وأمر له بجائزة.

١٩٥ - ومما يجرى مجرى الطرف ما أخبرنى به الأديب أبو القاسم بن نفطويه أنه
جلس أيام اشتغاله على الشيخ الأستاذ العلامة أبى محمد بن برى مع جماعة من
تلامذته، فتذكروا ما يعانىه الشيخ من بلادة بعض طلبته - وهو رجل كرهت ذكره مع
فرط اعتناؤه بتعليمه وشدة عنائه فى تفهيمه - فأنشد أحدهم قول أبى العباس المبرد:

أقسم بالمتسم العذب ومشتكى الصب إلى الصب
لو قرأ النحو على الرب ما زاده إلا عمى القلب

قال: فقلت ارتجالاً:

قد عذب الله به شيخنا فى هذه الدنيا بلا ذنب
فضحك الجماعة واستطرفوا البيت.

١٩٦ - ومنه ما تكون الإجازة فيه بأكثر من بيت لأكثر من بيت، فمن ذلك ما ذكره إسحاق الموصلى قال: أنشدنى شداد بن عقبة لجميل:

بشين سلينى بعض مالى فإنه يبين عند المال كل بخيل
وإنى وتكرارى الزيارة نحوكم ليين يدى هجر - بشين - طويل

قال: فقلت لشداد: أفلا أزيدك فيهما؟ قال: بلى، فقلت مسرعاً:

ألا ليت شعرى هل تقولين بعدنا إذ نحن أجمعنا غداً لرحيل
ألا ليت أياما مضمين رواجع وليت النوى قد ساعفت بجميل

فقال: أحسنت - والله - إن هذا هو الشعر الضائع، فقلت: وكيف؟ قال: نفيته عن نفسك بتسميتك جيلاً فيه، ولم يلق برتبة شعر جميل، فضع بينكما جميعاً.

١٩٧ - أنبأنى الشيخان: الأجل العلامة تاج الدين الكندى، والفقير جمال الدين بن الحرساني إجازة قالاً: أخبرنا الإمام الحافظ أبو القاسم بن عساكر الدمشقى سماعاً عليه قال: أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي، عن أبى القاسم التنوخى، أخبرنى أبو عبد الله محمد بن عثمان الخرقى الفارقى الحنبلى التميمى قال: كنت بالرملة سنة ثلاثمائة وخمس وستين، وقد ورد إليها القرمطى أبو على القصير الثياب، فاستدنانى منه، وقربنى إلى خدمته، فكنت ليلة عنده إذ حضر الفراشون بالشموع، فقال لأبى نصر بن كشاجم - وكان كاتبه -: يا أبا نصر، ما يحضرك فى صفة هذه الشموع؟ فقال: إنما نحضر مجلس السيد لنسمع كلامه، ونستفيد من أدبه، فقال أبو على فى الحال بديهاً:

ومجدولة مثل صدر القتاة تعرت وباطنها مكنتس
لها مقلّة هى روح لها وتاج على الرأس كالبرنس
إذا غازلتها الصبا حركت لساناً من الذهب الأملس

وإن رنقت لنعاس عرا وقطت من الرأس لم تنعس
 وتنتج فى وقت تلقيحها ضياءً يجلى دجا الحندس
 فنحن من النور فى أسعد وتلك من النار فى أنحسفتنى
 تكييد الظلام وما كادها وتفنيه فى مجلس

فقام أبو نصر بن كشاجم، وقبل الأرض بين يديه، وسأله أن يأذن له فى إجازة الأبيات فأذن له، فقال:

وليتنا هذه ليلة تشاكل أشكال إقليدس
 فىا ربة العود غنى لنا ويا حامل الكأس لا تجلس

فتقدم بأن يخلع عليه، وحملت إليه صلة سنية، وإلى كل من الحاضرين.

١٩٨ - وأخبرنى الأمير شمس الدولة عبد الرحمن بن محمد بن مرشد بن على بن منقذ بن نصر بن منقذ رحمه الله تعالى، قال: جرت بينى وبين القاضى المهذب أبى محمد الحسن بن على بن الزبير مفاوضة فى قول الشعر بديهاً، وذلك فى سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة بدار الوزارة بالقاهرة، قال: كنت فى مبدأ عمرى أملى الشعر إملاء - كالمحفوظ - على من يكتبه، فربما سبقته بالإملاء ولا أتوقف. فجعلت أتعجب من قوله تعجباً يظهر منه الاستبعاد، فقال: وكأنك تستصعب هذا! إنما الصعب أن تقترح على الشاعر العمل فى معنى مخصوص على قافية شاذة فى وزن معين، وإن أردت أن تقف على حقيقة ما قلته ليزول عنك الشك وتدركه بالرؤية لا بالرواية، فأشددنى ما أعمل لك عليه، قال: فأشددته من شعر الحماسة:

فإن يجبوها أو يحل دون وصلها لقاء عدو أو وعيد أمير
 فلن يمنعوا عينى من دائم البكا ولن يظهروا ما قد أجن ضميرى

فأشدد مبادراً كأنه يحفظ ما ينشده:

صبرت على جور الزمان وصرفه وإن كنت يوم البين غير صبور
 وإن الذى يبغى اعتلاقاً بودها لمستمسك منها بجبل غرور
 أرى الناس قد فكوا العناية تخرجاً فهل لك يوماً فى فكاك أسير
 إذا أظلمت أيامنا من صدودكم جلوتم بدوراً فى ظلام شعور
 ولم أر فيمن أستعين به سوى عدول فمن لى فيكم بعذير

وإن ظباء الوحش تحسب منكم / بحسن نفور عندها ونحور
وما كنت ممن يصبح الحب قادراً / عليه ولكن ذاك فعل قدير

قال الأمير: فجننت استحساناً لما أتى به وتعجباً من سرعته، فقال: أنشدني غير هذا
لئلا تقول إنه محفوظ لي، فامتنعت تخرجاً من ذلك، فأبى إلا أن أنشد فأنشدته:

وما فارقت لبنى عن تقال / ولكن شقوة بلغت مداها
فاسترسل مع آخر إنشادي قائلاً:

وكل منى النفوس إلى انقطاع	إذا بلغت لعمر كمنتهاها
أناديها وليس تجيب قولى	كأنى قد دعوت بها سواها
سألقي دونها نبل الأعادى	وأرمى منهم من قد رماها
وأصبر للتجنى كل يوم	وما أنا بالصبور على قلاها
سلاها حين مال القلب عنها	ولم يعلق سواها هل سلاها
ومن هذا الذى عنى حماها	على قرب ولم يدخل حماها
وضنت بالسلام على بخلأ	وقد ضمنت لطارقها قراها
وعين حل فيها السحر لما	أحلت فى نواظرها قذاها
غدا الإعراض حظ مؤلميها	وأمسى اليأس غاية من رجاها
أود ومهجتى فى راحتها	مدى الأيام لو جعلت فداها

قال الأمير: وحين انتهى إلى هذا الحد، ورأيت شدة تجمعه وفرط تحفزه، وما يعانیه
فى إحضار ذهنه، قطعته إشفافاً عليه.

١٩٩ - ومما وقع من هذا الباب، وكانت الإجازة فى وسط الشعر صلةً لمعنى
منقطع، ما أخبرنى به الشيخ أبو عبد الله محمد بن على القرمونى، قال: أنشد والدى
الشيخ أبو الحسن على بن محمد اليحصبى القرمونى قول ابن الرومى:

شهر الصيام مبارك / ما لم يكن فى شهر آب
خفت العذاب فصمته / فوَقعت فى نفس العذاب

فقال: هذان البيتان منقطعان، ويحتاجان إلى ما يصل بينهما، فقال بديهاً:

١١١ فى بدائع بدائـه الإجازة

الـيوم فـيـه كـأنـه مـن طـولـه يـوم الحـساب
واللـيـل فـيـه كـأنـه لـيـل التـواصـل والعـتاب

الباب الثالث

فى بدائع بدائه التمليط

التمليط: هو أن يجتمع شاعران فصاعداً على تجريد أفكارهم، وتجريب خواطرهم فى العمل فى معنى واحد. وأما اشتقاقه فذكر ابن رشيق أنه من أحد شيئين: إما أن يكون من الملاطين، وهما جانباً السنام فى مرد الكتفين، قال جرير:

ظللن حوالى خدر أسماء وانتحى بأسماء موار الملاطين أروح
فكان كل قسيم أو بيت ملاط، أى جانب من البيت أو القطعة. والآخر أن يكون من الملاط، وهو الطين يدخل فى البناء، ويملط به الحائط تمليطاً، أى يدخل بين اللبن حتى يصير شيئاً واحداً. وأما المملط، وهو الذى لا يبالي ما صنع، والأملط وهو الذى لا شعر له فى جسده، فليس لاشتقاقه منهما وجه.

قال على بن ظافر: فمن التمليط ما يكون بين شاعرين، ومنه ما يكون بين شعراء، ومنه ما يكون بقسيم لقسيم، ومنه ما يكون بيت لبيت، ومنه ما يكون بيتين لبيتين. والفرق بينه وبين الإجازة أن التمليط يتفق فيه الشعراء قبل العمل على العمل، أو يندبون لذلك، وتكرر منهم المناوبة، وهذا ليس من شروط الإجازة.

٢٠٠ - فمما وقع من التمليط بين شاعرين بقسيم لقسيم - وهذا النوع يسمى المماننة - ما أنبأنى به الشيخان تاج الدين الكندى وجمال الدين الحرساني إجازة عن الإمام الحافظ أبى القاسم على بن الحسن بن عساكر الدمشقى، قال: أخبرنا محمد بن طاوس، أخبرنا عاصم بن الحسن، أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا الحسن بن صفوان، حدثنا أبو بكر بن أبى الدنيا، حدثنى أبو عدنان البصرى، حدثنى الصامت بن مخبل اليشكرى سنة إحدى وتسعين ومائة، وأخبرنى به أبو عبيدة، عن أبى عمرو بن العلاء قال: أقبل امرؤ القيس حتى لقي التوءم اليشكرى - وكان اسمه الحارث بن قتادة، ويكنى أبا شريح، فقال امرؤ القيس: إن كنت شاعراً كما تقول فملط أنصاف ما أقول، فقال امرؤ القيس:

أحار ترى بريقاً هب وهنا

فقال التوءم:

كذار مجوس تستعر استعارا

فقال امرؤ القيس:

أرقت له ونام أبو شريح

فقال التوءم:

إذا ما قلت قد هداً استطارا

فقال امرؤ القيس:

كأن حينه والرعده فيه

فقال التوءم:

عشار وله لاقت عشارا

فقال امرؤ القيس:

فلم يترك ببطن الأرض ظبيا

فقال التوءم:

ولم يترك بجلهتها حمارا

فقال امرؤ القيس:

فلما أن دنالفاً أضاح

فقال التوءم:

وهت أعجاز ريقه فحارا

فقال امرؤ القيس: لا أتعت على أحد بعد ذلك بالشعر، فقيل: إنه عز على ابن حجر

ممانته ومساواته له، وآلى ألا ينازع شاعراً أبداً. وكان أبو عبيدة يقول: هي محمولة عليه.

٢٠١ - وروى ابن الكلبي، عن أبيه، قال: حدثني شيخ من بنى زياد بن عبد المدان

- وكان عالماً بقومه - قال: نشأ غلام من بنى جنب يقال له: رفاعه، ويقال له: المحترش،

فنبغ فى الشعر وماتن شعراء قومه حتى أبر عليهم، فلما وثق من نفسه بذلك قال لأبيه:

لأخرجن فى قبائل اليمن، فإن وجدت أحداً يماتننى رجعت إلى بلادى، وإن لم أصادف

من يماتننى تقرت قبائل العرب.

فنزل بصرم من بنى فهد والحى خلوف، فأتى حجرة عن جنب الحواء، فإذا عجوز حيزبون قد أقبلت معتمة تتوكأ على محجن، فقالت: عم ظلاماً، فقال: نعم ظلامك، فقالت: ممن الرجل؟ قال: فقلت: من مذجع، قالت: من أيهم؟ قلت: من جنب، قالت: أضيف أنت؟ فقلت: نعم، قالت: فلا حملك الله، ما عدوت أن يخلتنا وأسأت أحدوثتنا. ثم أثارنا ناقتى وكتتها فى خبائها، وأمرت وليدة لها فجاءت بعتود يمرح فى إهابه سمناً ومدية، وقالت: اذبح أيها الرجل، واعتجنت وامتلت وطبخت، وقربت طعاماً، وجلست أنا وهى والوليدة: فلما تعشينا قالت: ما رمى بك إلى هذه البلاد؟ فأخبرتها خبرى، فضحكت وقالت: بت فسأجيئك غداً بعشر خرائد تمانتك دون الرجال، فإن غلبت فارجع إلى بلادك، واعلم أنك ترمى من مرام، فبت فلما أصبحنا إذا العجوز قد أقبلت، ومعها ثلاث فتيات كالمهرات، فابتدرن إلى الحجرة، وأقبلت العجوز فحيتنى، وسألتنى عن مبيتى، ثم أومأت إلى إحداهن، فأقبلت كالعيدانة يميلها الصبا، فقالت: أنت المتحدى بالمماننة، فقلت: نعم، فقالت: قل أسمع، فقلت:

سوام تداعت سومها وعجافها

فقلت:

حوامل أثقال تنوء فترزح

فقلت:

إذا أيهت فى حجرتيها رعاؤها

فقلت:

سمت فرق منها شوامر لقح

فقلت:

نواء تداعى بالجنين عشارها

فقلت:

فتبرح ناراً أو تبیت فتسنع

فقلت:

إذا وصلت أرضا سقتها بدرها

فقال:

أفاويق رسل محضة لا تضح

فقلت:

إذا انسفحت أخلافها خلت ما جرى

فقال:

على الأرض منه لجة تتضحضح

فقلت: أمطلق أم ذات بعل؟ فقلت:

عقال - لعمر الله - لو شئت به شرادى ولكن التكرم أجدر
فقمتم إلى راحلتى، فقلت العجوز: رويت أم أحلب لك أخرى؟ فقلت: أروتنى
الأولى، فقلت: الحق الآن بأرضك. فخرجت أريد لرجوع إلى قومي، فأبى بى اللجاج
إلا قصد ما خرجت إليه، فدفعت إلى صرم من جرم، فإذا صبيان على غدير يرتجزون،
فدعوت غلاماً منهم من أبشرهم، فقلت: يا غلام! هل فى صرمكم من يماننى؟ فإننى
قد برزت على شعراء العرب، فقال: أنا، فقلت: أنت أيها الفصيل، فقال: قل ودع
عنك ما لا يجدى، فقلت:

أوابد كالجزع الظفارى أربع

فقال:

حماهن جون الطرتين مولىع

فقلت:

يرود بهن الروض فى الأمن جاره

فقال:

وأحلى همن المتضى والمودع

فقلت:

فلما اشتكت أمات قردانه السفا

فقال:

وحب على البيد السفير الممذع

فقلت:

وشبت على الأكباد نار من الصدى

فقال:

تظل لنا بين الحيازيم تسفع

فقلت: أولى لك، وامتطيت راحلتى، حتى دفعت إلى شيخ يرعى غنيمات له، فاستقرتته، فقام مبادراً إلى قعب له، فاحتلب ما كان فى ضروعهن، ثم جاءنى به، فشربت، فلما اطمأنت قال: ما رمى بك إلى هذا القطر؟ فأخبرته، وكتمت ما لاقيت، فكشر وصاح بغلمة يرعون قريباً منه، فأقبل غلام منهم، فقال: ادع عشرة، فما لبث أن أقبلت جويرية عجفاء كأنها وبيلة خيسفوج، حتى وقفت بين يديه، فقال: إن ابن عمك هذا خرج من بلاده يتحدى بالماتنة، فهل عندك شيء؟ فقالت: قل أيها المتحدى - وإنها لتقلب عينها كعيني الأرقم - فقلت:

فما بسرة زرقاء فى ظل صخرة

فقالت:

ذخيرة غراء الذرى جونة النضد

فقلت:

نفى سيلان الريح عن متنها القذى

فقالت:

وذادت غصون الأيك عن متنها

فقلت:

سياب مجاج أخلص الدبر أريه

فقالت:

بصبهاء صرف جيب عن صفوها

فتركت ما قصدت له، وملت إلى وجهة أخرى ووصفت ناقة، فضحكت وقالت:

أغوصت، فقلت:

إذا انشج الحرباء فى رأس عوده

فقلت:

وأجأ أم الحسل فى مائها الصخد

فقلت:

أثارت بموماتين تحت حجاجها

فقلت:

حواتك أشباه كرانية الجلد

قال: فرحت وأليت ألا أمتن أحداً ما عشت.

تفسير ما فى الكلام والشعر

العتود: الجذع من الغنم أو فوق ذلك. والعيدانة: النخلة الطويلة. قال الشاعر:

وإذا مشين مشين غير جوارب هز الجنوب نواعم العيدان

والشوامر: التى قد شالت بأذيالها، أى رفعتها. والنواء: السمان، الواحدة ناوية، قال

الشاعر:

ألا يا حمز للشرف النواء وهن معقلات بالفناء

والبارح: الذى يمر ومياسره عن مياسرك. والسانح: الذى يمر وميامنه عن ميامنك،

وأهل نجد يتيامنون بالسانح ويتشاءمون بالبارح، وأهل الحجاز يخالفونهم فى ذلك.

وأفاويق: جمع فواق، ويمكن أن يكون جمع فيقة، وهى السكتة بين المطرتين، والسكتة

بين الحلبتين قال:

حتى إذا فيقة فى ضرعها اجتمعت جاءت لترضع شق النفس لو رضعا

والضريح: اللبن الذى صب فيه ماء، وكذلك المذق، قال الراجز:

فامتضحا وسقيانى ضيحا فقد كفيت صاحبى الميحا

وانسفتحت: انصبت، وبه سقى السفاح التغلبى؛ لأنه سفح ماء أصحابه وقال: لا

ماء لكم دون الكلاب. قال:

وأخوهما السفاح ظمأ خيله حتى وردن جبا الكلاب نهالا

١١٨ فى بدائع بدائه التمليط

الجبا: الماء بعينه، والجبا: الحوض أيضاً. والضحضاح: الماء القليل يضطرب على وجه الأرض. والخيسفوج: القطوف والخشب اليابس.

٢٠٢ - ومن ذلك ما رواه أبو عزة قال: أقبل النابغة الذبياني يريد سوق بني قينقاع، فلحق الربيع بن أبي الحقيق نازلاً من أطمه، فلما أشرفا على السوق سمعا الضجة، وكانت سوقاً عظيمة، فحاصت بالنابغة ناقته. فقال:

كادت تهلل من الأصوات راحلتى

ثم قال: يا ربيع أجز. فقال:

والنفر منها إذا ما أوجست حلق

فقال: ما رأيت كالיום شعراً، ثم قال: أجز:

لولا أنهنها بالزجر لاجتذبت

فقال:

متى الزمام وإنى راكب لبق

فقال النابغة:

قد ملت الحبس فى الأظام

فقال:

إلى مناهلها لو أنها طلق

فقال النابغة: يا ربيع أنت أشعر الناس.

٢٠٣ - ومن ذلك ما رواه إبراهيم بن المدبر، عن إبراهيم بن العباس الصولى، قال: وحدثنى به دعبل أيضاً - وكانا متفقين - قال: كنا نطلب جميعاً بالشعر، فخرجنا سنة وكانت محلاً، فابتدأت أقول فى المطلب بن عبد الله:

أمطلب أنت مستعذب

فقال دعبل:

لسمر المنيا ومستقبل

فإن أشف منك تكن سبة

فقال دعبل:

وإن أعف عنك فما تفعل

٢٠٤ - وقد ذكر الصولى فى كتاب الوزراء قال: حدثنى محمد بن يحيى قال: قدم أعرابى اسمه عتبة يقول الشعر، وكان ظريفاً من الأعراب، فضمه الحسن بن وهب إليه، فاجتمع الحسن يوماً وإبراهيم بن العباس، فقال لهما عتبة هذا: إن كنتما تقولان الشعر بالعجلة، فاهجوانى، فقال الحسن:

لمن طلل فى رأس عتبة مقل

فقال إبراهيم:

عفته رياح الصفع تعلقو وتسفل

فقال الحسن:

شكا ما يلاقيه من الصفع رأسه

فقال إبراهيم:

تناوبه منه جنوب وشمال

فقال الأعرابى: والله لئن لم تمسكا لأخرجن من البلد.

٢٠٥ - وذكر الصابى فى كتاب الوزراء والكتاب، قال: روى أبو الفتح منصور بن محمد بن المقتدر الأصفهانى، قال: كان أبو القاسم بن أبى العلاء الشاعر من وجوه أهل أصفهان وأعيانهم ورؤسائهم، فحدثنى أنه رأى فى منامه قائلاً يقول له: لِمَ لَمْ ترث الصاحب بن عباد مع فضلك وشعرك؟ فقلت: أجمتنى كثرة فضائله، فلم أدر بم أبداً منها، وخفت أن أقصر، وقد ظن بى الاستيفاء لها، فقال: أجز ما أقول، قلت: قل، قال:

ثوى الجود والكافى معاً فى حفيرة

فقلت:

ليأنس كل منهما بأخيه

فقال:

هما اصطحبا حين ثم تعانقا

فقلت:

ضجيعين فى قبر بباب دريه

فقال:

إذا ارتحل الثاؤون عن مستقرهم

فقلت:

أقاما إلى يوم القيامة فيه

وباب دريه المحلة التى فيها تربته، وهى ما يستقبل المسافر من أصفهان إذا توجه من الرى.

٢٠٦ - ومن ذلك ما أخبرنا به أبو الصلت أمية بن عبد العزيز فى كتابه المسمى

الحديقة، قال: أخبرنى محمد بن حبيب القلانسى الشاعر قال: حضرنا ليلة بمجلس

السلطان أبى يحيى تميم بن المعز بن باديس، فالتفت حميد بن سعيد الشاعر إلى مملوكين

من مماليكه قد جمعا بين رأسيهما متناجين، فقال لى: ملط:

انظر إلى اللمتين قد حكتا

فقلت:

جنحى ظلام على صباحين

فقال:

فاعجب لغصنين كلما انعطفا

فقلت:

ماسا من اللين فى وشاحين

فقال:

ظبيان يحمى حماهما أسد

فقلت:

لولاه كانا لنا متاحين

فقال:

فلو تدانيت منهما لددت

فقلت:

منى فى الحين أسهم الحين

٢٠٧ - ومن ذلك ما روى أن المعتمد بن عباد ركب فى يوم قاصداً الجامع،
والوزير أبو بكر بن عمار يسايره، فسمع أذان المؤذن، فقال المعتمد:

هذا المؤذن قد بدا بأذانه

فقال ابن عمار:

يرجو بذلك العفو من رحمانه

فقال المعتمد:

طوبى له من شاهد بحقيقة

فقال ابن عمار:

إن كان عقد ضميره كلسانه

٢٠٨ - أخبرنى الفقيه الأجل السعيد أبو الحسن على بن عبد الوهاب بن خليف
بالإسكندرية، قال: أخبرنى الأديب المعروف بابن رزين، قال: أخبرنى عبد الجبار بن
حمديس الصقلى، قال: أقمت بإشبيلية لما قدمتها وأفداً على المعتمد بن عباد مدةً لا
يلتفت إلى، ولا يعباى، حتى قنطت لحييتى، مع فرط تعبى، وهممت بالنكوص على
عقبى، فإنى لذلك ليلةً من الليالى فى منزلى، إذ أتانى غلام، ومعه شمعة ومركوب،
فقال لى: أجب السلطان، فركبت من فورى ودخلت عليه، فأجلسنى على مرتبة فنك،
وقال لى: افتح الطاق الذى يلىك، ففتحته، فإذا بكور زجاج على بعد، والنار تلوح من
بابيه، وواقده يفتحهما تارةً ويسدهما أخرى، ثم أدام سد أحدهما وفتح الآخر، فحين
تأملت هما قال لى: ملط:

انظرهما فى الظلام قد نجما

فقلت:

كما رنا فى الدجنة الأسد

فقال:

يفتح عينيه ثم يطبقها

فقلت:

فعل امرئ فى جفونه رمد

فقال:

فابتزه الدهر نور واحدة

فقلت:

وهل نجا من صروفه أحد

فاستحسن ذلك، وأمر لى بجائزة سنية، وألزمنى خدمته.

٢٠٩ - وأخبرنى رجل من التجار بمصري عرف بأبى الفضل بن فتوح المصرى، قال: سكنت بدار فى الخطة المعروفة بدويرة خلف، فرأيت جميع جدران المنزل مكتوبةً بأخبار بديعة، وأشعار مستحسنة السبك، ووجدت فى جملتها: لما دخلت بجاية عند عبورى، اجتزت فى بعض الأيام بصديق لى من المعلمين وهو فى مكتبه، وصبيانه قد حفوا به، فأحضر صبياً منهم، وقال لى: اختبره فإنه يقول الشعر الجيد، فقلت له: أجز:

وشادان ذى شطاط

فقال:

حجى له ورباطى

فقلت:

مـوكل بـضميرى

فقال:

معلق بنياطى

فعجبت من سرعة بديهته مع صغر سنه، ثم تهادى الأمر، فاشتهر بقول الشعر، فمنى إلى السلطان تميم بن المعز أنه هجاه، وأنه قال فيه:

بلد مظلّم وملك ظلوم وهما فيح حمة وتميم
هو فيها كمالك والمقيمو ن بها المجرمون وهى الجحيم

فاستحضره السلطان واستخبره عما قال فيه، فأنكره وقال: إنما قلت:

عرجا بى فذا مناخ كريم هذه حمنة وهذا تميم
هذه الجنة التى وعد الله وهذا صراطه المستقيم

فاستظرفه تميم واستلطفه وأكرمه ثم صرفه. قال المخبر بهذه الحكاية: ثم تقصيت
عن المنزل، فقليل لى: إنه كان منزل أبى الصلت حين قدومه إلى مصر.

٢١٠ - قرأت فى بعض المجاميع أن شاعراً من أهل تنس من بلاد إفريقية قصد
المعتمد على الله بن عباد وهو بسبته أيام جوازه للقاء أمير المؤمنين ابن تاشفين
للاستنجاد به، فوصف له، فحضر فأنشده، فقال: هذا يصلح لمنادمتنا الليلة، وأمر
بإمساكه، فسقى، وجرى فى المجلس حديث فرس أدهم كان مشهوراً بالأندلس،
وعزيز المحل عند المعتمد. واتفق أن الرجل سكر ونام، فخرج منه ربح بصوت
شديد، فقال المعتمد ارتجالاً:

فيا عجبا من ضعيف القوى تزلزلت الأرض من ضرطته
ثم قال لندمائه: لا يشعره أحد بما جرى، واستيقظ الرجل فقال كالمعتذر من
نومه: إن هذا النوم سلطان، فقال بعض الندماء الحاضرين: صدقت، قد سمعنا
طبله، فجعل الرجل يقول: رأيت فى منامى كأن السلطان أعزه الله قد حملنى على
فرس أدهم، من صفته كذا ومن صفته كذا، فقال المعتمد: صدقت، قد سمعنا تحتك
صهيله، ثم قال المعتمد: قولوا فى هذا شيئاً، فقال بعض الحاضرين:

وضرطة كالجـرس

فقال المعتمد:

أو كصهيل الفـرس

فقال الشاعر:

أقلصتها صـاحبنا

فقال المعتمد:

عند انصرام الغلس

فقال الشاعر:

سمعتها من سبته

فقال المعتمد:

وأصلها من تنس

٢١١ - وأخبرنى الأديب أبو عبد الله محمد التوزورى قال: حدثنى الشيخ الباغانى النحوى قال: تذاكرت مع الشيخ الزاهد اليشكرى، رضى الله عنه، أمر أبى الهيثم الشاعر، فقال: اجتمعت به ليلة، وكان نديماً فيها فتى رامياً وضع الوجه، فقلت له مستجيزاً قريحته، وسالكاً به من التصنع غير مذهب: أجز ما أقول:

نشبت نشائب حب هذا الناشب

فقال:

بحشى حشاه نار وجد غالب

فقلت:

تصمى رمايته القلوب كأنما

فقال:

يرمى الورى عن قوس ذاك الحاجب

قال الشيخ أبو الفضل: فقلت: إنما تظهر القرائح فى التشبيه، ونظرت إلى السماء، فإذا الجوزاء متوسطة، فقلت:

وكأنما الجوزاء فى وسط السما

فقال:

در تناصر من قلادة كاعب

قال الشيخ أبو الفضل: ومررت به يوماً وهو مطرق يفكر، فقلت:

أراك تصنع شعرا

فقال:

نعم لخبى بدرا

فقلت:

قد حار وصفى فيه

فقال:

فتركى الوصف أحرى

فقلت:

هَذَا عَلَى أَنْ شَعْرَى

فقال:

من عاصف الريح أجرى

٢١٢ - وأخبرنى العماد أبو حامد قال: روى السمعانى فى تاريخه عن محمد بن على بن أحمد بن جعفر بن الحسين البندىجى أنه قال: سمعت والدى يقول: سمعت عم والدى أبا سعيد بن عقيل بن الحسين يقول: أتانى آت فى المنام، فقال: هل لك أن تمصرع وأتمم، أو تتم وأمصرع؟ فقلت: لا بل أمصرع وتتمم، فقال لى: يا عيار، هربت من القافية، ولكن قل، فقلت:

هل عندكم رحمة يرجو عواطفها

فقال:

صب تشكت إلى الشكوى جوارحه

فقلت:

أغلقتم كل باب فى مودته

فقال:

وفى يدي ظبيكم كانت مفاتحه

فقلت:

ما أمسكت قلبه إذ لم يطر جزعاً

فقال:

من فرط حر الجوى إلا جوائحه

ثم استيقظت.

١٢٦ فى بدائع بدائه التمليط

٢١٣ - وأخبرنى القاضى الأعز أبو الحسن على بن المؤيد - رحمه الله - قال: أخبرنى والدى قال: كان الصالح طلائع بن رزىك الوزير لا يزال يحضر مجلسه فى لىالى الجمع جلساؤه وبعض أمرائه لسماع قراءة مسلم والبخارى وأمثالهما من كتب الحديث، وكان الذى يقرأ رجلاً أبحر، فلعهدى به، وقد حضر المجلس مع الأمير على بن الزبير والقاضى الجليس أبى محمد عبد العزيز بن الحباب، وقد أمال وجهه إلى القاضى المهذب بن الزبير وقال له:

وأبحر قلت لا تجلس بى

فقال الأمير:

إذا قابلت بالليل البخارى

فقال الجليس: ولم؟ فبدره المهذب فقال:

فقلت - وقد سئلت - بلا احتشام لأنك دائماً من فىك خارى

٢١٤ - قال على بن ظافر: أخبرنى أيضاً هو وشهاب الدين يعقوب المقدم ذكره بما هذا معناه، قالوا: جلسنا فى الأيام لاجتماع زهر المحادثة، واقتناء دور المنافة، فسمعنا صوت شبابة تذكر الأشيب الهرم زمان الشبية، وتحرك من الخرف الهم غزله وتشبيهه، وصوتها أشجى من أنين المشتاق لفرط الأشواق، وأرق من نوح العشاق عند عزم الفريق على الفراق، فقال شهاب الدين:

وشبابة شبت لظى الشوق فى قلبى

فقال الأعز:

تذكرنى عهد الصبابة والحب

فقال شهاب الدين:

حبتنى على بعد بترجيها الهوى

فقال الأعز:

فأحيت فؤادى المستهام على قرب

٢١٥ - وأخبرنى الشهاب قال: انفردت ببوصير يوماً بالفقيه رضى الدين أبى إسحاق بن عبد البارى رحمه الله، وكنا خرجنا إليها فى خدمة الوزير نجم الدين رحمه

١٢٧ فى بدائع بدائه التمليط
الله، وكان قد مضى إليها متنزهاً، فجلس إلينا غلام من أولاد بعض الرؤساء الذين
كانوا فى خدمته، حسن الوجه، ثم انصرف، فقال الرضى:

الله يوم مضى بيوصير

فقلت:

والعيش صفو بغير تكدير

فقال:

نديمنا فيه شادن غنج

فقلت:

مكتحل جفنه بتفتير

٢١٦ - قال على بن ظافر: ووجدت يوماً بالجامع الأنور بالقاهرة لانتظار الجمعة،
وكان يجلس بالقرب من مكاننا صبي وضئ، نهب وجهه وشعره من البدر نوره، ومن
الليل ديجوره، واغتصب طرفه وعطفه من الظبي كحله، ومن الغصن تميله، ينعت
بالشمس، فتأخر حضوره يوماً، فتعاطينا القول فى غيبته، فقلت:

أفدى الذى غاب فغاب السرور

فقال الشهاب:

واتسع الهـم بضيق الصدور

فقلت:

وأظلم الأنوار من بعده

فقال الشهاب:

وليس بعد الشمس للأفق نور

٢١٧ - واتفق لى أنى اجتمعت مع القاضى أبى الحسن بن النبيه، ومعنا جماعة من
شعراء مصر، فأنشدهم قول مؤيد الدين الطغرائى فى الهلال:

قوموا إلى لذاتكم يا نيام وأترعوا الكأس بصفو المدام
هذا هلال العيد قد جاءنا بمنجل يحصد شهر الصيام

فقال المذكور: لو شبهه بمنجل ذهب يحصد نرجس النجوم لكان أولى، ثم قال نظماً:

انظر إلى حسن هلال بدا

فقلت:

يذهب من أنواره حنسا

فقال:

كمنجل قد صيغ من عسجد

قلت:

يحصد من شهب الدجى نرجسا

ثم زدت على هذا المعنى زيادتين بديعتين، يدركهما الناقد البصير، فقلت:

أما ترى الهلال يخفى أنجم الأفق بنور وجهه الوسيم

كمنجل من ذهب يحصد من روض الظلام نرجس النجوم

ثم ولدت منه معنى آخر ذكرته بعد هاتين القطعتين فى كتاب التنبهات وعجائب

التشبهات.

٢١٨ - ومن التمليط الواقع بين شاعرين بيت لبيت، ويسمى هذا النوع الإنفاذ،

ما ذكره أبو الفرج برواية تتصل بجماد الراوية، قال: تحرك كعب بن زهير يقول الشعر،

فنهاه زهير مخافة أن يكون لم يستمكن شعره، فيروى له ما لا خير فيه، فكان يضربه فى

ذلك فيغلبه، فلما طال عليه أخذه فحبسه، ثم قال: والذى أحلف به لا يبلغنى أنك

قلت بيتاً إلا نكلت بك، فبلغه أنه يقول، فضربه ضرباً مبرحاً، ثم أطلقه وسرحه فى

بهمة وهو غليم صغير، فانطلق فزعاً، ثم روح عشيةً وهو يرتجز:

كأنا أحدو بيهمى عيراً من القرى موقرة شعيراً

فغضب زهير، فركب ناقته وأردفه وهو يريد أن يعنته ليعلم ما عنده من الشعر،

فقال زهير حين برز من الحى منشداً:

وانى لتعدبنى على الهم جسة تحب بوصال صروم وتعنتق

ثم ضرب كعباً، وقال: أجز يا لكع، فقال:

كبنيانة القرئى موضع رحلها وأثار نسعيها من الدف أبلق

فقال زهير:

على لاحب مثل المجره خلته إذا ما علا نشزاً من الأرض مهرق
ثم ضربه وقال أجز، فقال:

منير هداه ليله كنهاره جميع إذا يعلو الحزونة أفرق
قال: ثم بدأ زهير فى وصف النعام وترك حركة القاف يتعسفه بذلك ليعلم ما عنده،
فقال:

وظل بو عساء الكشيب كأنه خباء على صقبي بوان مروق
بوان عمود من أعمدة البيت، فقال كعب:

تراخى به حب الضحاء وقد رأى سماوة قشراء الوظيفين عوهق
فقال زهير:

تحن إلى مثل الحبابير جثم لدى منتج من قيضها المتفلق
الحبابير: جمع حبارى، ويجمع أيضاً على حباريات، فقال كعب:

تحطم عنها قيضها عن خراطم وعن حدق كالنبيخ لم يتفتق
النبيخ: الجدرى، شبه عيون أولاد النعام به. قال: فأخذ زهير بيده وقال: قد أذنت
لك فى قول الشعر يا بنى، فلما نزل وانتهى إلى أهله قال قصيدته وهو صغير يومئذ،
وهى أول شعر روى له:

أبيت فلا أهجو الصديق ومن بيع بعرض أبيه فى المعاشر ينفق
٢١٩ - ومن ذلك ما أنبأنى به الشيخان الشيخ الأجل العلامة تاج الدين الكندى،
والشيخ الفقيه جمال الدين الحرستانى، قالوا: أخبرنا الشيخ الحافظ أبو القاسم بن عساكر
سماعاً عليه، أخبرنا أبو العز بن باديس، أخبرنا أبو يعلى بن الفراء، أنبأنا أبو القاسم
إسماعيل بن سعيد بن المعدل بن سويد، أنبأنا أبو على الحسين بن القاسم بن جعفر
الكوكبى، أنبأنا دعبل بن ذكوان، أخبرنا الثورى، عن الأصمعى، عن ابن أبى طرفة،
قال: جلس حسان بن ثابت ليلةً ومعه ابنته ليلى، فجعل يريد شعراً يقوله، فقال:

متاريك أدبار الأمور إذا اعترت تركنا الفروع واجتثنا أصولها
ثم أجعل يريد الزيادة فلم يقدر، فقالت له ابنته: كأنك قد أجبلت! قال: نعم،

قالت: أفأجيز عنك؟ قال: نعم، فقالت:

مقاويل بالمعروف خرس عن الخنا كسرام يعاطون العشيرة سولها
فحمى حسان فقال:

وقافية مثل السنان رزينة تناولت من جو السماء نزولها
فقالت:

يراه الذى لا ينطق الشعر عنده ويعجز عن أمثالها أن يقولها
فقال: والله لا قلت بيت شعر ما دمت حية، قالت: أو أو منك؟ قال: فذاك، قالت:
فأنت آمن أن أقول بيت شعر ما بقيت.

٢٢٠ - وروى عقيل بن خالد، عن ابن شهاب، أن مروان بن الحكم وعبد الله بن
الزبير اجتمعا ذات يوم فى حجرة عائشة - رضى الله تعالى عنها - والحجاب بينهما
وبينها، يحدثانها ويسألانها، فجرى الحديث بين مروان وابن الزبير ساعة وعائشة تسمع،
فقال مروان:

فمن يشأ الرحمن يخفض بقدره وليس لمن لم يرفع الله رافع
فقال ابن الزبير:

ففوض إلى الله الأمور إذا اعترت وبالله لا بالأقربين أذافع
فقال مروان:

وداؤ ضمير القلب بالبر والتقوى فلا يستوى قلبان قاس وخاشع
فقال ابن الزبير:

ولا يستوى عبدان هذا مكذب عتل لأرحام العشيرة قاطع
فقال مروان:

وعبد يجافى جنبه عن فراشه يبيت يناجى ربه وهو خاشع
فقال ابن الزبير:

ولللخير أهل يعرفون بهديهم إذا اجتمعت عند الخطوب الجماع

فقال مروان:

وللشر أهل يعرفون بشكلهم تشير إليهم بالفجور الأصابع
فسكت ابن الزبير ولم يجب، فقالت عائشة رضى الله عنها: يا عبد الله، ما لك لم
تجب صاحبك، فوالله ما سمعت تجادل رجلين تجادلا فى نحو ما تجادلتما فيه أعجب إلى
من تجادلكما، فقال ابن الزبير: إنى خفت عوار القول فكففت، فقالت عائشة رضى الله
عنها: أما إن لمروان إرثًا فى الشعر ليس لك من قبل صفوان بن الحرث الكنانى -
وكانت أم مروان آمنة بنت علقمة بن صفوان.

٢٢١ - وروى أبو عبد الله الجماز، قال: كنت أنا وأبو نواس جالسين عند باب
عثمان، إذ مر بنا أحمد بن عبد الوهاب الثقفى - وهو غلام حسن - فقال له أبو نواس:
قبلنى قبلة، فقال: لا حتى تقول فى شيئًا، فقال:

حبك يا أحمد أضناني يا قمرًا فى زى إنسان
فقبله، فقلت: وأنا فما شأنى؟ فقال: حتى تقول فى، فقلت:

بذلت لأول ما يشتهى فجد أبا العباس للثانى
فقبلنى، فقال أبو نواس: وهذا بيت يكون عندك دينًا، وأنشد:

يا وردةً أعجلها قاطف مرت بنا فى باب عثمان
٢٢٢ - وذكر الأصبهانى فى كتاب الأغانى قال: دخل أبو نواس على عنان جارية
الناطفى وهى تبكى، وقد كان سيدها ضربها، فأومأ إليه الناطفى أن يحركها بشيء،
فقال:

عنان لو جدت يا مناي بما أمل لم تقطر السماء دما
فقالت مسرعة:

فإن تمادى ولا تماديت فى منعك أصبح بقفرة رما
فقال:

علقت من لو أتى على أنفس الـ سابقين والغابرين ما رحما
فقال:

لو نظرت عينها إلى حجر ولد فيه فتورها سقما

١٣٢ فى بدائع بدائه التمليط

٢٢٣ - قال أبو الفرج: وقرأت فى بعض الكتب: دخل بعض الشعراء على عنان، فقال لها مولاها: عانتيه فقالت:

سقىا لبغداد لا أرى بلدًا يسكنه الساكنون يشبهها
فقال:

كانها فضة مموهة أخلص تمويهها مموها
فقال:

أمن وخفض ولا كهجتها أرغد أرض عيشا وأرفهها
فانقطع.

٢٢٤ - وذكر الصولى فى كتاب الوزراء قال: قال على بن يحيى المنجم: كنت عند
أبى الصقر إسماعيل بن بلبل، فقال:

حمد يتيه علينا بشكله وبقده
فقلت:

جزاؤه كلماتا ه أن يهان بصدده
فقال:

وقد ملا الأرض طرأ بتيهه وبرده
فقلت:

يارب فامنن علينا قبل الممات بفقده

٢٢٥ - وذكر محمد بن أيوب الغرناطى فى كتاب «فرحة الأنفس فى أخبار أهل
الأندلس» أن الناصر عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد
الرحمن الداخل جلس فى جماعة من خواصه، ومعهم أبو القاسم لب، وكان يعده للمجون
والتطايب، فقال له: أهج عبد الملك بن جمهور، أحد وزرائه، فقال: أخافه، فقال لعبد الملك،
فأهجه أنت، فقال: أخاف على عرضى منه، فقال: أهجوه أنا وأنت، ثم صنع:

لب أبو القاسم ذو لحية طويلة فى طولها ميل
فقال عبد الملك:

وعرضها ميلان إن كسرت والعقل مأفون ومغبول
فقال الناصر للّب: اهجه فقد هجاك، فقال بديهاً:

قال أمين الله في عصرنا لي لحية أزرى بها الطول
وابن جهير قال قول الذي مأكوله القرضيل والفول
لولا حيائي من إمام الهدى نخست بالمنخس شوو...

ثم سكت، فقال الناصر: هات تمام البيت، فامتنع، فقال له: قولو، يعنى تمام البيت،
قالها الناصر مسترسلاً غير متحفظ من زيادة الواو وإبدال الهاء واواً، إذ صوابه قله على
حكم المشى مع الطبع والراحة من التكلف. فقال لب: يا مولانا، أنت هجوته، ففطن
الناصر والحاضرون وضحكوا وأمر له بمجائزة.

القرضيل: شوك له ورق عريض تأكله البقر، وشو: اسم ذكر الرجل بالرومية.
وقولو: اسم للإست. فكأنه قال: لو لا حيائي من إمام الهدى نخست بالمنخس - الذى
هو الذكر - إسته.

٢٢٦ - قال على بن ظافر: أخبرنى من أثق به، وهو الشيخ أبو عبد الله محمد بن
القرمونى بما معناه: اجتمع الوزير أبو بكر بن القبطرنة، والأستاذ أبو العباس بن سارة
فى يوم جلا ذهب برقه، وأذاب ورق ودقه، والأرض قد ضحكت لتعبس السماء،
واهتزت وربت عند نزول الماء، فترافدا فى صفتها، فقال ابن سارة:

هذى البسيطة كاعب أبرادها حلل الربيع وحليها السنوار
فقال ابن القبطرنة:

وكان هذا الجوف فيها عاشق قد شفه التعذيب والإضرار
فقال ابن سارة:

فإذا شكا فالبرق قلب خافق وإذا بكى فدموعه الأمطار
فقال ابن القبطرنة:

من أجل ذلة ذا وعزة هذه ييكى الغمام وتضحك الأزهار
٢٢٧ - قال على بن ظافر: وأخبرنى أبو يحيى بن أحمد الستولى بما معناه: أخبرنى
كل من الأديب أبى عبد الله المتيطى، وأبى العباس أحمد بن خمير أنهما اجتمعا بمنار سبتة فى

١٣٤ فى بدائع بدائه التمليط
بعض العشايا، والشمس قد آذنت بالرواح، ونثرت زعفرانها على مسك البطاح،
فقال ابن خمير:

عشيتنا وقد لبست ردائى شحوب للتفرق والوداع
فقال المتيطى:

فيا شمس الأصيل أراك تشكو كشكوائى أطبعك من طباعى
فقال ابن خمير:

فلا تجزع لعل الدهر يوما يجود على التفرق باجتماع
٢٢٨ - قال على بن ظافر: وقال لى الستولى ما معناه: وأخبرانى أيضاً أنهما مرا
على صبي نجار ينجر أخشاب سفينة، كأن البدر يبسم عن محياه، والزهر ينسم عن رياه،
وهو يبذل من أخشابه ما كان مصوناً، ويعاقبها بالقطع لسرقتها حركات أعطافه حين
كان غصوناً، فتجاريا القول فيه، فقال المتيطى:

ورب ظبى غريـر يـروع بالهجر روعى
فقال ابن خمير:

ذلت له الخشب طوعا كذلتى وخضوعى
فقال المتيطى:

فقلت جـبى ماذا تبغى بهذا الصنيع
فقال ابن خمير:

فقال أنشى سفينا لرحلتى ونزوعى
فقال المتيطى:

فقلت دونك فاجعل سفينةً من ضلوعى
فقال ابن خمير:

شراعها من فـؤادى وبحرها من دموعى
٢٢٩ - قال على بن ظافر: وأخبرنى القاضى أبو المكارم أسعد بن الخطير المقدم
ذكره، قال: اجتمعت مع الوجيه أبى الحسن على بن الذروى رضى الله تعالى عنه،
ومعنا رجل سبى الخلق، كثير الضجر والحنق، ذو صدر يضيق عن مثقال الذرة، ويتسع

عنه اتساع الأفق لسم الإبرة، فترافدنا فى ذمة، فقال ابن الذرورى:

لو كان سرمك مثل صدرك ضيقةً طال اشتياق حناره للفيشل
فقلت:

ولكنت أول من يقال بأنه بغاء إلا أنه لم يدخل
٢٣٠ - وأخبرنى الأديب عبد المنعم بن صالح الجزيرى، قال: اجتمع عندى ابن
المنجم والوجيه أبو الحسن بن الذرورى، والفقيه الأديب أبو الفضل المنبوز بطبرى،
وجلسوا للحديث، فدخل علينا أبو الربيع سليمان بن تين الطحان، وذكر أنه رأى
رجلاً مصلوباً بأعلى الجسر، وطعن بعد صلبه، فقال الوجيه ابن الذرورى: يا أصحابنا،
اصنعوا فى هذا شيئاً، فقال ابن المنجم: إنما يصنع فيه من يتهم بأنه لا يشعر، وليس
هاهنا من يتهم إلا الشيخ أبو الفضل والشيخ أبو الربيع، فليصنعا بيتين على حرف
الذال على سبيل المرافدة، ليثبت لهما ما ادعياه من قول الشعر، فصنع طبرى فى الحال:

ومفجع تحذ الجذوع مطيةً فتقطعت لركوبها أفخاذه
وأطال أبو الربيع التفكير وافتضح فى تهادى التأمل، ففسد إليه ابن المنجم رقعة
صغيرة فيها:

وبدا لسن الرمح فيه نفاذة أحنى على أفلاذه فولاذه
وناولها له بحيث فظنت الجماعة وتغافلوا، وخفى الأمر على طبرى لسوء بصره،
فقال: بيتى خير من هذا البيت، وأكثر الصياح والجلبة، فقال له ابن الذرورى: دع عنك
هذا القول، أأست القائل فى بيتك: تحذ الجذوع... فهذا صلب على جذع أو مائة!
وقلت: أفخاذه، فله فخذان أو عشرة! وأوحى إليه بالقصة. فأقصر عن الكلام، ثم
التفت ابن الذرورى إلى سليمان وقال له: قد ثبت اليوم عملك للشعر. فانصرف، وقد
ألزموه بعمل دعوة سروراً بذلك.

٢٣١ - وأخبرنى الأديب أبو القاسم عبد الرحمن العداس، قال: اجتمع فى منزلى
أبو الفضل جعفر المنبوز بشلعل، والمهذب، وابن سعدان الدمشقى، فأنشدنا ابن سعدان
قصيدتين مفرطتى الطول، وقال: صنعتهما وبيضتهما وحملتتهما للممدوحين فى يومى
هذا، وكان الظهر لم يؤذن به بعد، فرددنا عليه قوله، فأخذ يدعى قوة الارتجال وسرعة
البديهة، فقال له جعفر: هذا مكان يمكن فيه إقامة البينة من كل مدع، ثم أطرق وقال:

ولقد قطعت اليوم مقصص بمهذبين محلق ومقصص
وقال له: اصنع على هذا البيت والزم الصادين، فقال ابن سعدان: هذا ينبغي أن
يقوله صاحب المنزل، وصدق لأن جعفرأ عنى بقوله: «محلّق» نفسه، وعنى بقوله:
«مقصص» ابن سعدان؛ لأنه كان يفرط فى قص لحيته، فقال له جعفر: قل، فلم يصنع
شيئاً، فقلت أنا:

وظفقت أغتنم السرور كأنما قد فزت من لذاته بتلصص
ثم استدعينا منه القول فما أمكن، وكأنما يبس، أو اعتراه الخرس، فقال المهذب:
فكأنما أسقيتها من خاتم ورق بياقوت المدام مقصص
ثم استدعينا فلم يقل شيئاً، فقلت: أنا أصنع عنك، وقلت - وقد نزلت عن تكرير
الصاد -:

أشنى المفند فى المدام فدامةً وأحب كل مسامح ومرخص
وانقضى المجلس ولم يصنع شيئاً.

٢٣٢ - قال على بن ظافر: وكتب إلى القاضى الأعز ابن المؤيد من الإسكندرية -
ولفظ الخبر له - قال: تسايرت أنا والقاضى المخلص أبو العباس أحمد بن يحيى بن
عوف بشاطئ خليج الإسكندرية من جهة القنطرة المعروفة بقنطرة السوارى، وقد
رقصت أشجاره على غناء أطياره، وملأ لها ساقى الغمام كتوس جلناره، فبينما نحن
نتناشد من نفيس رقيق الأشعار، ونتعاطى من كتوس رحيق الأخبار، ونتعجب من
سماء ذلك الماء كيف خلت من البدور، ومن نجوم تلك الأزهار مع طلوع شمس النهار
كيف لا تغور، إذا بجوار هناك جوار، وبدور من قبل السوارى سوار، فقلت:

لله أى بدور من السوارى سوار
فقال المخلص:

من كل هيفاء خرسا الـ وشاح خرسا السوار
فقلت:

لاحت فجلت وحلت قلبى وعقد اصطبارى
فقال:

تنوب فرعا ووجهها عن الدجى والنهار
فقلت:

فناظرها وقلبى ما بين راض وضار
فقال:

وخدها وفؤادى من جنانار ونار
فقلت:

تحكى الغزالة فى بهجته وحسن منار
فقال:

والظبى فى حسن جيد ومقلنة ونفار
٢٣٣ - قال على بن ظافر: وأخبرنى شهاب الدين يعقوب ابن أخت الوزير نجم الدين المقدم ذكره بما معناه: جلسنا على بركة فى منظره السيد صاحب الجزيرة، وقد ألقى عليها ورداً أحمر ملاً بكثرة نجومه فسحة سمائها، ونقبت حمرة حدوده صفحة مائها، وأهدى رمدة إلى مقلتها الزرقاء، فصح سرورنا بدائها، فقال رضى الدين إسحاق ابن عبد البارى:

وبركة صادقة الصفاء
فقلت:

بريئة من دنس الأقداء
فقال:

نقب فيها الورد وجه الماء
فقلت:

فأبصرت من مقلنة رمداء
٢٣٤ - وأخبرنى أيضاً هو والشريف فخر الدين أبو البركات العباس بن عبد الله العباسى الحلبي أنهما كانا مجتمعين، فمر عليهما صبى من أبناء السواديين يسوق بقراً - وكان وضع الوجه، حسن القد - فتعاطينا القول فى صفته، فقال الشهاب:

بنفسى غزالاً يسوق البقر ويقتل عمداً نفوس البشر
فقال الشريف:

بدا فبدا الغصن فوق الكثيب وبدر الدجى فى ظلام الشعر
فقال الشهاب:

تقل الغزالة عن وجهه ويصغر تشبيهه بالقمر
فقال الشريف:

شكوت إليه غرامى به فأعرض عنى دلالاً ومر
فقال الشهاب:

حلالى لما اثنى قده ولكنه لحياتى أمر
٢٣٥ - قال على بن ظافر: كنت فى بعض العشايا بالقرافة أنا والأعز بن المؤيد
المقدم ذكره - رحمه الله - فى منزل قد انعطفت قدود أشجاره، وابتسمت ثغور أزهاره،
وذاب كافور مائه على عنبر طينه، ومدت بكاسات الجلنار بنان غصونه، والنسيم قد
خفت فاعتل، وسقط رداؤه فى الماء فابتل، ووهت قواه فضعف عن السير، واشتد
مرضه حتى ناحت عليه نوائح طير، فاقترح علينا أصحاب لنا كانوا معنا أن نصنع فى
صفة تلك العشبة على هذه القافية، فقال الأعز:

جاء النسيم إلى الغصون رسولا ومشى يجر على الرياض ذيولا
فقلت:

نشوان يعثر فى الخمائل عابثا بالزهر مبلول الرداء عليلا
فقال:

فتمايلت قاماتها فكأنما شربت بكاسات الشمائل شمولا
فقلت:

فكانه قد هز رايات له خضراً وسل من المياه نصولا
فقال:

قد أطلعت من زهرها غرراً ومن جارى المياه يسوقها تحجيلا
فقلت:

تحكى العرائس فى القلائد للثرى لبست خلاخل فضة وحجولا
فقال:

ضحكت مباسم زهرها ولطالما بكيت بدمع الهاطلات طويلا
فقلت:

وبدا عليها الجلنار كأنه وجنات خود سمتها التقبيلا
فقال:

سلت عليهن البروق صوارما فكسونها منه دما مطلقولا
فقلت:

وتناظرت أطيّارها فيه وقد أكثرن قالاً فى الهديل وقبلا
٢٣٦ - قال على بن ظافر: ومررت أنا وهو رحمه الله يوماً بدولاب يثن أنين ثكالى
فقدت أطفالها، والنواعج أضلت آفالهأ، ويبكى بكاء صب آله هواه، وصارمه من يهواه،
وفرق البين بينه وبين محبوبه فراقاً لا يرجى انقطاعه، ولا يمكن استرداد ما سلبه منه ولا
استرجاعه، فقلبه قد ملأته أوجاعه، وجفنه قد ضاق مجراه عن دمعته فتفتحت به
أضلاعه، فقلت:

وساقية تئن أنين ثكلى شكت بأيننها حر الأوار
فقال:

تحن ولا تزال تطوف عجلى كرازمة تحن إلى حوار
فقلت:

غدت تحكى محبا ذا انتحاب يطوف باكيا فى رسم دار
فقال:

حكيت فلكا لجلب اللهود دارت عليه من قوادسه درارى
٢٣٧ - وبصرنا بساقية تتلوى تلوى الأفعوان، وتحقق خفقات قلب الجبان، والزهر
قد نظم بلبتها عقوداً فوق أثوابها المسكة، والنسيم يكسوها ويلبسها غلائل مفركة،
فقلت:

أساقية أم أرقم فر هاربا

فقال:

أم الريح قد هزت من الماء قاضبا

فقلت:

حصى مثل در الثغر أجرى زلاله رضا با وأبدى نبتة النظر شاربا

فقال:

يوشحها زهر الرياض قلائداً ويلبسها مر الرياح جلابيا

٢٣٨ - واجتمعت أنا وشهاب الدين يوماً، فتعاطينا القول فى صبي ينعث

بالشمس قد مضى ذكره، فقال:

وشمس متى ما أشرفت يكسها الحيا شقيقا ويلبسنى الهوى حلة الورد

فقلت:

يلوح فأبكى حين أنظر وجهه وبالقسر يبكى من يحدق للشمس

٢٣٩ - قال على بن ظافر: واجتمعنا بالقرافة فى ليلة وقد عم السرور الأرض

بسحابه، وغمرها بفائض انسكابه، فأنبئت نواحيها زاهى جلنار من شعل النار، فى

غصون مائسات، كحبال القرقيسات، وكشف بها النور سجع الظلماء، ونقل طرف

الليل إلى الشية الشقراء عن الشية الدهماء، وزهت الأرض بشهب النيران على جو

السماء، فترافدنا القول، فقلت:

أنعت ليلاً مدلهما أقتما

فقال:

أشعل بالنار وكان أدهما

فقلت:

أضحى من الحسن منيراً مظلماً

فقال:

كأثرت النيران فيه الأنجما

فقلت:

فلم نكد نعرف أرضاً من سما

٢٤٠ - قال على بن ظافر: واجتمعنا يوماً على أن نتغزل فى غلام رأيناه كأن

الشمس من أزراره أشرقت، وكان النار من وجناته أنارت وما أحرقت، ذى خيلان قد
انبثت دهم خيلها فى حياه، وتفرقت لاقتناص فرسان القلوب التى كسرها هواه، وقد
حفت وجناته بالشقيق، ولففت فصوص السبج بالعقيق، فقال:

بى رشأ أصداغه كالأوراق
بل غصن من وشيه فى أوراق
بل قمر من شعره فى أغساق

فقلت:

أجفانه مثل جسوم العشاق
وقرطه مثل القلوب خفاق
يرمقنا شزراً فيفنى الأرماق

فقال:

فى خده ماء الجمال رقراق
عجبت منه شيم ذو إحراق
يريك خيلانا حيال الأحداق

٢٤١ - قال على بن ظافر: واجتمعنا بالجامع، فرأينا غلاماً مائس العطف، ذابل
الطرف، قد عانق أفعوان شعره غصن قده، وطابق بين مبيض وجهه ومسوده، فقلت
فيه:

يا رب ظبى عطر الأنفاس
يسكن قلبى بدل الكناس
وجنته تزهر كالنبراس
وشعره فى قده المياس
مثل لسواء لبنى العباس

فقال: لو شبهته بعلم الخطيب، لا سيما إذا ذكرت حلوله بالجامع، ثم صنع فقال:

يا رب غصن أهيف رطيب
أنبته الحسن على كثيب

قام مقام الخاشع المنيب
يفتك فى الجامع بالقلوب
وقده فى شعره الغريب
يمس مثل علم الخطيب

ثم قال: زد عليه، فقلنا:

وشادن ساجى اللحاظ أحور

فقال:

أبيض يحكيه قوام الأسمر

فقلت:

وقده تحت أثيث الشعر

فقال:

من فوق ردف كالكثيب الأعفر

فقلت:

كعلم الخطيب فوق المنبر

٢٤٢ - قال على بن ظافر: ولما أعرس ابن الأمير إياس المصرى الأسدى بابنة الأمير سيف الدين أيار كوخ مقدم الأسدية، احتفل الأمراء والأجناد، وبلغوا فى الحشد غاية الاجتهاد، وأبرزوا من ضروب آلات الحرب ما يفوق الوصف، ويروق الطرف، وظهرت من مرد الممالك بدور فى سماء الغبار، وغصون من زغفهم فى غدران ومن سيوفهم بين أنهار، يسبون النواظر، بالقدود النواضر، ويستملكون الخواطر، بالشغور العواطر، فكانت أوقات ذلك الزفاف مشهورة مشهودة، وأيامه فى أيام الأعياد المعدومة النظير معدودة، فخرجت أنا والشهاب لتنظر ذلك الاحتشاد، ونتأمل تلك الظباء الظاهرة بزى الآساد، فقال:

نقبوا بالغبار وجه ذكاء ثم نابوا عن حسنها بالبيها

فقلت:

وأرونا من سحر أعينهم منه - م شموسا للنتع فى ظلماء

فقال:

طاولوا بالنقا السماء اقتداراً وتبدوا من زغفهم فى سماء
فقلت:

كل بدر يسير تحت ثريا مغفر خلف كوكب السمراء
فقال:

مثل سكنى البروج فاعتاض عنها بسروج على متون ظباء
فقلت:

ما تثنى فى الدرع إلا أرانا غصنا مائسا يجدول ماء
٢٤٣ - قال على بن زافر: واتفق أن مضى السلطان الملك الأشرف - أبقاه الله -
فى أوائل خدمتى له وأواخر سنة ثمان وستمائة إلى مدينة نصيبين، وضرب خيمته على
تل بين بساتينها يعرف بتل أبى نواس، وهو تل مشرف فى غاية العلو، مستدير الشكل
أحسن استدارة، قد استقبل جرية نهر الهرماس، حتى إذا وصل النهر إليه تفرق حواليه،
وتلوى تلوى الحيات من جانبيه، والبساتين محيطة به قد ملأت أكثر مرمى البصر، وهو فى
نفسه قد تآزر بالأعشاب، واكتسى بغرائب الأزهار التى أدناها شقائق النعمان، وباسم
الأقحوان، وكنت أنا مقيماً بالبلد لتدبير أحوالها وتزجية وجوه أموالها، وأنا أكرر إليه،
وإنما نقطع المسافة إلى الخيام فى جنات ذات أنهار، وظلال تمنع الحرور وتأذن للنسيم
والأنوار، فعن لى أن قلت فى بعض خرجاتنا ونحن سائرون على ظهور دوابنا:

اجلس بتل أبى نواس ما بين باطية وكاس
وابتغ سروراً باعه منك الزمان بلا مكاس
فى ظل غيث ذى ارتجاس زبالرواعد وارترجاس
واستدعيت من شهاب الدين المذكور المساعدة وهو يسايرنى، فقال:

تل تطلع مشرقاً بين المزارع والغراس
بالنهر منتطق على زهر كموشى اللباس
من قاس ربوة جلق بذاره أخطأ فى القياس
فقلت:

أضربته بعصاك يا موسى فأصبح ذا انبجاس

فالماء يفرى المحل سيى
والقضب أمثال القسنا
فقال:

والثم حدود الورد فى
وابن اصطباحك إن أرد
ه فتحتها أصداغ آس
ت من الغبوق على أساس
فقلت:

واسمع غناء كالغنى
شـدوا إذا أدوى القلـو
قد جاء من بعد الإياس
ب أسى فمـنه لهـن آس
فقال:

لا تقتنع بالكاس وابـ
واكرع فما حق المدا
غ الرى من جام وكاس
مة أن تراك وأنت حاسى
فقلت:

خذها لها إن ساورت
واترك على الأعراب ما اخـ
عقل الفتى أى افتراس
تاروه من لبن العساس
فقال:

من كف ظبى لىن الـ
ظبى ولكن القلوب
أعطاف صلد القلب قاسى
تكنه بـدل الكناس
فقلت:

يحنى بلا سكر ويكـ
يهوى ويذكر وهو سا
سر جفنه لا من نعاس
ل للذى يهواه ناسى

ثم شغلنا بالوصول واستدعانى السلطان فدخلت إليه، فعمل الشهاب تمامها وأنا عنده، وكتبها على هذه الصورة وأنفذها إلى:

سهل الخلائق رطبها صعب الشكيمة والمراس .

لا يستجيب ولا يطيع مع ولا يجود ولا يواسى
 ما بين ندمان ظرا ف حين تخبر كياس
 واشرب برأس التل لا تحفل بغمدان براس
 واهنا بدولة سيف ذى يزن ودولة ذى نواس
 فلقد فضلتها بمجا سد شامخ وندى وباس
 ورواق ملك ثابت الـ أركان سامى الفخر راسى
 فالعمر ماتم السرو ربه كقول أبى فراس
 لا زال يخدمك الزما ن ومن حواه من أناس

٢٤٤ - واتفق يوماً وقد اجتمعنا بثغر الإسكندرية أيام حلول السلطان الملك العزيز به إلى جزيرة الثغر لزيارة قبر أختنا الأعز بن المؤيد - رحمه الله - وقد كان توفى أغبط ما كان بالحياة، وأياس ما كان من الوفاة، وغصن شبابه رطيب، والزمان بالثناء على فضله الخطير خطيب، فلما حللنا بفناء قبره، وأرسلنا سيل المدامع لذكره، قال الشهاب:

أيا قبر الأعز سقيت غيثا كجود يديه أو دمعى عليه
 وقلت:

وحلت جانبك مروج زهر تحاكى طيب أوقاتى لديه
 فقال الشهاب:

لفقد إخائه الصافى وداداً وددت الموت من شوق إليه
 ومن التمليط الواقع بين ثلاثة من الشعراء مما كان بقسيم لقسيم:

٢٤٥ - روى المدائنى قال: خطب أويس القرنى رضى الله عنه أم الشماخ ومزرد وجزء، بنى ضرار، وحضر إليهم، فقال الشماخ:

نبئتها ناكحةً أويسا

فقال مزرد:

يهدى إليها أعزاً وتيسا

فقال جزء:

حمقا ترى ذاك بها أم كيسا

..... فى بدائع بدائه التمليط
فقال أويس: لعن الله من يكون رابعكم. وما أحسب أويساً رضى الله عنه خطب
امراً قط، ولعله غيره، أو فى الرواية وهم.

٢٤٦ - ومن ذلك ما رواه أبو الفرج الأصفهاني عن رجاله، وتتصل روايته
بالحرمازي قال: نزل شبيب بن البرصاء المري، وأرطأة بن زفر، وعوفى القوافى برجل
من أشجع كثير المال يسمى علقمة، فأتاهم بشربة لبن ممدوقة، ولم يذبح لهم، فلما رأوا
ذلك منه قاموا إلى مطيهم ورواحلهم فركبوها، ثم قالوا: تعالوا حتى نهجو هذا الكلب،
فقال شبيب:

أفى حدثان الدهر أم فى قديمه تعلمت ألا تقرى الضيف علقما
فقال أرطأة:

لبشنا طويلاً ثم جاء بمذقة كماء السلا فى جانب القعب أثلما
فقال عوفى:

فلما رأينا أنه شر منزل رمينا بهن الليل حتى تصرما
٢٤٧ - وروى أيضاً أن عقيل بن علفة المري خرج هو وابناه جثامة وعلفة وابنته
الجرباء، حتى أتو بتناً له ناكحاً فى بنى مروان بالشام آمت، ثم إنهم قفلوا بها حتى كانوا
ببعض الطريق، قال عقيل:

قضت وطراً من دير سعد وربما على عرض ناطحنه بالجماجم
إذا هبطت أرضاً يموت غرابها بها عطشا أعطينهم بالخزائم
ثم قال: أجز يا علفة، فقال:

إذا علم غادرنه بتنوفة تذارعن بالأيدى لأخر طاسم
ثم قال: أجز يا جثامة، فقال:

وأصبحن بالمومة يحملن فتيةً نشاوى من الإدلاج ميل العمائم
ثم قال: أجزى يا جرباء، فقالت: وأنا آمنة؟ قال: نعم، فقالت:

كان الكرى سقاهم صرخديةً عقاراً تمشت فى المطا والقوائم
فقال عقيل: شربتها ورب الكعبة! لولا الأمان لضربت بالسيف ما تحت قرطيك، أما
وجدت من الكلام غير هذا! فقال جثامة: وهل أساءت؟ إنما أجازت، وليس غيرى

وغيرك! فرماه عقيل بسهم فأصاب ساقه والرحل، ثم شد عليها وقال: لولا يعيرنى بنو مرة بعد اليوم ما ذقت الحياة. ثم خرج متوجهاً إلى أهله، ثم نحر عند جثامة جزوراً وتركه وقصد قومه، وقال: لئن أخبرت أهلك بشأن جثامة أو قلت لهم إنه أصابه غير الطاعون أتيت عليك، فلما قدموا على أهل أير، وهم بنو القين، ندم عقيل على ما فعله بجثامة، فقال لهم: هل لكم فى جزور انكسرت؟ قالوا: نعم، قال: الزموا إثر هذه الرواحل حتى تجدوا الجزور، فخرج القوم حتى انتهوا إلى جثامة، فوجدوه وقد أنزفه الدم، فحملوه واقتسموا الجزور، وأنزلوه عليهم، وعالجوه حتى برأ، وألحقوه بقومه، فلما احتملوه وقرب الحى تغنى جثامة بقوله:

أبعدر لاهينا ويلحين فى الصبا وما هن والفتيان إلا شقائق

فقال له القوم: إنما أفلت من الجراحة التى جرحك أبوك أنفأ، وقد عاودت ما يكرهه، فأمسك عن هذا ونحوه إذا لقيته، لا يلحقك منه شر وعر، فقال: إنها خطيرة خطرت، والراكب إذا سار يترنم.

وقد ذكر ابن قتيبة فى كتاب الأشربة هذه الحكاية على غير هذه الصفة، وذكر لعقيل البيت الأول من بيتيه، وجعل بدل علفة أخاه عملس، وأشد له البيت الأول أيضاً من بيتيه، ثم ذكر أنه أنحى على ابنته الجرباء يضربها بالسوط، فلما رأى ذلك بنوه وثبوا عليه، فشلوا فخذة بسهم، فقال:

إن بنى زملونى بالدم من يلق آساد الرجال يكلم

شنشنة أعرفها من أخزم

٢٤٨ - وذكر أبو الفرج هذا الرجز فى حكاية أخرى تتصل بزيد بن عياش التغلبى، والربيع بن نمير، قال: غدا عقيل بن علفة على أفراس له عند بيوته، فأطلقها ثم رجع، فوجد بنيه وأمهم مجتمعين، فشد بسيف فحاد عنه، وتغنى بقوله:

قفى يا بنة المرى نسألك ما الذى تريدن فيما كنت منيتنا قبل

نخبرك إن لم تنجزى الوعد أننا ذواخله لم يبق بينهما وصل

فإن شئت كان الصرم ما هبت الصبا وإن شئت لا يفنى التكارم والبذل

فقال عقيل: يا ابن اللخناء، متى متك نفسك هذا! وشد عليه بالسيف - وكان عملس أخاه لأمه، فحال بينه وبينه - فشد على عملس بالسيف، فرماه علفة بسهم،

فأصاب ركبته، فسقط عليل، وجعل يتمك فى دمه، ويزجر بالرجز المقدم، وبعده:

من يلق أبطال الرجال يكلم ومن يكن ذا أود يقوم

قال المدائنى: وأخزم فحل لرجل كان منجباً، فضرب فى إبل رجل آخر، ولا يعلم صاحبه، فرأى بعد ذلك من نسله جملاً، فقال: شنشنة أعرها من أخزم، فأرسلت مثلاً.

قال على بن ظافر: ذكر الحريرى فى تفسير بعض مقاماته أن أخزم جد حاتم الطائى، وأن جده الأدنى سعداً ضربه له مثلاً؛ لما رأى من تخلقه بأخلاقه وآثاره، والشنشنة: الشبه.

والصحيح ما ذكره أبو الفرج، وهذه الفعلة من علفة كانت سبب تفريق عليل أولاده وطردهم عنه، وكانوا يقصدون أذاه بإنشاد الغزل بحضرة أخواتهم؛ لأنه كان مفرط الغيرة، مبالغاً فى الظنة، شديد الرقاعة، وهم من شياطين العرب.

٢٤٩ - وذكر أبو الفرج محمد بن إسحاق المعروف بالوراق بن يعقوب النديم فى كتاب الفهرست، قال: صار جناد وإسحاق الجصاص إلى أبى عرار العجلى أحد رواة اللغة، فقال له جناد: اسمع شيئاً قلته وأجزه، قال: قل، فقال جناد:

فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظرى إلى دير هند كيف خطت مقابره
فقال إسحاق:

ترى عجباً مما قضى الله فيهم رهائن حثف أوجبه مقادره
فقال أبو عرار:

بيوت ترى أثقالها فوق أهلها ومجمع زور لا يكلم زائر

٢٥٠ - وذكر محمد بن سفيان مما رواه أبو الفرج، أن مطيع بن إياس وحماد عجرد ويحيى بن زياد خرجوا فى سفر، فلما نزلوا ببعض القرى عرفوا، فأنزلوا منزلاً، وأتوا بطعام وشراب، وبينما هم يشربون فى صحن الدار، إذ أشرفت بنت دهقان من سطح لها بوجه مشرق رائق، فقال مطيع لحماد: ما عندك يا حماد؟ فقال حماد: خذ فيما شئت، فقال مطيع:

ألا يا أبى الننا ظر من بينهم نحوى

فقال حماد:

ألا ياليت فوق الحقو — منها لاصقا حقوى
فقال مطيع:

وأن البضع ياحما — د منها شوبك المروى
فقال يحيى بن زياد:

ويا سقيا لسطح أش — رقت من بينهم حذوى
٢٥١ - وروى محمد بن خلف المرزبانى عن بعض شعراء الكوفة قال: قال لى محمد
ابن كناسة: قد اشتهد دنانير - يعنى جاريتة المشهورة جمالاً وأدباً - أن تنظر إلى الحيرة،
فهل لك أن تساعدنا؟ - وكان الزمان ربيعاً - فقلت: نعم، فقال: تقدمنا لنلحق بك،
فقصدت الخورنق وجلست فى بعض المواضع المعشبة، وإذا به قد أقبل على بغلة ومعه
دنانير على حمار، فأخذ غلامه دابتيهما، فنزلا وجلسنا، وقد ستر بعض وجهها منى،
فقلت أداعبها - وكان محمد يأنس بى ويسكن إلى -: إنما تسترين وجهك عن شيخ،
فقلت: طماح عين، قال: فضحكنا، ثم أخذنا ننظر إلى رياض الحيرة وبقاعها، وتذكر
ما مضى لها من الزمان، ونستحسن حمرة الشقائق على ائتلاف تلك الأنوار والألوان،
وطيب روائح النوار، فأخذ محمد عوداً وكتب على الأرض:

الآن حين تزين القطر — أنجاده ووهاده العفر
ثم قال لدنانير: أجزيه، فقلت:

بسط الربيع بها الرياض كما — بسطت ثياب فى الثرى خضر
فقلت: أحسنت والله، فقال: أجز، فكتبت تحتها:

برية فى البحر نابطة — يجبى إليها البر والبحر
فكتبت:

وسرى الفرات على مياسرها — وجرى على أيانها النهر
وبدا الخورنق فى مطالعها — فرداً يلوح كأنه الفجر
كانت منازل للملوك ولم — يعمل بها لملك قبر

وقد ذكر أبو الفرج هذه الحكاية، ورواها عن عبيد الله بن الحسين، وعزا جميع أبياتها
لابن كناسة.

..... فى بدائع بدائه التمليط

٢٥٢ - قال الأصمعى: ما رأيت أثر النبذ فى وجه الرشيد إلا مرة واحدة، دخلت عليه أنا وأبو حفص الشطرنجي فقال: استبقا إلى بيت، فمن أصاب غرضي فله عشرة آلاف درهم، قال: فأشفقت ومنعتنى هيئته، وبدر الشطرنجي بجراءة العميان، فقال:

كلما دارت الزجاجة زادت — — اشتياقا وحرقة فبكاك
فاستحسنه وأجازته، فزالت عنى الهيبة، فقلت:

لم ينلك الرجاء أن تحضرينى وتجافت أمنيته عن سواك
فقال: لله درك! لك عشرون ألفاً، ثم أطرق ورفع رأسه وقال: أنا - والله - أشعر منكما، وأنشد:

فتمنيت أن يغشيني الله نعا ساعل عينى تراك
٢٥٣ - وقد أنبأنى التقى أبو محمد عبد الخالق المسكى، عن أبى طاهر السلفى، قال: أنبأنا أبو محمد جعفر بن السراج وابن يعلان الكبير قالوا: أنبأنا أبو نصر عبد الله بن سعيد السجستاني الحافظ، عن أبى يعقوب النجيمى، قال: حدثنا الأزدي، عن ابن دريد، عن أبى حاتم، عن الأصمعى، قال: دخلت على الرشيد وعنده أبو حفص الأعمى المعروف بالشطرنجي، فقال: استبقا إلى آخره، فوقع فى نفسى أنه يريد جارية الناطقى، فهبته وبدرنى أبو حفص فقال:

مجلس ينسب السرور إليه لمحـب ريجانه ذكـراك
فقال: قد قاربت ولك العشرة وتهيبته، فقال: كلما دارت الزجاجة... وذكر باقى الحكاية بنحو ما فى الأولى.

٢٥٤ - وحدث رزين العروضى قال: أصبحت مخموراً، فتفكرت فيمن أنس به، فذكرت عنان، فاستأذنت عليها، فإذا عندها أعرابى، فقالت: يا عم، قد أتانى الله بك على فاقة، إن هذا الأعرابى قصدنى فقال: قد بلغنى أنك شاعرة، فقولى حتى أجزى، وقد أرتج على، فقلت:

لقد قل العزاء وعيل صبرى عشية عيسهم للبين زمت
فقال الأعرابى:

نظرت إلى أوائلهن صبحا وقد رفعت لها حدج فحنت

فقال عنان:

كتمت هواهم فى الصدر منى ولكن الدموع علىّ نمت
فقال الأعرابى: أنتِ أنتِ أشعرنا، ولولا أنك حرمة لقبلتك.

٢٥٥ - قال: وروى محمد بن عيسى بن عبد الرحمن قال: خرج إبراهيم بن العباس الصولى ودعبل بن على الخزاعى وأخوه رزين فى نظراء من أهل الأدب رجالة إلى بعض البساتين فى خلافة المأمون، وذلك فى زمن خمولى إبراهيم، فلقوا جماعةً من أهل السواد من حمال الشوك، فأعطوهم شيئاً وركبوا حميرهم، فأنشأ إبراهيم يقول:

أعيضت من حمول الشو ك أحمالاً من الحرف
نشأوى لا من الصهبا ء بل من شدة الضعف

فقال رزين:

فلو كنتم على ذاك تميلون إلى قصف
تساوت حالكم فيه ولم تبقوا على خسف

فقال دعبل:

وإذ فات الذى فات فكونوا من أولى الظرف
ومروا نقصف اليوم فإنى بائع خفى

فانصرفوا عنه، وباع خفه، وأنفق ثمنه عليهم.

٢٥٦ - وذكر يزيد بن أبى اليسر الرياضى فى كتابه الأمثال الذى جمعه للمعز بن تميم صاحب القاهرة، قال: أخبرنى سيبويه، قال: اجتمع محمد بن مقبل ومحمد بن مجمع وأبو نصر الأشعثى فى بستان لابن مقبل، وفى البستان نرجس تيس به الريح، فقال ابن مقبل:

شموس وأقمار من الزهر طلع لذى اللهو فى أكنافها متمتع
فقال محمد بن مجمع:

تجاذب أعلاها الرياح فتثنى فيلثم بعض بعضها ثم يرجع

فقال الأشعثى:

كأن عليها من مجاحة ظلها لآلى إلا أنها هى ألمع
ويحدرها عنها الصبا فكأنها دموع يراها البين والبين يفجع

٢٥٧ - وذكر عبید الله بن أحمد بن أبى طاهر فى تاريخ بغداد قال: اجتمع عند أبى الحسن على بن يحيى بن المنجم أحمد بن أبى طاهر، وأبو هفان عبد الله بن أحمد العبدى، وأبو يوسف يعقوب بن يزيد، على نبىذ، فقال أبو هفان بديهاً يمدح علياً:

وقائل إذ رأى عزمى على الطلب أتهت أم نلت ما ترجو من الأدب
إن ابن يحيى علياً قد تكفل بى وصان عرضى كصون الدين والحسب

فابتدر التمار فقال:

تذكى لزواره نار منورة على يفاع ولا تذكى على صيب
من فارس الخيل فى آيات مملكة وفى الأكارم من جرثومة النسب

فقال أحمد بن أبى طاهر:

له خلائق لم تطبع على طبع ونائل وصلت أسبابه سيبى
كالغيث يعطيك بعد الرى نائله وليس يعطيك ما يعطيك عن طلب

٢٥٨ - ومنه قال: اجتمع عند أحمد بن أبى طاهر: أبو الضياء القينى، وأبو سليمان

النبلسى الضرير فى أيام أبى الصقر على نبىذ، فقال أحمد بن أبى طاهر:

كأنما الـتـف بـرىـحانه ثوب من النرجس مشقوق
فقال القينى:

أو روضة خضراء نوارها بالمزن مصبوح ومغسوق
فقال النبلسى:

له نسيم بيننا ساطع كأنه بالمسك مفتوق
كأنه يا ابن أبى طاهر من طيب أخلاقك مخلوق

٢٥٩ - وذكر أبو حفص عمر بن على المطوعى فى كتاب «درك الغرر ودرج الدرر»

فى محاسن نظم الأمير أبى الفضل الميكالى قال: سمعت الأمير أبا الفضل يقول: سمعت أبا القاسم الكرخى يقول: كنت ليلة عند الصاحب بن عباد، ومعنا أبو العباس

الضبى، وقد وقف على رءوسنا غلام كأنه فلقة قمر، فقال الصاحب مرتجلاً:

أين ذاك الظبى أين

فقال أبو العباس الضبى:

شادن فى زى قينة

فقال الصاحب:

بلسان الدمع تشكو أبداً عيناي عينيه

فقال أبو القاسم:

لى دين فى هواه ليته أنجز دينه

فزاد الأمير أبو الفضل عند إنشاد أبى القاسم، فقال:

لا قضى الله ببين أبداً بينى وبينه

٢٦٠ - وأخبرت أن الأمير أبا الفتح بن أبى حصينة السلمى، وأبا محمد عبد الله

ابن محمد بن سعد الخفاجى الحلبى اجتمعوا عند الأمير سديد الملك أبى الحسين على بن
المقلد بن نصر بن منقذ الكنانى، فتفاوضوا فى فنون الأدب، فقال ابن أبى حصينة:

قمر إن غاب عن بصرى

فقال الخفاجى:

فؤادى حد مطلعته

فقال ابن أبى حصينة:

لست أنسى أدمعى ولها

فقال الخفاجى:

خلطت فى فيض أدمعه

فقال سديد الملك:

قلت زرنى قال مبتسماً طمع فى غير موضعه

٢٦١ - قال على بن ظافر: أخبرنى من أثق به بما معناه، قال: خرج الوزير أبو بكر

ابن عمار والوزير أبو الوليد بن زيدون ومعهما الوزير ابن خلدون من إشبيلية إلى منطرة

لبنى عباد بموضع يقال له: الغيث، تحف به مروج مشرقة الأنوار، منتسمة النجود والأغوار، مبتسمة عن ثغور النوار، فى زمن ربيع سقت السحب الأرض فيه بوسميتها ووليها، وجلتها فى زاهر ملبسها وباهر حليها، وأرداف الربا قد تأزرت بالأزر الخضضر من نباتها، وأجياذ الجداول قد نظم النور قلائده حول لباتها، ومجامر الزهر تعطر أردية النسيم عند هباتها، وهناك من البهار ما يزرى بمداهن النضار، ومن النرجس الريان ما يهزأ بنواعس الأجفان، وقد نواوا الانفراد باللهو والطرب، والتنزه فى روضتى النبات والأدب، وبعثوا صاحباً لهم يسمى خليفة هو قوام لذتهم، ونظام مسرتهم، ليأتيهم بشراب يذهبون الهم بذهبه فى لجين زجاجه، ويرمونه منه بما يقضى بتحريكه للهرب عن القلوب وإزعاجه، وجلسوا لانتظاره، وترقب عوده على آثاره، فلما بصروا به مقبلاً من الفج بادروا إلى لقائه، وسارعوا إلى نحوه وتلقائه.

واتفق أن فارساً من الجند ركض فرسه فصدمه، ووطئ عليه فهشم أعظمه وأجرى دمه، وكسر قمعل الشراب الذى كان معه، وفرق من شملهم ما كان الدهر قد جمعه، ومضى على غلوائه راكضاً، حتى خفى عن العين خائضاً، وحين وصل الوزراء إليه تأسفوا عليه، وأفاضوا فى ذكر الزمن وعدوانه، والخطب وألوانه، ودخوله بطوام المضرات على توام المسرات، وتكديره الأوقات المنعمات بالآفات المؤلمات، فقال ابن زيدون:

أنلهو والحتوف بنا مطيفه ونأمن والمنون لنا مخيفه
وقال ابن خلدون:

وفى يوم وما أدراك يوم مضى قمعالنا ومضى خليفه
وقال ابن عمار:

هما فخارتا راح وروح تكسرتا فشقفات وجيفه

٢٦٢ - وأخبرنى الشريف فخر الدين أبو البركات العباس بن عبد الله المقدم ذكره، قال: أخبرنى الشيخ تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن الكندى، قال: أخبرنى ابن الدهان القرطبى قال: مضيت أنا وأبو الفضل البغدادى وابن صلاح إلى دار أمين الدولة أبى الحسن هبة الله بن صاعد ابن التلميذ، فأساء لنا حاجبه قنبر، وأفرط فى منعنا من الدخول إليه، فقال أبو الفضل:

قد بلينا في دار أسد — عمد خلق بمدبر
فقلت:

بقصير مطول — مستطيل مقصر
فقال ابن الصلاح:

كم تقولون قنبر — قطعوا رأس قنبر

ثم أذن لنا، فدخلنا نضحك، فسألنا عن سبب ضحكنا، فأخبرناه بالسبب، فقال: أنشدوني الأبيات جملة أميز لكم قول كل واحد منكم، فأنشدناه الأول، فقال: هذا لأبى الفضل؛ لأنه شاعركم، ثم أنشدناه الثاني، فقال: هذا لك؛ لأن فيه شيئاً من ألفاظ المهندسين، وأنت رجل مهندس، ثم قال: والثالث لابن الصلاح؛ لأنه مخضرم.

٢٦٣ - قال على بن ظافر: مضيت أنا وشهاب الدين المقدم ذكره، والقاضي الأعز ابن المؤيد - رحمه الله - في جماعة من أصحابنا إلى الدير المعروف بالقصير، إثارةً لنظر تلك الآثار، فلما تنزهنا في حسن منظره، وقضينا الوطر من نظره، تعاطينا القول فيه جرياً على عادة الخلعاء والبلغاء، وظرفاء الأدباء، ومجان الشعراء، الذين نبذوا الوقار بالعراء، فقطعوا طريق الأعمار بطروق الأغمار، وضيعوا العين والعقار في تحصيل العين والعقار، فقال الشهاب:

سقى الله يومى بدار القصير — قصير العزالي طويل الذبول
محلل إذا لاح لى لم أقف — بصحبي على حومل فالدخول

فقلت:

فكم فيه من قمر فى دجى — على غصن فى كثيب مهيل
بلحظ صحيح وطرف سقيم — وروح خفيف وردف ثقليل

فقال الأعز:

قطعت به العيش مع فتية — صباح الوجوه كرام الأصول
بكل كريم قصير المرا — حاز المعالي بسباع طويل

فقال الشهاب:

إذا فمه سل سيف المدام فكم من سليب وكم من قتيل
فقال الأعز:

وكم من خليع كريم الفعال يجدد بالجدود غيظ البخيل
فقلت:

نوافيه ذا ذهب جامد فيفنيه فى ذائب للشمول
ثم صنع الشهاب فيه على غير هذا الروى والوزن، فقال:

على عمر القصير قصرت عمرى وصنت خلاعتى وأزلت وقرى
فقال الأعز:

ولم أسمع لعمرى قول زيد إذا ما لامنى أو قول عمرو
فقلت:

ظفرنا فيه من شفة وكأس بمشروبين من ريق وخر
فقال الشهاب:

ودافعنا يقين الدين فيه بمظنونين من خمر وخصر
فقال الأعز:

كسوت به كئوس البيض حمراً من القمص اشتريناها بصفر
فقلت:

وظلت بمارق للهو أتلو بهز البيض فيه عناق سمر

٢٦٤ - قال على بن ظافر وجلسنا يوماً فى روض قد ماست قدوده، واخضرت

بروده، وخجل ورده من عيون نرجسه، فاحمرت خدوده، والروض يهدى إلى الآفاق

طيب عرفه، والنسيم يركض فى ميادين الأزهار بطرفه، فقلت:

بعث النسيم إلى الرياض رسولا يوحى إليه بكرة وأصيلا
فقال الأعز:

يدعو إلى شرب المدام فليتنى كنت اتخذت مع الرسول سيلا

يا ويلتا ذهب الشباب فليتنى لم أتحذ فيه العفاف خليلا
٢٦٥ - ومما روى فى مثل هذا إلا أنه روى عن قوم مجاهيل، فأخرنا ذكره حتى
انتهى الترتيب، ولم نر إخلاء الكتاب من ذكره؛ لأنه يجرى مجرى الملح، ما روى أن ثلاثة
من الكتاب خرجوا إلى متنزه، فبينما هم يأكلون طعاماً كان معهم، إذا بمتطفل جلس
إليهم، وابتدأ فى تلقف ما فى الطبق مما بين أيديهم، فقالوا له: هل عرفت منا أحداً؟
قال: نعم هذا - وأشار إلى الطعام - فتعاطوا صفتهم، فقال أحدهم:

لم أر مثل جذبته ومطه

فقال الآخر:

والأكل من دجاجه وبطه

فقال الثالث:

كان جالينوس تحت إبطه

فقالا: أما نحن فوصفنا من شدة أكله ما عايناه، فما معنى كون جالينوس من تحت
إبطه؟ فقال: يلقمه جوارش الكمون لثلا يتخم.

ومن التمليط الواقع بين أربعة شعراء:

٢٦٦ - ما روى الأصبهانى بسند يتصل بإسحاق الموصلى عن رجاله، أن عمر بن أبى
ربيعة، والحارث بن خالد المخزوميين، وأبا ربيعة المصطلقى، ورجلاً من بنى مخزوم - وهو
ابن أخت الحارث - خرجوا يشيعون بعض خلفاء بنى أمية، فلما انصرفوا نزلوا بسرف،
فلاح لهم برق، فقال الحارث: كلنا شعراء، فهللوا نصف البرق، فقال أبو ربيعة:

أرقت لبرق فى دجى الليل لامع جرى من سناه ذو الربا فمتالع
فقال الحارث:

أرقت له ليل التمام ودونه مهامه موماة وأرض بلاقع
فقال ابن أخته:

بضىء عضاه الشوك حتى كأنه مصايح أو فجر من الصبح ساطع

حاجتنا فاعجل علينا بها من الحشاوى كل طردين
وقال الحكم:

ومن خبيص قد حكى عاشقا صفرته زينت بتلوين
فقال العقبى:

وأتبعوا ذاك بأبسية فإنكم أصحاب أبين
فقال سهل:

دعنا من الشعر وأوصافه واعجل علينا بالأخاوين
فأمر بإحضار الغداء، وخلع عليهم ووصلهم.

٢٦٩ - ومن ذلك ما أنبأنا به العماد أبو محمد الأصبهاني قال: حدثنى صديقى النجيب محمد بن مسعود القسام بأصفهان، قال: حضرت مجلس مؤيد الدين أبى على محمد بن اسبهسلار رئيس جرباذقان، وعنده شمس الدين أحمد بن شداد الغزنوى، ومجد الدين إسماعيل بن أحمد اليماني، فأحضر بين يديه ورد أحمر، فابتدر الغزنوى فقال:

الورد فإح كأنه خلق الأمير أبى على
فقلت:

أوصيته بسين الأنبا م وذكره فى المحفل
فقال اليماني:

فأحر من خجل ومن فضحته دعوى ينجل
فقال مؤيد الدين:

فى عمره كعدوه فى عزفه مثل الولى
فانظم به ورد الثنا وانثر عليه من عل

٢٧٠ - وأخبرنى القاضى الموفق بهاء الدين أبو على الديباجى، قال: كنا بالعسكر المنصور الكاملى - أعزه الله - على العباسة، وعندى فى خيمتى القاضى السعيد أبو القاسم بن سناء الملك - رحمه الله - والمهذب بن الخيمى، وأقبل بعض الشعراء من أصحابنا على أكديش، وتحت على السرج خرج مشقوق، فتعاطينا العمل فيه، فقال ابن

سنة الملك - رحمه الله :-

بط خـراج خـرجه عن قـربوس سـرجه
فقال المهذب ابن الخيمى:

لا تـرجه لـصالح يأتى ولكن أرجه
فقلت:

فإنما أفـته من بطـنه وفـرجه
وأقول: قد بقى عليهم من تمام المعنى والقوافى أن يقول أحدهم:

فهو كذا فى دخله يفكر لا فى خـرجه
ومن التمليط الواقع بين خمسة ما ذكره الثعالبي فى كتاب اليتيمة بالإسناد المتقدم:

٢٧١ - أن الأستاذ الرئيس أبا الفضل بن العميد جلس يوماً وعنده أبو محمد بن هندو، وأبو الحسين بن فارس صاحب مجمل اللغة، وأبو عبد الله الطبرى، وأبو الحسن البديهى، فجاء بعض الخدم بأترجة، فقال لهم: تعالوا نتجاذب أذيال وصفها، فقالوا: إن رأى سيدنا أن يبدأنا نفعل، فقال:

وأترجة فيها طبائع أربع

فقال ابن هندو:

وفيهما فنون اللهو والشرب أجمع

فقال ابن فارس:

يشبهها الرائى سبيكة عسجد

فقال البديهى:

على أنها من فأرة المسك أضوع

فقال الطبرى:

وما أصفر منها اللون للعشق والهوى ولكن أراها للمحبين تجمع

٢٧٢ - وعلى ذكر هذه الحكاية ذكر القزوينى فى كتاب الروضة: قال أبو الفرج، وذكر هذه الحكاية وما قال فيها الرئيس أبو الفضل وعمه أبو محمد بن هندو وغيرهم: كان الوزراء والصدور فى ذلك الزمان من ذكرنا وشرحنا ووصفنا، وصرنا الآن إلى

الزمان الحرف اهم، للذى لا فضل فى أهله ولا إفضال، وأتمودجه ذلك أنى حضرت ضيافة وزير الرى أبى العلاء اللنكى منصرفى من العراق، وقد احتشد لى ليرينى فضل عظمتة فى الوزارة بعد ما رأيت حاله الأولى، وحضر معى الوزير أبو العلاء بن حسوك، فلما صرنا إلى مجلس الأنس، ودارت الكئوس، وأخذت منه الخمر، وقد كان انتهى إليه حكاية الرئيس أبى الفضل بن العميد مع عمى، فدعا بدواة ودرج، وكتب حتى عرق جبينه، ولطخ الدرج بكثرة ما سود، ثم تبادل أترجة وقلبها، يعلمنا أنه عمل فيها شيئاً، ثم قال:

كأنها لىون فتى عاشق من برده قد لبس المخملا

فالتفت إلى أبو العلاء بن حسوك وقال لى سرأ: لا بد من إجازة هذا البيت بما يشاكل سخنة عين الوزراء، ولو عزلنى عن عملى وقطع ضياعى، ثم أقبل عليه كأنه يصل كلامه، فقال:

أو لىون حاجى من خرسان ومن إسهاله قد ركب المحملا

فتوهم الوزير أنه جد، فأخذ يحرك رأسه مستحسنًا لهذه الإجازة، ومتعجبًا من سرعة البديهة، وملكنى وأبا العلاء الضحك حتى تهتكنا، ونبه على سخريتنا منه، فظهرت منه حركات العريدة، فانصرفنا إشفاقًا من حال مكروهة تجرى علينا.

الباب الرابع

فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد من شاعرين فصاعداً

وقد يكون اجتماعهما لشيئين:

أحدهما: أن يكون ذلك لأمر ملك أو وزير، واقترح رئيس أو كبير، وسؤال صديق أو رفيق.

والثانى: أن يقصد تبين فضلها إن كانا متوافقين، أو يقصد أحدهما تعجيز صاحبه إن كانا متنازعين أو متدافعين، أو يقصد أحدهما تعجيز صاحبه إن كانا متنازعين أو متدافعين.

ويقع ما يصدر عنهما أيضاً على وجهين:

أحدهما: أن يكونا فيما نظماً متباعدي الغرضين، مختلفى المقصدين، وهو الأكثر.

والثانى: أن يتفقا على معنى واحد وهو الأقل، وربما اشتركا فى كثير من الألفاظ واتفقا فى القافية، وهذا إنما يكون عند اشتراكهما فى جودة طبع، وصفاء ذهن، وحدة خاطر، وقوة فكر، واتقاد قريحة، وبالجملة أن يكونا واردين على شريعة واحدة.

وها أنا أذكر ما مر بى من الأخبار على هذين الوجهين فى فصلين، وأبدأ بما وقع الاتفاق فيه فأقول:

الفصل الأول

فيما وقع الاتفاق فيه

٢٧٣ - قال على بن ظافر: أكثر ما يقع هذا الاتفاق الغريب والتوارد العجيب إذا ضيق المقترح على الشاعرين بأن يعين الوزن والقافية. ذكر أبو عبد الله بن شرف القيروانى فى كتاب أبقار الأفكار، قال: استدعانى المعز بن باديس يوماً، واستدعى أبا على الحسن بن رشيق الأزدي - وكنا شاعرى حضرته وملازمى ديوانه - فقال: أحب أن تصنعا بين يدي قطعتين فى صفة الموز على قافية الغين، فصنعا حالاً من غير أن يقف أحدهما على ما صنعه الآخر، فكان الذى صنعه:

فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد ١٦٣

يا حبذا الموز وإسعاده من قبل أن يمضغه الماضغ
لان إلى أن لا يجسس له فالقم ملآن به فارغ
سيان قلنا مأكلا طيب فيه وإلا مشرب سائغ
والذى صنعه ابن رشيق:

موز سريع أكله من قبل مضغ الماضغ
مأكلة لآكل وممشرب لسائغ
فالقم من لين به ملآن مثل فارغ
يخال وهو بالغ للحلق غير بالغ
فأمرنا للوقت أن نصنع على حرف الذال، فعملنا ولم ير أحدنا صاحبه ما عمل،
فكان ما عملته:

هل لك فى موز إذا ذقناه قلنا حبذا
فيه شراب وغذا يريك كالماء القذى
لو مات من تلذا به لقييل ذا بذا
وما عمله ابن رشيق:

لله موز لذىذ يعيده المستعيد
فواكه وشراب به يداوى الوقيد
ترى القذى العين فيه كما يريها النبيد
قال ابن شرف: فأنت ترى هذا الاتفاق لما كانت القافية واحدة والقصد واحداً،
ولقد قال من حضر ذلك اليوم: ما ندرى مم نتعجب، أمن سرعة البديهة أم من غرابة
القافية، أم من حسن الاتفاق.

٢٧٤ - قال أبو عبد الله بن شرف، واستخيلنا المعز يوماً، وقال: أريد أن تصنعا
شعراً تمدحان به الشعر الرقيق الخفيف الذى يكون على سوق بعض النساء، فإنى
أستحسنه، وقد عاب بعض الضرائر بعضاً به، وكلهن قارئات كاتبات، فأحب أن أريهن
هذا، وأدعى أنه قديم لأحتج به على من عابه، وأسر به من عيب عليه، فانفرد كل منا،
وصنع فى الوقت، فكان الذى قلت:

١٦٤ فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد

وبلقىسية زينت بشعر يسير مثلما يهب الشحيح
رقيق فى خدلجة رداح خفيف مثل جسم فيه روح
حكى زغب الحدود كل خد به زغب فمعشوق مليح
فإن يك صرح بلقيس زجاجا فمن حدق العيون لها صروح

وكان الذى قال ابن رشيق:

يعيبون بلقيسية أن رأوا بها كما قد رأى من تلك من نصب الصرحا
وقد زادها التزغيب ملحا كمثل ما يزيد حدود الغيد تزغيبها ملحا

فنتقد المعز على ابن رشيق قوله: «يعيبون» وقال: قد أجدت لخصمها حجة بأن بعض الناس عابه، وهذا نقد ما كنت فطنت له.

٢٧٥ - وروى ابن بسام فى كتاب الذخيرة، وهو روايتى عنه بالإسناد المتقدم، قال: حكى أبو صفوان العتكى قال: كان أبو إسحاق الحصرى يختلف إلى بعض المشيخة من القيروان، وكان ذلك الشيخ كلفاً بالمعذرين، وهو القائل فيهم:

ومعذرين كأن نبت عذارهم أقلام مسك تستمد خلوقا
قنونا البنفسج بالشقيق ونظموا تحت الزبرجد لؤلؤا وعقيقا

٢٧٦ - قال: وكان يختلف إليه غلام من أبناء أعيان أهل القيروان، وكان به كلفاً، فبينا هو يوماً والحصرى جالس عنده، وقد أخذ فى الحديث إذا أقبل الغلام:

فى صورة كملت تحال بأنها بدر السماء لسته وثمان
يعشى العيون ضياؤها فكأنها شمس الضحى تعشى بها العينان

فقال له الشيخ: يا أبا إسحاق، ما تقول فيمن هام فى هذا الغلام وصبا لهذا القدر والقوام؟ فقال الحصرى: الهيمان به والله غاية الظرف، والصبوة إليه من تمام اللطف، لا سيما وقد شاب كافور خده هذا المسك الفتيت، وهجم على صبحه هذا الليل البهيم، والله ما خلعت بياضه فى سواده إلا بياض الإيمان فى سواد الكفر، أو غيب الظلماء فى منير الفجر، فقال: صفه يا حصرى، فقال: من ملك رق القول حتى ذلت له صعابه، وانقاد له جموحه وسطح له شهابه، أقعد منى بوصفه، فقال: صفه فإنى معمل فكرى فى ذلك، ثم أطرق كل منهما لحظة، فكان الذى صنعه الحصرى:

فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد ١٦٥

أورد قلبى الـردى لام عـذار بـدا
أسود كالـكفر فى أبيض مثل الـمدى

فقال الشيخ: أترك اطلعت على ضميرى أم خضت بين جوانحى، فقال له: ولم ذلك
أيها الشيخ؟ قال: لأنى قلت:

حرك قلبى فطار صـولج لام العـذار
أسود كالليل فى أبيض مثل الـنهار

٢٧٧ - وأبناى العماد أبى حامد قال: حكى أن شرف الدين أبى المنذر بن الوزير
عون الدين بن هبيرة نظر إلى القمر فى بعض الليالى وهو يدخل تحت السحاب تارة
وينكشف أخرى، فقال للحاضرين: ليقل كل منكم فى وصفه شيئاً، فقال الأديب
مقبل:

كأنما البدر حين يبدو لنا ويستحجب السحابا
خريدة من بنى هلال لاثت على وجهها نقابا

وقال شرف الدين:

إذا تطلع بدر التم من فرج دون السحاب وحالت دونه سحب
تحاله فى رثيث من ملاءته خرقاء تسفر أحيانا وتنتقب

وقال عمه الأكرم أبو العباس عبد الواحد بن محمد بن هبيرة:

وكان هذا البدر حين تظله سحب فيخفى تارة ويثوب
حسنا تبدو من خلال سجوفها طورا فتنظر نحونا وتغيب

٢٧٨ - وقال ابن ظافر: أخبرنى أبو عبد الله بن المنجم بما معناه: صعدت إلى
سطوح الجامع بمصر فى آخر شهر رمضان مع جماعة، فصادفت الأديب الأعز أبى
الفتوح بن قلاقس، وعلى بن مفرج بن المنجم، وابن مؤمن، وشجاعاً المغربى، فانضفت
إليهم، فلما غابت الشمس وفاتت، ودفنت فى المغرب حين ماتت، وتطرز حداد الظلام
بعلم هلاله، وتجلى زنجى الليل بخلخاله، اقترح الجماعة على ابن قلاقس وابن المنجم
أن يصنعا فى صفة الحال، فأطرق كل منهما مفكراً، وميز ما قذفه إليه بجر خاطره من
جواهر المعانى متخييراً، فلم يكن إلا كرجعة طرف، أو وثبة طرف حتى أنشدا، فكان ما
صنعه ابن المنجم:

١٦٦ فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد

وعشاء كأنما الأفق فيه لا زورد مرصع بنضار
قلت لما دنت لمغربها الشمس سس ولاح الهلال للنظار
أقرض الشرق صنوه الغرب دينا رأ فأعطاه الرهن نصف سوار

وكان الذى صنعه أبو الفتوح بن قلاقس:

لا تظن الظلام قد أخذ الشمس سس وأعطى النهار هذا الهلالا
إنما الشرق أقرض الغرب دينا رأ فأعطاه رهنه خلخالا

وقطعة ابن المنجم أحسن من قطعة الأعز لتصنيفه السوار، وعل كل حال فقد أبدعا، ولم يتركا للزيادة فى الإحسان موضعا.

٢٧٩ - قال ابن ظافر: وقد جرى لى مثل ذلك مع القاضى الأعز بن أبى الحسن على بن المؤيد - رحمه الله - وذلك أنا مررنا فى عشية على بستان مجاور للنيل، فرأينا فيه بئراً عليها دولابان يتجاذبان قد دارت عليهما أفلاكهما بنجوم القواديس، ولعبت بقلوب ناظريهما لعب الأمانى بالمفالس، وهما يثنان أنين أهل الأشواق، ويفيضان ماءً أغزر من دموع العشاق، والروض قد جلا للأعين زبرجده، والأصيل قد راقه حسنه فنثر عليه عسجده، والزهر قد نظم جواهره فى أجياد الغصون، والسواقى قد أذالت من سلاسل قبضها كل مصون، والنبت قد اخضر شاربه وعارضه، وطرف النسيم قد ركضه فى ميادين الزهر راكضه، ورضاب الماء قد استتر من الظل فى لمى، وحيات المجارى حائرة تخاف من زمرد النبات أن يدركها العمى، والنهر قد صقل صيقل النسيم درعه، وزعفران العشى قد ألقى فى ذيل الجو ردعه، فاستحوذ علينا ذلك الموضع استحواذاً، وملاً أبصارنا حسناً وقلوبنا التذاذاً، وملنا إلى الدولابين شاكين أزمرا حين سجعت قيان الطير بألحانها، وشدت على عيدانها، أم ذكرا أيام نعمى وطابا، وكانا أغصانا رطابا، فنفيا عنهما لذة الهجوع، ورجعا النوح وأفاضا الدموع طلباً للرجوع، وجلسنا نتذاكر ما فى تركيب الدواليب من الأعاجيب، وتناشدنا ما وصفت به من الأشعار الغالية الأسعار، فأفضى بنا الحديث الذى هو شجون، إلى ذكر الأعمى التظلى، وقوله فى أسد نحاس يقذف الماء:

أسد ولو أنى أنا قشه الحساب لقلت صخره
فكانه أسد السسما ء يمج من فيه المجره

فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد ١٦٧
 فقال لى - رحمه الله -: يتولد من هذا معنى فى الدولاب يأخذ بمجامع السامع،
 ويطرب الرائى والسامع، فتأملته فملئت إطرِبًا، وأوسعت إغرابًا، وأخذ كل منا ينظم ما
 جاش به غمر بجره، وأنبأه به شيطان فكره، فلم يكن إلا كنقر العصفور، الخائف من
 الناطور، حتى كمل ما أردناه من غير أن يقف أحد منا على صنعه الآخر، فكان الذى
 قال:

حبذا ساعة المجرة والدو لاب يهدى إلى النفوس مسره
 أدهم لا يزال يعدو ولكن ليس يعدو مكانه قدر ذره
 ذو عيون من القواديس تبدى كل عين من فائض الماء عبره
 فلك دائر يرينا نجومًا كل نجم منها يرينا المجره

وكان الذى قلت:

ودولاب يئن أنين ثكلى ولا فقداً شكاه ولا مضره
 ترى الأزهار فى ضحك إذا ما بكى بدموع عين منه ثره
 حكى فلكًا تدور به نجوم تؤثر فى سرائرنا المسره
 يظل النجم يغرب بعد نجم ويطلع بعد ما تجرى المجره

فعجبنا من اتفاقنا، وقضى العجب منا سائر رفاقنا.

٢٨٠ - قال ابن ظافر - رحمه الله -: ومن هذا الاتفاق أيضاً ما أخبرنى به ابن
 المؤيد - رحمه الله - بمعناه قال: اجتمعت مع جماعة من أدباء أهل الإسكندرية فى بستان
 لبعض أهلها، فحللنا روضاً تثنت قامات أشجاره، وتغنت قينات أطياره، وبين أيدينا
 بركة ماء كجو سماء، أو مرقعة مراء، فنثر عليها بعض الحاضرين ياسميناً زان سماءها
 بزواهر منيرة، وأهدى إلى لبتها جواهر نثيرة، فتعاطينا القول فى تشبيهه، وأطرق كل منا
 لتحريك خاطره وتنبيهه، ثم أظهرنا ما حررنا، ونشرنا ما حبرنا، فأنشد العباس بن
 طريف الخراط الإسكندرى:

نثروا الياسين لما جنوه عبثاً فاستقر فوق الماء
 فحسبنا زهر الكواكب تحكى زهر الأرض فى أديم السماء

وأنشد الأديب أبو الحسن على بن سيف الدين الحصرى:

١٦٨ فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد
نثروا الياسمين لما جنوه فوق ماء أحب به من ماء
فحكى زهره لنا إذ تسبدي زهر الشهب فى أديم السماء
قال: وكان الذى صنعته:

نثروا الياسمين فى لجة الماء فخلنا النجوم وسط السماء
فكان السماء فى باطن الأرض ض أو الدر طف فوق الماء

قال: وسمع أبو عبد الله بن الزين النحوى القصة، ولم يكن حاضراً معنا، فقال:

نثر الغلام الياسمين ببركة مملوءة من مائها المتدفق
فكأنما نثر النجوم بأسرها فى يوم صحو فى سماء أزرق

قال على بن ظافر: وسألنى الأعز - رحمه الله تعالى - أن أصنع فى مثله، فصنعت:

زهر الياسمين ينثر فى الماء أم الزهر فى أديم السماء
أم هما مبسم شتيت فى رضاب الخريذة الحسناء
ظل يحكى عقود در على صد ر فتاة فى حلة زرقاء
وإذا خلته حبابا حسبت الس ماء طيبا كالتهوة الصهباء

وهذا آخر ما وقع لى مما فيه توارد للمعاني وتوافق المباني.

ومما يشبه هذا الباب أن يتفق الشعراء على نظم معنى مخصوص:

٢٨١ - أنبأنا العماد أبو حامد الأصبهاني إجازة، قال: صنع الشريف أبو المحاسن

ابن الشريف ضياء الدين فضل الله بن على بن عبد الله الحسنى الراوندى القاشانى فى
تعريب شعر أجمى:

إنى لأحسد فيه المشط والنشفه لذاك فاضت دموع العين مختلفه
هذا يعلق فى صدغيه أنمله وذا يقبل رجله بالرف شفه

قال: وتسامع الناس بهذا المعنى، فاجتمع على العمل فيه جماعة منهم شمس الدين

شاد الغزنونى، وكان حينئذ بأصبهان، فقال:

إنى أغار على مشط يعالجه ونشفة حظيت من قربه زمنا
هذا يغازل صدغيه وأحرمه وذا يقبل رجله ولست أنا

فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد ١٦٩

وقال أيضاً:

المشط والنشفة المحمود شأنهما كلاهما فى الهوى بالسعد ملحوظ
فتلك باللثم من رجليه فائزة وذاك بالمسك من صدغيه محظوظ

وقال فخر الدين القسام:

أغار منه على مشط ومنشفة حتى أغص بدمع فيه منسجم
فذا يمد يديه نحو طرته وذى يقبل فوها صفحة القدم

قال العماد: وعملت وأنا فى سن الصبا، وشعرى حيثئذ لا أرضاه:

مشط ومنشفة فيه حسدتهما دمعى لذا بهما فياض عارضه
فتلك حازية من مس إخصه وذاك مستغرق فى مسك عارضه

٢٨٢ - وأخبرنى بعض أصحابنا المصريين أن بعض جلساء الصالح بن رزىك
أنشد بمجلسه بيتاً من الأوزان التى يسميها المصريون الزركالش، ويسميها العراقيون
كان وكان:

النار بين ضلوعى ونا غريق فى دموعى
كنى فتيله قنديل أموت غريق وحرىق

وكان عنده القاضى الجليس أبو المعالى عبد العزيز بن الحباب، والقاضى المهذب بن
الزبير، فتقدم إليهما بنظم معناه، فصنعا بديهاً، فكان مما صنعه الجليس:

هل عاذر إن رمت خلع عذارى فى شم سالفة ولثم عذار
متألف الأضداد فيه ولم تنزل فى سالف الأيام ذات نفار
وله من الزفرات لفح صواعق وله من العبرات لج بحار
كذبالة القنديل قدر هلكها ما بين ماء فى الزجاج ونار

وكان ما صنعه ابن الزبير:

كأنى وقد سالت سيول مدامعى فأذكت حريقاً فى الحشا والترائب
ذبالة قنديل تعوم بمائها وتشعل فيها النار من كل جانب

وصنع الصالح:

وإذا تشب النار بين أضالعى قابلتها من عبرتى بسيول
فأنا الحريق بل الغريق أموت فى هذا وكذبالة القنديل

٢٨٣ - قال على بن ظافر: أخبرنى الأمير الأجل عضد الدين مرهف بن أسامة بن منقذ قال: كان لى مملوك اسمه ياقوت، فقصدت أنا وابن عمى عبد الرحمن بن محمد نظم المعنى المشهور من أن النار لا تعدو على الياقوت، فكان الذى قلته:

أسكنته قلبى وأصبح حبه من دون أقوات البرية قوتى
قالوا وكيف يقيم من أحبيته فى نار قلب بالجوى منعوت
فأجبتهم لا تعجبوا لمقامه فالنار ليس تضر بالياقوت

وكان الذى قاله ابن عمى:

يا عجباً للذى كلفت به تدنيه منى إن غاب أفكارى
يسكن قلباً من الجحيم ويزدا د ضراماً بدمعى الجارى
لا تعجبوا منه حين يسكنه فما يبلى الياقوت بالنار

الفصل الثانى

فيما لم يقع فيه توارده

٢٨٤ - فمن ذلك ما ذكره صاحب العقد - والعهدة عليه - قال: بينما الأمير محمد بن زبيدة يطوف فى قصره، إذ بصر بجارية له سكرى، وعليها كساء خز نسجت أذباله، فراودها عن نفسها، فقالت: يا أمير المؤمنين، أنا على ما ترى، ولكن فى غد إن شاء الله، فلما كان من الغد سار إليها، فقال لها: الميعاد، فقالت: يا أمير المؤمنين، أما علمت أن كلام الليل يحوه النهار، فضحك ثم خرج إلى مجلسه، فقال: من بالباب من الشعراء؟ فقيل له: مصعب، والرقاشى، والحسن بن هانىء، فأمر بهم فأدخلوا، فلما جلسوا بين يديه، قال: ليقبل كل منكم شعراً يكون آخره: «كلام الليل يحوه النهار» فمن أصاب ما فى نفسى فله حكمه، فارتجل الرقاشى:

متى تصحو وقلبك مستطار وقد منع القرار فلا قرار
وقد تركتك صبا مستهماً فتاة لا تزور ولا تزار
إذا استنجزت منها الوعد قالت كلام الليل يحوه النهار

وقال مصعب:

أتعدلنى وقلبى مستطار كئيب ما يقر له قرار
بجب مليحة صادت فؤادى بألحاظ يخالطها احورار
ولما أن مددت يدى إليها لألمسها بدا منها نفار
فقلت لها عدينى منك وعداً فقالت فى غد منك المزار
فلما جئت مقتضياً أجابت كلام الليل يحوه النهار

وقال أبو نواس:

وليلة أقبلت فى القصر سكرى ولكن زين السكر الوقار
وهز الريح أردافاً ثقلاً وغصناً فيه رمان صغار
وقد سقط الردا عن منكبيها من التكريه والنحل الإزار
فقلت الوعد سيدتى فقالت كلام الليل يحوه النهار

فقال: أخزأك الله! أكنت معنا مطلعاً علينا؟ فقال: يا أمير المؤمنين، عرفت ما فى نفسك فعبرت عما فى ضميرك، فأمر له بأربعة آلاف دينار ولصاحبيه بمثلهما.

٢٨٥ - ومن ذلك ما أخبرنى الفقيه أبو الحسن على بن فاضل بن حمدون الصورى، عن الإمام الحافظ أبى طاهر السلفى رحمه الله، عن أبى غالب شجاع الذهلى، قال: قال لنا أبو منصور بن أبى الضوء العلوى: كنت فى قرية يقال لها: بشيناء، وبها أبو محمد النامى، وهناك ناعورتان للزرع، فقال فيها وأنا حاضر:

أنا عورتى شطى بشيناء إننى نظير كما فى الوجد والهيمان
أنينكما يحكى أنينى وعبرتى كمائكما فى شدة الجريان
فلا زلتما فى خفض عيش يمه أمان من التفريق والحدثان

وعملت أنا فى الحال:

بشينى لها ناعورتان كلاهما تسح بدمع دائم الهملان
مخافة دهر أن يصيب بعينه لإحداهما يوماً فيفترقان

٢٨٦ - وذكر أبو على بن رشيقي فى كتاب الأتمودج قال: كان لمحمد بن حبيب التنوخى معشوق لا يزال يزوره إذا غاب عن منزله، فإذا حضر لم يأتته، وكثر ذلك

١٧٢ فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد

منهما، فقال لى يوماً: تعال حتى نصنع فى ذلك، فصنعت:

ما بالننا نجفى فلا نوصل إلا خلافاً مثلما تفعل
تأتى إذا غبنا فإن لم نغب جعلت لا تأتى ولا تسأل
كهاجر أحبابه زائر أطلأهم من بعد أن يرحلوا

وصنع هو:

يا تاركاً إن لم أغب زورتى وزائرى دأباً إذا غبت
وددت أن ودك لا ينثنى يزور فقدانى لو مت

قال على بن ظافر: وذكرت بهاتين القطعتين قول ابن خفاجة الأندلسى فى مثل هذه الواقعة، وهو أحسن ما سمعت فيها:

صح الهوى منك ولكننى أعجب من بين لنا يقدر
كأننا فى فلـك دائر فأنت تحفى وأنا أظهر

٢٨٧ - قال ابن رشيق: وكان كثيراً ما يتابنى غلام وضىء الوجه، وخال تحت لحيته، فنظر إليه يوماً بعض أصحابى، ثم أطرق، فعلمت أنه يعمل فيه، فصنعت بيتين، وسكت عنهما خوف الوقوع دونه، فلما رفع رأسه قال: اسمع، وأنشد:

يقولون لى من تحت صفحة خده تنزل خال كان مسكنه الخد
فقلت:

رأى ذاك الجمال فهابه فحط خضوعاً مثل ما خضع العبد
فقلت: أحسنت، ولكن اسمع، وأنشدت:

حبذا الخال كامناً منه بين الجيد سد والخد رقبة وحذارا
رام تقيله اختلاسا ولكن خاف من سيف لحظه فتوارى

فقال: فضحتنى قطع الله لسانك، واشتد ضجره.

٢٨٨ - وذكر الباخرزى فى كتاب الدمية أنه اجتمع هو وأبو عاصم الفضل بن محمد الفضلى المررى فى مجلس الإمام عبد الله الأنصارى - قال: وكان غايةً فى الكلام على المنبر، فتعاطينا القول، فقال الفضلى:

فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد ١٧٣

عيون الناس لا تلقى من الناس كعبد الله
ولا ينكر هذا غير من مال عن الله

فقال البخارى:

مجلس الأستاذ عبد الله —————
الحق الفخر بنا بعد —————
مجلس الأستاذ عبد الله —————
الحق الفخر بنا بعد —————

٢٨٩ - قال على بن ظافر: وذكر الفتح بن خاقان قال: ركب عبد الجليل بن وهبون المرسى، وأبو الحسن الحكم بن محمد المعروف بـ غلام البكرى زورقاً بنهر إشبيلية فى ليلة أظلم من قلب الكافر، وأشد سواداً من طرف الظافر، ومعهما غلام وضىء قد أطلع وجهه البدر ليلة تمامه، على غصن بان من قوامه، وبين أيديهم شمعتان قد أزرتا بنجوم السماء، ومزقتا رداء الظلماء، وموهتا بذهب نورهما لجين الماء، فقال عبد الجليل ارتجالاً:

كأنما الشمعتان إذا سمتا خدا غلام مجانس الغيد
وفى حشا النهر من شعاعهما طريق نار الهوى إلى كبدى

فقال غلام البكرى:

أحب بمنظر ليلة ليلاء تجنى بها اللذات فوق الماء
فى زورق يزهى بغرة أغيد يختال مثل البانة الغناء
قرنت يده الشمعتين بوجهه كالبدن بين النسر والجوزاء
والتاج فوق الماء ضوء منهما كالبرق يخفق فى أديم سماء

٢٩٠ - وبالإسناد المتقدم ذكر ابن بسام قال: دخل الأديبان أبو جعفر بن هريرة التطيلي المعروف بالأعمى، وأبو بكر بن بقى الحمام، فتعاطيا العمل فيه، فقال الأعمى:

يا حسن حمامنا وبهجهته مرأى من السحر كله حسن
ماء ونار حمامنا كنف كالقلب فيه السروز والحزن

ثم أعجبه المعنى، فقال:

١٧٤ فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد

ليس على لهونا مزيد ولا لحمامنا ضريب
ماء وفيه لهيب نار كالشمس فى ديمة تصوب
وأبيض تحته رخام كالثلج حين ابتدا يذوب

وقال ابن بقی:

حمامنا فيه فصل القيظ يحتدم وفيه للبرد صر غير ذى ضرر
ضدان ينعم جسم المرء بينهما كالغصن ينعم بين الشمس والمطر

وقال الأعمى وقد نظر فيه إلى فتى صبيح:

هل استمالك جسم ابن الأمين وقد سألت عليه من الحمام أنداء
كالغصن باشر حر النار من كذب فظل يقطر من أعطافه الماء

٢٩١ - قال على بن ظافر: وذكر لى أن جماعة من الشعراء فى أيام الأفضل خرجوا
متنزهين إلى الأهرام ليروا عجائب مبانيها، ويقروا ما سطر الدهر من العبر فيها، فصنع
أبو الصلت أمية بن عبد العزيز، وأنشد:

بعيشك هل أبصرت أعجب منظرًا على ما رأت عينك من هرمى مصر
أنافا بأكنان السماء وأشرفا على الجو إشراف السماك على النسر
وقد وافيا نشزًا من الأرض عاليا كأنهما نهدان قاما على صدر
وصنع أبو منصور ظافر بن الحداد:

تأمل هيئة الهرمين وانظر وبينهما أبو الهول العجيب
كعمارتين على رحيل بمحبوبين بينهما رقيب
وفيض البحر عندهما دموع وصوت الريح بينهما نجيب
وظاهر سجن يوسف مثل صب تخلف فهو محزون كئيب

٢٩٢ - وأخبرنى الشريف فخر الدين أبو البركات العباس بن عبد الله العباسى
الخلبى، قال: اجتمع مهذب الدين أبو الحسين بن منير، والشيخ أبو عبد الله محمد بن
صغير القيسرانى، الشاعران بجلب، فمر عليهما صبى سراج يسمى يوسف، مشهور
بالحسن، فستلا القول فيه فصنعا، فكان ما صنع ابن منير:

١٧٥ مقصود واحد فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى

يا سمي المرمى فى ظلمة الجـ
والذى قطع النساء له الأيدـ
لك وجه مياسم الحسن فيه
ب لمن ساقه القضاء إليها
سدى ومكن حبله من يديها
سكة تطيع البذور عليها

وكان مما صنع القيسراني:

لا تخدعن فما الحسام المرهف
وإذا رأيت اللحظ يعمل فى الحشى
ويح المحب أما يخالس نظرةً
بالله يا نفحات أنفاس الصبا
يا مسكرى وجداً بجمر جفونه
بادر جمالك بالجميل فرهما
واسبق عذارك باعتذارك قبل أن
إن جاز أن يرث الملاحه باسمه
إلا الذى يحويه جفن أوطف
عمل الأسنه فالقوام مثقف
إلا هفا بالقلب ظبى أهيف
ما بال غصن البان لا يتعطف
قل لى أتلك لواحظ أم قرقف
ذوت المحاسن أو أبل المدنف
يأتى بعزل هواك منه ملطف
أحد فإنك يوسف يا يوسف

٢٩٣ - قال على بن ظافر: وروى أن الأعز أبا الفتوح بن قلاقس، ونشو الملك
على بن مفرج بن المنجم، اجتمعا فى منار الجامع ليلة فطر، ظهر بها الهلال للعيون،
وبرز فى صفحة بحر النيل كالنون، ومعهما جماعة من غواة الأدب الذين ينسلون من
كل حدب، فحين رأوا الشمس فوق النيل غاربة، وإلى مستقرها جارية ذاهبة، قد
شمرت للمغيب الذيل، واصفرت خوفاً من هجوم الليل، والهلال فى حمرة الشفق،
كحاجب الشائب أو زورق الورق، اقترحوا عليهما وصف تلك الحال، فصنع ابن
قلاقس:

انظر إلى الشمس فوق النيل غاربة
غابت وأبقت شعاعاً منه يخلفها
وللهلال فهل وافى لينقذها
وانظر لما بعدها من حمرة الشفق
كأنما احترقت بالماء فى الغرق
فى إثرها زورق قد صيغ من ورق

وصنع نشو الملك:

يا رب سامية فى الجوقمت بها
حيث العشية فى التمثيل معركة
والشمس هاربة للغرب دارعة
وللهلال انعطاف كالسنان بدا
أمد طرفى فى أرض من الأفق
إذا رآها جبان مات للفرق
بالنيل مصفرة من هجمة الغسق
من سورة الطعن ملقى فى دم الشفق

١٧٦ فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد
وهذا - لعمري - من البديع الذى لا يلحظ سواه، ولا يحفظ إلا إياه.

٢٩٤ - قال على بن ظافر: والحكاية المشهورة عن ابن قلاقس، والوجيه أبى الحسن
على بن الذرورى، أنهما طلعا منارة الإسكندرية، والوجيه يومئذ فى عنقوان شبابه
وصباه، وهبوب شماله فى الجمال وصباه. وابن قلاقس مغرى به، دائب فى تهذيبه،
مبالغ فى تفضيض شعره وتذهيبه، ولم تكن وقعت بينهما تلك الهناة، ولا استحكمت
بينهما أسباب المهاجاة، فاقترح عليه ابن قلاقس أن يصف المنارة، فقال بديهاً:

وسامية الأرجاء تهدى أخوا السرى ضياءً إذا ما حندس الليل أظلما
لبست بها برداً من الأنس ضافياً فكان بتذكار الأحبة معلما
وقد ظلتنى من ذراها بقية الاحظ فيها من صحابى أنجما
فخيلت أن البحر تحتى غمامة وأنى قد خيمت فى كبد السما

فحين رأى الأعز ما أتى به، اشتد سروره وفرحه، وقال يصفها ويمدحه:

ومنزل جاوز الجوزاء مرتقباً كأئما فيه للنسرين أوكار
راسى القرار وسامى الفرع فى يده للنون والنور أخبار وأثار
أطلقت فيه عنان الفكر فاطردت خيل لها فى بديع الشعر مضمار
ولم يدع حسناً فيه أبو حسن إلا تحكّم فيه كيف يخترار
حلى المنارة لما حل ذروتها بجوهر الشعر بجر منه زخار
ما زال يذكى بها نار الذكاء إلى أن أصبحت علما فى رأسه نار

٢٩٥ - وأخبرنى الوجيه أبو الفضل جعفر بن جعفر الحموى، وابن شيث من
أصحابنا، قالاً: مضى الوجيه على بن الذرورى، والنجيب هبة الله بن وزير فى جماعة إلى
الحمام المعروف بأبى فروة، فجرى بينهما تنازع أدى إلى تناكر فضيلة الأدب، ثم تراضيا
بأن يحكم بينهما الشريف العروف بأنكدودة، فحكم بأن يصنعا قطعتين فى صفة الحمام
على البديهة، ثم يقع التفضيل بينهما بقدر التفاوت بين القطعتين، فصنع ابن الذرورى
بديهاً:

إن عيش الحمام عيش هنئ غير أن المقام فيه قليل
جنة تكره الإقامة فيها وجحيم يطيب فيه الدخول
فكان الغريق فيه كليم وكان الحريق فيه خليل

فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد ١٧٧

وصنع ابن وزير - بعد بطة:

الله يوم بجمام نعمت به والماء من حوضها ما بيننا جار
كأنه فوق شفاف الرخام بها ماء يسيل على أثواب قصار
فانتقد عليه الجماعة تشبيهه الماء بالماء، واستبردوا ما أتى به، فقال ابن الذرورى:
وشاعر أوقد الطبع الذكاء له أو كاد يحرقه من فرط إذكاء
أقام يجهد أياماً رويته وفسر الماء بعد الجهد بالماء

٢٩٦ - وأخبرنى الفقيه شجاع الغزلى رحمه الله قال: جلست يوماً بالوراقين على دكان الأديب أبى الفضل جعفر بن مفضل القرشى المنبوز بشلعلع، وثالثنا ذخيرة الملك المشهور خبره، المشكور أثره، وهو شيخ كان يغنى ويلفق كلاماً من جنس كلام الحمقى والمعتوهين تليقاً موزوناً على أنه شعر، إلا أنه بلغ به عند الصالح وذويه ما لم يبلغه الأخطل عند عبد الملك وبنيه، وقد اجتمع الناس عليه، ووقفوا صفوفاً بين يديه، وهو يظرفهم بشعره، ويملاً آذانهم بنعره.

قال: فمر بنا ابن وزير، فلما رأى الجمع جلس إلينا، ثم أخذ يقول أنصافاً من الشعر، وأبياتاً متفرقة فى مدح ذخيرة الملك تارة، والطنز به أخرى، يتباهى بها على العوام، ويملاً بها قلوب أولئك الطغام، ففهم الأديب أبو الفضل مقصده، وأراد أن يفضحه، ويظهر عيبه ويوضحه، فقال له: ما هذا الفتور، والشعر المقدور، والعجب منك أن تتباهى بالشعر ونحن حضور، وجر هذا الكلام خضاماً كان آخره أن استقر الأمر على أن يصنع كل منا قطعة فى مدح ذخيرة الملك على روى يختاره أول خارج من الجامع، فكان حرف الذال، فابتدر جعفر وقال:

من كان فى درك الغرام ولم يكن لحشاه من أسر الهوى إنقاذ
فذخيرة الملك الأجل بشعره ترقى القلوب من الهوى وتعاذ
وإذا مترنماً فله على كل القلوب بشدوه استحواذ

قال: وصنعت:

ذخيرة الملك أنت شاعرنا فكل شعر عداك منبوذ
وكل لفظ فمناك مسترق وكل معنى فعناك مأخوذ

١٧٨ فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد

قال: وأبى ابن وزير أن ينشد ما عمله، بل كتبه فى رقعة وقال: إنما أنشده بحضرة أبى الحسن بن برى - رحمه الله - فأتيناها جميعاً، فأنشدته أنا وجعفر ما صنعنا، فأثنى خيراً، ثم ناوله ابن وزير الرقعة، فإذا أولها يقول:

هَذَا الْفَتَى ذَخِي — رة الملك نعيذه
فلما قرأه الشيخ جمع وجهه، ثم قرأ الثانى، فإذا هو:

إذا تغنى منى منشدًا — قلوبنا مننفوذه
فزاد فى تجمعه، ثم قرأ الثالث، فإذا هو:

من كل هم بيننا — يبدو لنا شذوذه
فرمى الرقعة من يده، فكأنما ألقمه حجرًا، ثم ادعى أننا غيرنا سبكه، وكتب بذلك محضراً منظوماً كتب عليه الشعراء شهاداتهم بقطع من الشعر، أنشدنى كثيراً منها، ثم توفى قبل أن أكتبها عنه.

٢٩٧ - وأخبرنى بهاء الدين أسعد بن يحيى بن منصور بن عبد العزيز بن وهبان السلمى المعروف بابن السنجارى بحماة، وكتبه لى بخطه، قال: اجتمع عندى جماعة منهم جمال الدين بن رواحة، وعلم الدين الشابانى الشاعر المعروف بقاع، وضياء الدين سعيد ابن حياة المقرئ، وضياء الدين الحورانى، وهو فى ذلك الوقت مشهور بعشق البهاء على بن محمد الخراسانى المعروف بابن الساعاتى، فبينما نحن مجتمعون، إذ دخل علينا ابن الساعاتى وهو فى عنفوان شبابه، ونهاية حسنه، وسنه حينئذ أربع عشرة سنة، فداعبناه، فجرد سيقاً، وجعل يريد ضرب عنق الضياء الحورانى مداعباً له، وذلك بعد أن عصب عينيه بطرف عمامته، فكشف الضياء عن وجهه، وقال: أنتم كلكم تدعون أنكم فضلاء الوقت، فقولوا فى هذا شيئاً، فعمل كل منا قطعة، وخبأها فى بيقاره، فقال الضياء - وكانت فيه دعابة -: أراكم قد عملتم عمل القطاط، فأنشدونا ما علمتم، فقلنا على سبيل الهزء: لا يتقدم أحد على علم الدين، فجعل الشابانى يصف شعره ويقول: قد علمت بيتين ما يقدر أحد أن يعمل مثلهما، وزاد فى الدعوى، ثم أنشد:

قمر عندنا به — نهـ ر جيرون كوثر
لوتراءى لسنجر — قبل الأرض سننجر

فجرى بينه وبين الحورانى من المشاغبة ما ضاق به الوقت، وقال له: ويحك! أين هذا

مما نحن فيه! وأى مناسبة بينه وبين المعنى الذى اقترح عليك! وكان جمال الدين بن رواحة فاضلاً لطيفاً، فقال لى: بالله عليك إلا أنشدت قبلى، فقد رأيتك عملت أكثر منى، وكنت إلى جانبه، فأنشدت ما قلت، وهو:

حتام عدلك قد أسرفت فى عدلى	قلبى من الوجد ملآن وأنت خلى
أعاذك الله من وجدى ومن كلفى	ومن غرامى ومن خوفى ومن وجلى
لو كان يا سعد لطوفان ما ذرفت	عيناي ما استعصم المغرور بالجبل
بمهجتى راشق لى قوس حاجبه	كأنما الطرف رام من بنى ثعل
يميل عطفاه من سكر الصبا مرحاً	كما تمايل عطف الشارب الثمل
ما لاحت الشمس فى رآد الضحى وبدا	للشمس إلا رماها الطفل بالطفل
يا حامل الصارم الهندى منتصراً	ضع السلاح قد استغنيت بالكحل
ما يفعل الطبى بالسيف الصقىل وما	ضرب الصوارم مع ضرب من المقل
قد كنت فى الناس سنيا فما برحت	بى شيعه الحسن حتى صرت عبد على

٢٩٨ - وأخبرنى الأديب راجح بن إسماعيل الحللى، قال: خرجنا مع مهذب الدين أبى الحسن على بن نظيف أيام كتابته للملك المعز إسحاق بن عبد الملك الناصر - رحمه الله تعالى - إلى الأهرام للتزهر، ومعه الأديب بهاء الدين بن الساعاتى، والجمال ابن التاج البغدادى، والمهذب بن الخيمى، والأوحد المعروف بالواسطى، فاتفق أن كبت به بغلته، ثم وثبت ورفعت يديها، فتعاطينا القول فى ذلك، فبدر بهاء الدين بن الساعاتى، فقال:

قيل مادت من تحت ذا السيد الأر	ض ولم تأتتنا بمثال
هو طود النهى ومن أعجب الأشد	سواء أرض تميد تحت الجبال

وقال ابن التاج:

جلست بغلة الأمين ترينا	صدق حس كأنه إلهام
أظهرت ميزة على النوع إذ أصد	بح فى الحسن ذا علا لا يرام
نحن فى خدمة قيام لديه	ثم بغلاتنا لديه قيام

وقال الواسطى:

لم تكب بغلتك الخضراء من خور يا من هو اليوم للإسلام مسعده
لكنما الأرض مادت تحتها طربا إذ شرفت بك يا من طاب محتده

وقال ابن الخيمى:

أقسمت بغلة الرئيس المقدى حين حطت لعجزها عنه صدرا
إنما رفعت يديها قنوتاً بعد أن قبلت ثرى الأرض عشرا
إذ غدت من حجاه حاملة طو دأ ومن جود كفه العذب بجرأ

قال: وقلت أنا:

وحسام ملك يستضاء برأيه ويفل حد النائبات بجمده
لم تكب بغلته لخنون قوائم تطأ الصفا فترض صفحة صلده
لكنها حملت مشروع سودد بذ الأكارم فى إمامة مجده
سجدت وقد ظلت صفوف وفوده من خلفه يتلون آية حمده

قال على بن ظافر: وقد رأيت هذه القطعة التى نسبها الخلى لنفسه فى ديوان ابن الساعاتى، وكان الخلى مع جودته كثير الإغارة عليه.

٢٩٩ - وأخبرنى الأديب أبو القاسم بن نبطويه، قال: أنشدنى بعض أصحابنا بيتاً وسألنى أن أضمنه، وهو:

فليت الشمس لو بقيت قليلا ففيها كلما بقيت بقائى
فصنعت بديهاً:

ولما أن تلاقينا بكيانا بكاء القرب من بعد التنائى
وسمت دوام طيب الوصل منه فأعرض عند ذاك عن اقتضائى
وواعدنى إذا ما الشمس غابت وولت لا سبيل إلى اللقاء
فليت الشمس لو بقيت قليلا ففيها كلما بقيت بقائى

قال: ثم مر بى القاضى أبو الحسن على بن النبيه، فأنشدته البيت، وسألته أن يضمه، فقال بديهاً:

عسى العيس التى ظننت بسلمى تعود بها وننعم باللقاء
توالت بالعشى ولا عجيب مغيب الشمس فى وقت العشاء

في بدائع بدائه الاجتماع على العمل في مقصود واحد ١٨١

فليت الشمس لو بقيت قليلاً ففيها كلما بقيت بقائى

ثم جاء الأديب أبو العز الأعمى، فسألته تضمينه، فقال بديهاً:

بدت شمس النهار فخيلى لى بأنك قد رفعت إلى السماء

فصرت أذوب وهى تزول عنى إلى أن صرت فى حد الفناء

فليت الشمس لو بقيت قليلاً ففيها كلما بقيت بقائى

قال: ثم مر بى الفقيه أبو محمد القلى، فسألته تضمينه، فقال بديهاً:

إذا هزم الظلام سنا الضياء قضى ترحال وصلك بانقضائى

فليت الشمس لو بقيت قليلاً ففيها كلما بقيت شفائى

٣٠٠ - واجتمع يوماً شهاب الدين يعقوب، والشريف فخر الدين أبو البركات

العباس بن عبد الله العباسى، على أن يصنعا هجاء فى صبي مستحسن يسمى يونس،

فصنع الشريف بديهاً:

يونس يا متلفى بهجر قد لج فيه بلا انتهاء

إن بلع الحوت لابن متى ثمّت ألقاه بالعراء

فرب حوت بلعت أضحى مكتسباً منك بالخراء

وصنع الشهاب وعرض بالحلّى:

أدار نون الصدغ فى خده حتى غدا يونس ذا السنون

وأنبت الحلّى من فوقه لما علاه أصل يقطين

ثم صنع فيه هذا البيت، وهو:

إن بلعت يونس حوت فكم بلعت يا يونس من حوت

٣٠١ - وكنت فى صدر العمر وابتداء قول الشعر، صنعت قطعةً فى صدر نارنج

عليه طلع مفروط، وهى:

انظر إلى النارنج والطلع الذى جاء الغلام بطلعه متمايلا

فكأنما النارنج قد صاغوه من ذهب قناديلاً وذاك سلاسل

ثم زدت عليه فقلت:

أتانا بصدر واسع لو بدا لمن تعبد أحيا صورة المتعبد
حكى طلعه فيه سلاسل فضة ونارنجبه يحكى قناديل عسجد

ثم اختصرته فقلت:

أيا حسن صدر فيه مفروط طلعه يقارن نارنجبا به متلالى
قناديل تبر فى سلاسل فضة يداه وأهدى فيه كل جمال
لقد أحسن الشخص الذى جمعتهما وإلا عقيق فى سموط لآلى

٣٠٢ - واتفق إنشاد القطع فى بعض الليالى بالجامع لجماعة من أصحابنا فيهم ابن الذرورى، فقال: يتولد من هذا معنى فى صدر فيه نارنجتان وطلع مفروط، ويشبه ذلك بنهدين فى صدر عليهما أسماط در، فاستحسنت المعنى وأطرق كل منا لنظمه، ثم أنشدت:

وصدر به نارنجتان تبدتا ومفروط طلع بالملاحه حالى
فخلت بذاك الصدر نهدي خريدة وقد وشحت زهواً سموط لآلى

ثم أنشد هو:

أرسلت لى نارنجتين على صد ر وحفتهما بطلع نضيد
ثم قالت تسل عنى فهذا مثل صدرى والدر فوق نهودى

ثم ذكر معنى آخر فأطرقنا لنظمه، فقلت كالمرتل:

ألست ترى النارنجتين وقد بدا يفهما طلع نضيد منظم
كخدى غلام قد تأمل حسنه جماعة عشاق له فتبسموا

فلم يصنع فيه شيئاً، ثم اقترح معنى غيره، فنظمت فيه:

وظلع بدا المفروط فيه مقارناً لنارنجتين يجتلى الحسن منهما
كدمع جرى من جفن ظبى منعم فأضحى على الخدين منه منظما

وصنع هو هذا البيت:

وظلع على نارنجتين كأنه دموع محب فوق خدى حيبه

فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد ١٨٣

وجهه، وتعارضت أشعة القناديل عليه فتعاطينا وصفه، فصنعت:

انظر إلى حسن القناديل التى لاحت كشهب فى متون سماء
والصحن قد أبدى شهاب شعاعه إذ صار مصقولاً بمر الماء
فكأنها هى أسطر من عسجد كتبت بظهر صحيفة بيضاء

ثم صنع ابن الذرورى:

أيا حسن جامع مصر وقد تروى من الوابل المغدق
وضوء القناديل من فوقه كأسطر تبر على مهرق

٣٠٤ - قال على بن ظافر: حضرنا يوماً عند الصاحب صفى الدين بمعسكر المنصور على بلبس، عند بروز السلطان لسفرته الثانية، حين حوصرت دمشق الحصار الثانى فى خيمته، بمجلس حفل لم يعدم فيه أحد من مشايخ الدولة ووجوهها، وهم إذ ذاك متوفرون، لم ينقص لهم عدد، ولا فقد منهم أحد، فأشدنى ابن أبى حفصة قصيدة عاتبته فى بعض أبياتها، وارتقى الأمر إلى أن قال أسعد بن الخطير - رحمه الله تعالى: إن هاهنا جماعة كلهم يقول الشعر، فلو اقترح عليهم أن يصنعوا شيئاً فى بعض ما يقع تعيين الصاحب عليه، لبان الجري الجنان من العاجز الجبان، ومن جملة من معنا فى المجلس ممن يقول الشعر ابن سناء الملك، والأسعد أبو القاسم عبد الرحيم بن شيث، فاقترح الصاحب أن نعمل فى منجنيق الشمعة - وكان الهواء عاصفاً - فقلت:

أرى شمعةً ضمها المنجنيق فجاءت ك بالمنظر الأعجب
يجول عليها احمرار الغشاء كما جال برق على كوكب

وتبعنى ابن شيث فقال:

وشمعة فى المنجنيق ق وهى فيه تشرق
كأنها من تحتته شمس علاها شفق

ولم يفتح على أحد بكلمة، وانتقدوا عليه تشبيهها بالشمس، وقالوا: النجم أليق. ثم قال الصاحب: فيها معنى آخر لو نظم لكان مليحاً، وهو أن يشبه بالروح فى الجسد؛ لأن إنارة الجسد وإضاءته بالروح التى فى باطنه، فارتجلت وقلت:

١٨٤ فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد

وشمعة فى المنجنيق — ق تلتظى وتقتد
تنير فيه مثلما ينير بالروح الجسد

فاستحسن الجماعة ذلك على حسب الوقت، ثم بعد افتراق المجلس صنعت فى الشمعة والمنجنيق وباكرت صاحب به، فأنشدته:

ومجلس أنس ضم شمل جماعة تعاطوا من الآداب خير رحيق
لدى شمعة فى منجنيق غشاؤه كما أخجل التقبيل خد عشيق
ترى نارها من خلفه كبهاره تراءت لنا من خلف ثوب شقيق
كما جلست خود بتاج ودونها معصفر ستر للعيون رقيق
ويحكى عموداً من لجين مقمعا بتر بدا فى وسط بيت عقيق

٣٠٥ - قال على بن ظافر: وما يشبه هذا الباب وليس به، ما ذكره ابن بسام فى الذخيرة ورويته بالإسناد المتقدم، فى أن المتوكل بن الأفضس كان له فرس أدهم أغر محجل، على كفله ست نقط بيض، فندب المتوكل الشعراء لوصفه، فصنع النحلى أبو الوليد فيه بديهاً:

ركب البدر جواداً ساجماً تقف الريح لأدنى مهله
ليس الليل قميصاً سابغاً والثريا نقط فى كفله
وغدير الصبح قد حيض به فبدا تحجيله من بلله
كل مظلوب وإن طالت به رجله من أجله فى أجله

وصنع ابن اللبانة:

لله طرف جال يا ابن محمد فجنت به حوباؤه التأميلا
لما رأى أن الظلام أديمه أهدى لأربعه الهدى تحجيلا
وكأنما فى الردف منه مباسم تبغى هناك لرجله تقييلا

وقال فيه عبد الله بن عبد البر الشنتريني من قطعة:

وكأنما عمر على صهواته قمر تسير به الرياح الأربع

٣٠٦ - وأخبرنى بعض أصحابنا أن نشو الملك بن المنجم المقدم ذكره دخل مجلس

القاضى الأجل الفاضل - رحمه الله تعالى - فأنشده لنفسه فى مسحة القلم:

في بدائع بدائه الاجتماع على العمل في مقصود واحد ١٨٥

ممسحة نهارها
كانها قد خلقت
يجن لليل الظلم
مسنديل كم القلم

ثم أمره بالعمل فيها، فصنع بديها:

وآلة تضر النهار فما
تودع فيها الأقلام فضلة ما
تبدية إلا لوافد الظلم
تنفثه في مصالح الأمم

وقد وقف القاضى الفاضل على هذه الحكاية فى نسخة كان استنسخها من هذا الكتاب وهو يومئذ رسالة لا تتجاوز عشرة كراريس لطاف، فلم ينكرها.

٣٠٧ - وأخبرنى صاحبنا فخر القضاة أبو الفرج نصر الله ابن القاضى عز القضاة أبى العز هبة الله بن بصاقة الكاتب المعظمى، قال: شرط بعض أصحابنا ونحن مجتمعون فى بعض منازل الفرنج، وتبعه آخر، فصنع بعضنا فى الأول، وصنع بعضنا فيهما جميعاً، فصنع بهاء الدين على بن الساعاتى بديها فى الأول:

يا من صبوت إلى محبا
إن كنت خنتك فى الهوى
سنة وأصل الحب صبوه
ما بين يوم نوى ونبوه
فليت منك بكل ما
أخشاه من صد وجفوه
أو شاع سرى فى الأنا
م كضرطة الشرف ابن عروه

وصنع المولى الملك المعظم:

الشرف ابن عروة
أحمق من ضراطه
تحللت عروته
تعلمت بغلته

قال: ولما شرط الآخر قلت:

رأيت ابن عروة يتلو الظهر
فقلت أللخوف هذا الضراط
وقد شرطاً لاشتداد الجزع
فقالا إذا دهمت غارة
فلا بد من ضرب بوق الفزع
كان فؤادكما يتزع

وصنع فيهما شمس الدين إسماعيل بن منكورس - وكان ربما عبث بالبيت أو البيتين:

١٨٦ فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد

قد شرط الفسلان يوم النوى عند اشتداد الضنك والضييق
فقلت من عظم ضراطيهما لا بد للحرب من السبوق

٣٠٨ - قال على بن ظافر: واجتمعنا ليلةً فى رمضان بالجامع، فجلسنا بعد انقضاء الصلاة للحديث، وقد وقد فانوس السحور، فاقترح بعض الحاضرين على الأديب أبى الحجاج يوسف بن على المنبوز بالنعجة، أن يصنع فيه، وإنما طلب بذلك تعجيزه، فصنع وأنشد:

ونجم من الفانوس يشرق ضوءه ولكنه دون الكواكب لا يسرى
ولم أر نجماً قط قبل طلوعه إذا غاب ينهى الصائمين عن الفطر

فانتدبت له من بين الجماعة وقلت: هذا تعجب لا يصح؛ لأنى والحاضرين قد رأينا نجومًا لا تدخل تحت الحصر، ولا تحصى بالعد، إذا غابت تنهى الصائمين عن الفطر، وهى نجوم الصباح، فأسرف الجماعة بعد ذلك فى تقريعه، وأخذوا فى تمزيق عرضه وتقطيعه، فصنع وأنشد:

هذا لواء سحور يستضاء به وعسكر الشهب فى الظلماء جرار
والصائمون جميعاً يهتدون به كأنه علم فى رأسه نار

فلما أصبحنا سمع من كان غائباً من أصحابنا فى ليلتنا ما جرى، فصنع الرشيد أبو عبد الله محمد بن متانو رحمه الله تعالى وأنشدنيه:

أحبب بفانوس غدا صاعداً وضوءه دان من العين
يقضى بصوم ويفطر معاً فقد حوى وصف الهلالين

وصنع الفقيه أبو محمد القلعى:

وكوكب من ضرام الزند مطلعته تسرى النجوم ولا يسرى إذا رقبا
يراقب الصبح خوفاً أن يفاجئه فإن بدا طالعاً فى أفقه غربا
كانه عاشق وافى على شرف يرعى الحبيب فإن لاح الرقيب خبا

ثم صنعت بعد حين:

أست ترى شخص النار وعوده عليه لفانوس السحور لهيب
كحامل منظوم الأنابيب أسمر عليه سنان بالدماء خضيب

ترى بين زهر الزهر منه شقيقةً لها العود غصن والمنار كثيب
وتبدو كخذ أحمر والدجى لمى بدا فيه ثغر للنجوم شنيب
كأن لزنجى الدجى من لهيبه ومن خفقه قلباً عراه وجيب
تراه يراعى الصبح ليلاً فإن دنا طلوع صباح حان منه غروب
فهل كان يرهاها لعشق ففر إذ درى أن رومى الصباح قريب

وقلت فى اختصار هذا المعنى:

انظر إلى المنار والـ فأنوس فىسه يرفع
كحامل ربحا سنا نه خضيب يلمع

وقلت أيضاً:

ألست ترى حسن المنار وضوءه يرفع من جنح الدجى أستارا
تراه إذا جن الظلام مراقباً له مضرماً فى قلب فانوسه ناراً
كصب بخود من بنى الزنج سامها وصالاً وقد أبدى لترغب ديناراً

وقلت فيه:

وليلة صوم قد سهرت بجنحها على أنها من طولها تعدل الدهرا
حكى الليل فيها سقف ساج مسمرأ من الشهب قد أضحت مساميره تبرا
وقام المنار المشرق اللون حاملاً لفانوسه والليل قد أظهر الزهرا
كما قام رومى بكأس مدامة وحيأ بها زنجية وشحت درا

قال: ولما صنعت هذه القطع نذبت أصحابنا للعمل، فصنع شهاب الدين يعقوب:

رأيت المنار وجنح الظلام من الجوى يسدل أستاره
وحلق فى الجوى فانوسه فذهب بالنور أقطاره
فقلت الملق قد شب فى ظلام الدجى للقرى ناره
وخلت الثريا يداً والنجوم م ورقاً غدا البدر قسطاره
وخلت المنار وفانوسه فتى قام يصرف ديناراه

وأشدنى القاضى أبو الحسن بن النبيه لنفسه:

١٨٨ فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد

حبذا فى الصيام مئذنة الجا
خلتها والفانوس إذ رفعته
مع والليل مسبل أذباله
صائداً واقفا لصيد الغزاله
وأنشدنى ابن نبطويه:

يا حبذا رؤية الفانوس فى شرف
كأنما الليل والفانوس متقد
لمن أراد سحوراً وهو يتقد
فى الجو أعور زنجى به رمد
وأنشدنى أيضاً لنفسه:

نصبوا لواء للسحور وأوقدوا
فكانه سبابه قد قمعت
فى رأسه ناراً لمن يترصد
ذهبا وقامت فى الدجى تشهد
وأنشدنى الفقيه أبو يحيى الستولى - رحمه الله تعالى - لنفسه:

وليلة ملئت أسدافها لعساً
ولاح كوكب فانوس السحور على
واستوضحت غرر من ثغرها شنباً
إنسان مقلتها النجلاء واشتها
حتى كان دجاها وهو ملتهب
زنجية حملت فى كفها ذهباً

وصنع الأديب أبو العز مظفر الأعمى، وكتب بها عنه إلى، وقد كان سمع جميع المقاطيع، فأخذ معانيها وقال:

أرى علماً للناس فى الصوم ينصب
وما هو فى الظلماء إلا كأنه
على جامع ابن العاص أعلاه كوكب
على رمح زنجى سنان مذهب
ومن عجب أن الثريا سماؤها
فطوراً تحييه بباقة نرجس
مع الليل تلهى كل من يترقب
وطوراً يحييها بكأس تلهب
وما الليل إلا قانص لغزالة
ولم أر صياداً على البعد قبله
إذا قربت منه الغزالة يهرب
وأنشدنى الشريف أبو الفضل جعفر لنفسه:

كأنما الفانوس فى
لواء نصر مذهب
صاريه لما اتقدا
فى رأس رمح عقدا

٣٠٩ - وكان الملك العزيز - رحمه الله تعالى - قد غنى بين يديه دوبيت بالعجمية معناه أنه جعل الليل برد داراً للحبيب ليحجب الشمس، فاستحسن المعنى، وأرسل إلى وزيره الأجل نجم الدين أبى الفتح يوسف بن المجاور - رحمه الله تعالى - يأمره أن يصنع

فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد ١٨٩
المعنى فى شعر، وأن يأمر الشعراء بالعمل فى ذلك، فصنع بديهاً وأرسله إليه:
قال له الليل انصرف راشداً فإنه استخدمنى برردار
ثم صنعوا بعده، فمن مرو ومن باده.

٣١٠ - وأخبرنى الأسعد أبو المكارم أسعد بن الخطير، قال: كنت عند الفاضل -
رحمه الله تعالى - إذ دخل الوزير نجم الدين، فأخبره بما طلب السلطان، وأنشده ما
صنع، فقال الفاضل: هذا معنى كنت نظمته قديماً، إلا أنى استخدمت الليل بواباً،
فقلت:

بتنا على حال تسوء العدا وربما لا يمكن الشرح
بوابنا الليل وقلنا له إن غبت عنا هجم الصبح
قال الأسعد: ولم أكن صنعت شيئاً، فصنعت بديهاً:

قلت لليل عندما زارنى البد ر وأوجست خيفةً للروح
أنت يا ليل برردار حبيبي فتأهب لدفع صدر الصباح

قال: فاستحسن الوزير القسيم الثانى، فقلت: برردار المولى نعلم منه حسن الخلق،
يقول: انصرف راشداً، وهذا البرردار فظ غليظ يدفع فى الصدر.

٣١١ - وأخبرنى أبو الحسن بن النبى قال: دخلت على الأجل نجم الدين الوزير -
رحمه الله تعالى - فأمرنى بالعمل فيما رسمه السلطان فاستمهلته، فأبى فصنعت
وأنشدت:

قلت لليل إذ حبانى حبيباً وغناء يسبى النهى وعقارا
أنا سلطان مجلسى فاحجبوا الصبح ح وكن أنت يا دجى برردارا

وأنشدنى القاضى السعيد أبو القاسم هبة الله بن سناء الملك لنفسه:

أباحنى الليل وصف طيف عهديته منه لا يباح
وحجب العالمين عنى فلا غدو ولا رواح
يا ليل أمسيت برردارى إياك أن يهجم الصباح

وأنشدنى شهاب الدين يعقوب ابن أخت نجم الدين - رحمه الله تعالى - لنفسه:

قلت إذ زار من أحب وجنح الـ
ملك الحب زاره ملك الحسد
فافرشوا الورد أطلساً حين يمشى
واصرفوا حاجب الهلال فقد نم
واحجبوا قيصر الصباح وقولوا
ليل روض أبدى النجوم نهارا
من فزادا على الحسود اقتدارا
واجعلوا عسجد الكؤوس نثارا
بسرى إلى العيون سرارا
لنجاشى الظلام كمن برددارا

وأشدنى القاضى الأسعد عبد الرحيم بن شيث ناظر القدس الشريف لنفسه:

زار وقد آنس للقلب نار
طيب وقل ضيف كما أننى
لم أنسه خاض إلى الدجى
فانشق قلب الصبح غيظاً به
وذات قد كالقضيب انثنى
بديعة كم لى بها غرة
ورب ليل طاب لى وصلها
رأيتها ليلاً وصباحاً فما
بتنا ضجيعى عفة ما درت
يسكرنى لثمى لأصداغها
يجب عنا الصبح ستر الدجى
وبعدها فليطل الليل ما
وليس إلا وجهه إذ أنار
أبحته قلبى قرى أو قرار
وجاب من شوق إلى القفار
وغار نجم الأفق منه فغار
وأين منها الغصن لولا الثمار
وكم لها فى مهجتى من غرار
به فلولا وصلها قلت طار
عرفت بالليل ولا بالنهار
منا يد ما يحتويه إزار
فهى عناقيد ولثمى اعتصار
كأنما الليل لنا برددار
شاء على رغم الليالى القصار

٣١٢ - وبرز أمر الملك العزيز - رحمه الله تعالى - إلى وزيره الأجل نجم الدين -

رحمه الله تعالى - أن يصنع غزلا فى جارية صنعت على خدها بالمسك صورة حية
وعقرب، فصنع أبقاه الله بديهاً:

فديتها من غادة
سألتها فى قبلة
فجاوبت معجبه
وابابى وابابى
وليس هذا ممكناً
روضة خدى حرست
مخلوقة من طرب
فى خدها المذهب
بكفها المخضب
من عظم هذا المطلب
على ممر الحقب
بجبية وعقرب

فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد ١٩١

من رام أن يلثمها
وليشرب الدرياق من
فليرقهها بالذهب
رضاب ثغرى الشنب
وصنع أيضاً:

جعل العذول يقول لى لما بدت
لا نظمعن بوصلها وبلثمها
كالشمس فى بعد وفى إحراق
هذى مذيبة أنفس العشاق
تفاح خديها حمته بعقرب
وبجية خوفاً من الأحداق
فحذار ثم حذار يا عشاقها
فلديغها ما إن له من راق
قلت اتئد هذى وتلك تولدا
فى ماء خد مائر رقراق
والله لا خوف على بلثمها
ما دام خمر رضاها درياقى

ثم أمر الناس بالعمل فأكثروا، وصنع ابن ممتى قطعاً كثيرة تزيد على العشرين، من أحسنها قوله:

نقشت حية على
فبدت آية الكلبي
ورد خد مزخرف
م على وجه يوسف
وقال أيضاً:

فى خدها عقرب وحيه
قد جال ماء الشباب فيه
وأنت يا نفس بعد حيه
وأرسل الصدغ فيه فيّه
وقال ابن سناء الملك أدام الله نعمته:

صفا العيش فى ملك العزيز بن يوسف
فلا عقرب إلا بخد مليحة
فلم يبق فيه للشوائب باق
ولا جور إلا فى ولاية ساق
وقال أيضاً:

ظهرت معجزات ملك العزيز
حية تحت عقرب فوق خد
فهى فى وقته ذوات بروز
أحمر كاللجين والإبريز
فهما مثل قبضة بحسام
ركبوها فى صارم مهزوز

٣١٣ - وأخبرنى بهاء الدين حسن الخراسانى المعروف بابن الساعاتى، قال: أمرنى

١٩٢ فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد
السلطان أن أصنع فيما رسم من ذلك بديهاً على وزن قطعة كانت تغنى فى ذلك
الوقت، فصنعت:

أمعنفى فيمن هويت جهالةً
أرأيت درياقاً كبرد رضاها
وكحية وكعقرب فى خدها
تحيا إذا ما باشرت فم عاشق

انظر بعين العدل فيمن تعذل
بعث الصدى وهو الرحيق السلسل
أبدأ تسع فاعلمها وتقبل
وإذا تقابل من بعيد تقتل

قال: ثم صنعت:

وخريذة بيضاء ليلة هجرها
رقت مواشطها على وجناتها
أو ما عجبت لحية فى جنة
فحذار منها ما استطعت فقبلها

من شعرها وجبينها من وصلها
صوراً تعبدنى الغرام لأجلها
دونى تفوز بمائها وبظلمها
مكرت بآدم أختها فى مثلها

قال: ثم صنعت أيضاً:

يا ضرة القمرين فى شرفيهما
أقبلت مثل الشمس فى غسق الدجى
من حيث لا ماء الشباب مكدر
كتبت بخديك المواشط فتنةً
وكأنما رقم الجمال بكفه
جاء الكلیم بأية من حية

من أى شىء منك لم أتعجب
وحملت صباحاً ضاحكاً عن كوكب
كلا ولا برق السلاف بخلب
عمت عموم هواك من لم يكتب
وجه الضحى بجريرة من غيب
وأراك جئت بجية وبعقرب

وصنع شهاب الدين ابن أخت الوزير النجم من قصيدة، وأنشدنيها لنفسه:

خود جلا غرتها شعرها
يطيب ذكر الشعر من لفظها
قد رقت وجنأ أرقما
ما ذاق من قابله غفوة
مرسلة بالحسن قد أظهرت

بدر بهى فى ظلام بهيم
كأنما ذاك النسب النسيم
بالمسك فى مذهب ثوب طميم
واعجباً من ساهر بالرقيم
فى نار إبراهيم آى الكلیم

وصنع القاضى أبو العباس أحمد بن القطرسى وأنشدنيه:

١٩٣ فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد

وغادة زينت بأفعى مسك على خدها المصون
فقلت يغنيك سحر لحظ أنفذ سهماً من المنون
قالت رأيت القلوب ليست تطيق ما فيه من فتون
فصاغها الحسن فوق خدى تلقف السحر من جفونى

وأشدنى القاضى أبو الحسن بن النبيه لنفسه:

وغادة قالت وفى خدها حية مسك سلبتنى المنام
حمرة خدى إذا قارنت سواد أصداغى هام الهوام
أما ترى الحية تسعى إلى النا ر إذا ما أضرمت فى الظلام

وأشدنى أيضاً لنفسه:

فى ورد خديك بدت عقرب وحية تلسع جانبيها
يقول من بات سليما بها يا ويح من أصبح حاويها
وصنع المخلص أبو العباس أحمد ابن بنت الفقيه أبى الطاهر بن عوف وأشدنيه:

حمت ورد خديها بأفعى وعقرب فردت يدى جانبيه عن جلناره
أليس محياها المزخرف جنة فلا غرو أن حفت لنا بالملكاره

وقال أيضاً - رحمه الله تعالى -:

سألتها تصفح عن هفوة من عاشق أقسم ألا يعود
فصورت ملغزة حية وعقرباً من فوق ورد الخدود
فكان تصحيف الذى ألغزت خيفة أن يفهم عنها الحسود
غفرت ما أسلف فلتهنهه جنسة وصلى بعد نار الصدود

وأشدنى الرضى بن أبى حفصة الأحذب لنفسه:

قالوا نرى عقرباً قد قابلت أفعى فى خد ظبية أنس قط ما ترعى
فقلت لما بدا سحر الجفون لها جاءت له حية فى خدها تسعى
وتلك عقرب خديها فلا برحت لا أنها العقرب المؤذى بها طبعاً
فانظر إلى حية مع عقرب ظهرت بروض وجنتها لم يقتلا شرعاً
وزادتا حسنهما نفعاً فواعجباً من أهل ضر لها قد أظهروا النفعاً

١٩٤ فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد

لو لم يكن ريقها الترياق ما سلمت
فقل لمن سامنى ترك الغرام بها
وكان لأثمها لا يأمن اللسعا
لم أسلها والذي قد أخرج المرعى

قال على بن ظافر: وصنعت:

قضيب قدك هذا الرطب من هصره
وأطلس الخد من بالمسك صور فى
يا حسنه أفعواناً لا يعرض وإن
فلا تظننه رقشاء لاسعة
بل نفت الحاظها بالسحر خيل ثعب
يا ليت شعرى مع أنى الكليم هوى
وخمر ريقك هذا العذب من عصره
محمرة حبةً بالمسك مقتدره
أضحى على عضه للعاشقين شره
تنساب من وجهها فى روضة نضره
انا على خدها يلهى الذى نظره
لم أظهرت آيتى الحاظها السحرة

قال: وقلت أيضاً:

وغادة رقمت فى خدها صوراً
هل عقرب الصدغ خافت فتك أعيننا
أم العقارب والحيات قد ألفت
لtselb الناس ألبابا وأذنانا
فاستنجدت عقرباً أخرى وثعبانا
من وجتها بحكم الطبع بستانا

الباب الخامس

فى بقية بدائع البدائ

وفيه فصلان:

أحدهما: ما كان من البدائ باقتراح مقترح، كما تقدم فى أول الباب الرابع.
وثانيهما: ما ليس باقتراح مقترح.

الفصل الأول

فيما كان باقتراح مقترح

٣١٤ - فمن ذلك ما روى أن جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة، وهو مرثد بن عمرو بن عامر بن ماء السماء، وهو آخر ملوك جفنة بالشام، قال لحسان: حب هذا المدامة قد استحوذ على فبغضها إلى، فصنع حسان ارتجالاً:

ولولا ثلاث هن فى الكأس لم يكن لها ثمن من شارب حين يشرب
لها نزق مثل الجنون ومصرع دنى وأن العقل ينأى ويذهب

فقال: حرمتنى لذتها، فحببها إلى، فارتجل وقال:

ولولا ثلاث هن فى الكأس أصبحت من أكسد شى يستفاد ويجلب
أمانيتها والكأس يظهر طيبها على حزنها والههم ينأى ويذهب
فأمر له جبلة بجائزة وحلة من حلله.

٣١٥ - ومن ذلك ما روى أن الفرزدق دخل على عبد الملك فى بعض وفاداته عليه، فامتدحه فحباه وأكرمه وأحسن جائزته، فلما خرج من عنده ركب راحلته، وأنشد:

ما حملت ناقة من معشر رجلا مثلى إذا الريح ألقنتنى على الكور
فأنهى ذلك إلى عبد الملك، فأرسل وراءه من رده، فلما دخل عليه قال: إيه يا فرزدق! أنت الذى تقول: ما حملت ناقة... البيت؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال:

لتخرجن منها يا ابن اللخناء أو لآتين عليك! فقال مرتجلاً:

إلا قريشاً فإن الله فضلها مع النبوة بالإسلام والخير
ترى وجوه بنى مروان مشرقة يوم السدى كشرفات الدنانير
فقال عبد الملك: أولى لك! ورضى عنه.

٣١٦ - ومن ذلك ما روى أن أبا الخطاب عمر بن عامر السعدى المعروف بابن الأشد، أنشد موسى الهادى:

يا خير من عقلت كفاه حجزته وخير من قلدته أمرها مضر
فقال له الهادى: إلا من؟ فقال واصلاً كلامه:

إلا النبى رسول الله إن له فخراً وأنت بذاك الفخر تفتخر
فظن الهادى والحاضرون أن البيت مستدرك، ونظر فى صحيفته فلم يجده، فأضعف صلته.

٣١٧ - وروى أن على بن جبلة الأعمى العكوك لقى طاهر بن الحسين وهو فى حراقة له، فقال له طاهر: إنك قد قلت فى أبى دلف:

إنما الدنيا أبو دلف بين مبداه ومحتضره
فإذا ولى أبو دلف ولست الدنيا على أثره
فاصنع لى مثلهما ولك بكل بيت ألف، فصنع بديهاً:

عجبت لحراقة ابن الحسي ن كيف تعوم ولا تغرق
ومجران من تحتها واحد ومن فوقها آخر مطبق
وأعجب من ذاك أعوادها وقد مسها كيف لا تورق

فأمر له بثلاثة آلاف درهم، فأخذها وانصرف.

٣١٨ - وذكر الصولى فى كتاب الوزراء قال: حدثنا عيسى بن حماد قال: شرب الحسن بن وهب عند عبد الله بن طاهر، فعرضت سحابة، فأبرقت ثم أمطرت، فقال بعض من حضر المجلس: قل فى هذا شيئاً، فقال:

هطلتنا السماء هطلاً دراكا عارض المر زمان فيه السماكا

قلت للبرق إذ توقد فيها يا زناد السماء من أوراكا
أحبيباً نأيته فجفاكا فهو ذا العارض الذى أبكاكا
أم تشبهت بالأمير أبى العب ساس فى جوده فلسنت هناكا

٣١٩ - وذكر ابن المثنى قال: قلت لخالد الكاتب: أخبرنى عن قولك:

هذا حبيبك مطروق على كمده حرى مدامعه تجرى على جسده
له يد تسأل الرحمن راحته مما به ويد أخرى على كبده
يا من رأى كلفا مستبعداً دنفا كانت منيته فى عينه ويده

ألا قلت كما قال أبو نواس:

سماه مولاه لاستملاحه سمجاً فاختال عجباً بهذا الاسم وابتهجاً
ظبى كأن الثريا دون مفرقه والمشتري وضيء الشمس والسرجا
محكم الطرف يدنى سيف ناظره إذا انتضاه لفتك قال لا حرجا
لا فرج الله عنى إن مددت يدى إليه أسأله من حبه فرجا

فصنع بديهاً:

قل لظبى كله حسن ارث لى من فعلك السمج
عينه سفاكة المهج من دمي فى أخرج الحرج
أسهرتنى وهى راقدة باحورار الطرف والدعج
لا أتأاح الله لى فرجا يوم أدعو منك بالفرج

٣٢٠ - وروى أن أبا تمام لما أنشد أحمد بن المعتصم فى حياة أبيه بحضرة يعقوب بن

الصباح الكندى فيلسوف العرب قصيدته التى أولها:

ما فى وقوفك ساعة من باس تقضى رسوم الأربع الأدراس
وانتهى إلى قوله:

إقدام عمرو فى سماحة حاتم فى حلم أحنف فى ذكاء إياس
قال له الكندى: ما زدت أن شبهت الأمير بصعاليك العرب، ومن هؤلاء الذين

ذكرت وما قدرهم؟ فأطرق أبو تمام يسيراً ثم أنشد:

لا تعجبوا ضربى له من دونه مثلاً شروداً فى السدى والباس
فالله قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والنبراس

فجن الحاضرون استحساناً مما أتى به، وأجزل أحمد صلته. ولما خرج قال ابن
الصباح: إن هذا الفتى قصير العمر؛ لأنه ينحت من قلبه، فكان كذلك.

٣٢١ - وروى حماد بن أحمد الكندى، قال: كان على بن الجهم يقع فى مروان بن
أبى الجنوب ويثلبه، حسداً له على قبوله ومنزلته عند المتوكل، فقال له المتوكل يوماً:
أيكما أشعر يا على؟ وأراد أن يغرى بينهما، فقال على: أنا أشعر منه، فقال: ما تقول يا
مروان؟ فقال: كل أحد أشعر منى، وإذا أصيب عرضى فى أمير المؤمنين لا أبلى، فقال
المتوكل: هذا عدول عن الجواب، قد زعم أنه أشعر منك، فإن كان صادقاً قد مناه
عليك، وإلا فبرهن عن نفسك، فقال مروان: يا على، أنت أشعر منى؟ قال: أو تشك
فى ذلك؟ قال: لشد ما شككت! قال: فالناس يعلمون صدقى، قال: فأمر المؤمنين
بيننا، قال: إنه يميل إليك، فقال المتوكل: هذا من عيِّك يا على، ثم التفت إلى حمدون بن
عيسى وقال له: اقض بينهما، قال: ما لى ولماضغى الأسد! فقال المتوكل: قد أبحت كلاً
منكما هجاء صاحبه، فليين عن نفسه، فقال على: إنه قد كظنى النبيذ فما أقدر على
قول الشعر حتى أفيق، فقال مروان: لكننى أقدر يا أمير المؤمنين، قال: قل وعجل، قال:

إن ابن جهم فى المغيب يعينى	ويقول لى حسناً إذا لاقانى
ويكون حين أغيب عنه شاعراً	ويضل عنه الشعر حين يرانى
وإذا خلونا ناك شعرى شعره	ونزا على شيطانه شيطانى
عظمت حواياه وأربى بطنه	فكأئما فى بطنه ولدان
إن ابن جهم ليس يرحم أمه	لو كان يرحمها لما هاجانى

فضحك المتوكل والندامى وانخزل ابن الجهم، فقال المتوكل: بجياتى زد ما حضرك،
فقال:

بنت جهم يا عليه	صرت بعدى قرشيه
قلت ما ليس بحق	اسكتى يا حلقيه
اسكتى يا بنت جهم	اسكتى يا بنطيه

فجعل المتوكل يضحك ويضرب الأرض برجله، فقال ابن الجهم: لعمرى إن هذا

الشعر يشبهه قائله، فقال مروان: صدقت إنه لهزل، ولكنني أجد بك، ثم قال:

لعمرك ما جهم بن بدر بشاعر وهذا على نجله يدعى الشعرا
ولكن أبى قد كان جاراً لأمه فلما ادعى الأشعار أوهمنى أمرا

ففضحه في ذلك المجلس، ولم يجر جواباً، إلا أنه قال بعد ذلك بيتين يعنيه بهما، وهما:

بلاء ليس يشبهه بلاء عداوة غير ذى حسب ودين
ييحك منه عرضاً لم يصنه ويرتع منك فى عرض مصون

٣٢٢ - قال على بن ظافر: ولما قدم مؤيد الدولة بن ركن الدولة أتى على الحسن ابن بويه الديلمي إلى بغداد فى حياة والده وعمه معز الدولة أبو الحسين أحمد بن بويه ليعقد على ابنته زبيدة، قدم معه الصاحب أبو القاسم بن عباد، وهو يومئذ فى حداثة سنه وربعان عمره، وفى هذه السنة كتب كتاب الروزنامة إلى الأستاذ الرئيس أبى الفضل بن العميد، وفى فصل منه ما معناه: أنه حضر عند الأستاذ أبى محمد المهلبى فى ليلة طلعت نجوم سعدها، وأنجزت بها سجع المسرة صادق وعدها، وألحت الكؤوس خاطف برقها، وأسمعت المثانى حثيث رعدا، فجعلوا يتنقلون فى شجون المجون، ويعقدون نكاح ابن الغدير على ابنة الزرجون، فاقترح عليه المهلبى أن يصنع شعراً فى صفة هذا الحال، فقال بديهاً:

تركت لساقى الريح يا ابنة عرعرأ وزرت لصافى الراح حانة عكبرا
وقلت لعلج يعبد الراح زفها مشعشة قد شاهدت عهد قيصرأ
فأوسعنى أساً وورداً ونرجساً وأسمعنى نايأ وطبلاً ومزهرا
هنالك أعطيت البطالة حقها وألفيت هتك الستر كنزاً ومفخرا
كأنى الصبا جريا إلى حومة الصبا أناغى صبيأ من جليد مزنرا
فعانقته والراح قد أغبقت بنا وكررت تقبيلأ وقد أقبل الكرى
وصد عن العين النعاس وصدنى إلى أن تصدى الصبح يلمع مسفرا
وهبت شمال نظمت شمل بعثى فطارت بها عنى الشمل تطيرا
وكان الذى لولا الحيا لأذعته ولا عيش يصفو للفتى إن تسترا

٢٠٠ فى بقية بدائع البدائه

عبد العزيز بن حامد الواسطى الملقب سيدوك، قال: كنت بحضرة بعض الرؤساء فى مجلس شراب، فرمى إلى بنارنجة نصفها أخضر ونصفها أصفر، وقال: قل فى هذه شيئاً، فارتجلت:

وطيبة النشر مسكية مرصعة بالسجايا الطياب
فأصفر فى لون شمس المسا وأخضر فى لون قوس السحاب
فلون كوجنة مرعوبة ولون كإثر نصول الخضاب
فهذا كمصة خد الحبيب وذاك كما عل صرف الشراب

٣٢٤ - قال: وكنت أنا وأبو الفرج البيغاء نشاهد بركة ملئت، وجعل فوقها ورد وبهار وشقائق حتى غطى أكثر الماء، وحضر أبو على الهائم، فسأل أبا الفرج أن يعمل فى ذلك شيئاً، فعمل بحضرتنا وأنشد:

خجل الورد من جوار البهار فمشى باحراره فى اصفرار
وحكى الماء فيهما أحر اليا قوت حسناً مرصعاً بنضار
جمعاً بالكمال فى بركة تمت مع حسناً نواظر الخضار
أضرم الماء بالشقيق بها النا ر وعهدى بالماء ضد النار
فوجدنا أخلاق سيدنا الزه ر ذكاء يربى على الأزهار
ظلت منه ومن نداماه للأند س نديم الشموس والأقمار

٣٢٥ - قال: وكنت بحضرة عضد الدولة فى مجلس أنس فى عشية من العشايا، فغنى له من وراء ستارة الخاصة صوت هو:

نحن قوم من قريش ما هممنا بفرار

وبعده أبيات ركيكة، فقال: أتعرفون لمن هذه؟ فقال أبو عبد الله بن المنجم: بلغنى أن الشعر للمطيع بالله واللحن له، فقال لى: اصنع أبياتاً على وزنها وقافيتها ليكون هذا اللحن المليح فى شعر جيد، فتباعدت عن المجلس، واستدعيت دواة ودرجاً وعملت:

أهَذَا القمَر الطَا لِع من دار القمارى
رائحاً من خيلاء الحس ن فى أبهى إزار
والذى يجنى ولا يت بعب ذنباً باعتذار
أوضح العذر عذارا ك على خلع العذار

أنا من هجرك فى بعد — على قرب مزار
فاستحسنها جداً، وأنشد:

نحن قوم نحفظ العهد — على بعد المزار
ونغير السحب سحباً — من أكف كالبحار
أبدأ ننحسر للضيء — ف بدوراً من نضار

وبلغنى عن بعض أهل المجلس أنه أمر الستارة بنقل اللحن إلى هذا الشعر، فنقل
وغنى به، وبعد هذا أتممت أنا أبيات القصيدة وامتدحته بها.

٣٢٦ - قال على بن ظافر: وبالإسناد المتقدم ذكر صاحب اليتيمة ما معناه أن أبا
الحسن السلامى الشاعر دخل على الأمير عز الدولة أبى ثعلب فضل الله بن ناصر
الدولة بن عبد الله حمدان وبين يديه درع كأنما جمعت من عيون الدبى، أو غدیر غضنت
وجبه الصبا، فقال له: صفها، فارتجل:

يا رب سابعة حبتنى نعمةً — كافاتها بالسوء غير مفند
أضحت تصون عن المنايا مهجتى — وغدوت أبذلها لكل مهند
فاستحسن بديهته وأحسن جائزته.

٣٢٧ - وذكر ما معناه أن السلامى سافر فى صباه إلى الموصل وبه جماعة من
الشعراء، فلما أنشدهم شعره اتهموه واستصغروا سنه واستعظموه، فقال لهم أبو عثمان
الخالدى: أنا أكفيكم أمره، ثم صنع دعوة وجمعهم بها، فلما اجتمعوا أخذوا فى سبر
صناعته، والبحث عن قدر بضاعته، فاتفق أن أمطرت السماء مطراً أشبه الثغور فى
لونها وبردها، وجانس بمنشوره منظوم عقدها، فبادر الخالدى فألقى عليه نارنجاً كأنه
كرات ذهب أو شعل لهب، ثم قال: يا أصحابنا صفوا هذا، فارتجل السلامى:

للله در الخالدى — فى الأوحى الندب الخطير
أهدى لماء المزن عند — جموده نار السعير
حتى إذا صدر العتا — ب إليه عن حنق الصدور
بعثت إليه بعذره — عن خاطرى أيدى السرور
لا تعذله فإنه — أهدى الخدود إلى الثغور

فاعترفوا بفضله، وعرفوا عند ذلك مقدار علمه وعقله.

٣٢٨ - وأخبرنى الشيخ الفقيه أبو الحسن على بن الفضل المقدسى قال: أخبرنى الإمام الحافظ السلفى الأصبهانى - رحمه الله تعالى - قال: أخبرنى الرئيس أبو سعد محمد بن عقيل بن عبد الواحد الدسكرى فى سنة ست وتسعين وأربعمائة قال: حدثنى القاضى التنوخى قال: أصعد أبو الفرج البيغاء هو وجماعة من الشعراء الكبار يمتدحونه، فأخرج يوماً خازنه قدحاً من ياقوت أزرق، فملأه ماء وتركه يتشعشع، فقال له أبو الفرج: يا مولانا، ما رأيت أحسن من هذا! فقال: قل فيه شيئاً وهو لك، فقال أبو الفرج فى الحال:

كم منة للظلام فى عنقى	يجمع شمل وضم معتنى
وكم صباح للراح أسلمنى	من فلق ساطع إلى فلق
فعاظنيها بكراً مشعشة	كأنها فى صفائها خلقى
فى أزرق كالهواء يخرقه اللحد	ظ وإن كان غير منخرق
كأن أجزاءه مركبة	حسناً ولطفاً من زرقة الحدق
ما زلت منه منادماً لعبا	مذ أسكرتها المدام لم تفق
تحتال قبل المزاج فى أزرق الـ	فجبر وبعد المزاج فى شفق
أدهشها سكرنا فإن يكن الصم	ت حديثاً فذاك عن فرق
تغرق فى أبحر المدام فيسـ	تنقذها شربنا من الغرق
ونحن باللهو بين مصطبح	يمرح أمنا وبين مغتبق
فلو ترى راحتى وصبغتها	فى لونها فى معصفر شرق
لخلت أن الهواء لاطفنى	بالشمس فى قطعة من الأفق

فاستحسنها سيف الدولة وأعطاه إياه.

٣٢٩ - وذكر أن السرى الرفاء الموصلى دخل على أبى الحسن باروخ بن عبد الله صاحب ناصر الدولة بن حمدان، وبين يديه ستارة تستر من يجلس برسم الغناء، فأمره أن يصنع ما يكتب عليها، فصنع بديهاً:

تبين لى سبق الأمير إلى العلا	وما زال سباقاً إلى الفضل منعما
فصيرنى بين القيان إذا شدت	وبين نداماه حجاباً مكرما

لأظهر من حسن الغناء محملاً وأستر من حسن الوجوه محرماً

٣٣٠ - وذكر العميد البخارزى فى كتاب دمية القصر أن أبا الحسن أحمد بن على البستى أمر بهاء الدولة أن يعمل ما يكتب على تكة إبريس، فقال ارتجالاً:

لم لا أتتبه ومضجى بين الروادف والخصور
وإذا انسجمت فإننى بين الترائب والنحور
ولقد نشأت صغيرة بأكف ربات الخدور

٣٣١ - ومن ذلك ما روى ابن بسام فى كتاب الذخيرة، ورويته بالإسناد المتقدم، ورواه لى أيضاً جماعة من الأندلسيين متفرقاً أن أبا الفضل صاعداً اللغوى دخل على المنصور بن أبى عامر المعافى كفيل المؤيد بن الحكم بن الناصر الأموى والمتغلب على دولته، فأهدى إلى المنصور وردة منطبقة فى غير أوانها، فقال لصاعد: قل فيها شيئاً، فارتجل:

أتتك أبامر وردة يذكر المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر فغطت بأكامها راسها

فأفرط المنصور فى استحسانها، فحسده ابن العريف أحد الندماء، وقال: إنهما ليسا له، وقد أنشدنيها بعض البغداديين بمصر لنفسه، وهما عندى على ظهر كتاب بخطه، فقال المنصور: أرنيه فخرج ابن العريف وركب، وجعل يحث حتى أتى مجلس ابن بدر - وكان أحسن أهل وقته بديهة - فوصف له ماجرى، فقال هذه الأبيات ودس فيها بيتى صاعد:

عشوت إلى قصر عباسية وقد جدل النوم حراسها
فقال أسار على هجعة فقلت نعم فرمت كاسها
ومددت يديها إلى وردة يحاكى لك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر فغطت بأكامها راسها
فوليت عنها على عفة وما خنت ناسى ولا ناسها

فطار ابن العريف بها وعلقها على ظهر كتاب بخط مشرقى، وتحيل حتى غير المداد، ودخل بها على المنصور، فلما رآها اشتد غيظه على صاعد، وقال للحاضرين: غداً أمتحنه، فإن فضحه الامتحان لم يقم فى مكان لى فيه سلطان، فلما أصبح طُلب فحضر،

في بقية بدائع البدائه
وأحضر جميع القدماء، فدخل به وبهم إلى مجلس حفل قد أعد فيه طبقاً عظيماً فيه سقائف مصنوعة من جميع النوار، عليها لعب من ياسمين في شكل الجوارى، وتحتها بركة ماء قد ألقى فيها لؤلؤ مثل الحصباء، وفيها حية تسبح، فقال لصاعد: بلغنا أنك تكذب في شعرك، وقد وقفنا على حقيقة ذلك، وهذا يوم إما أن تسعد فيه عندنا وإما أن تشقى، وهذا طبق ما أظنه حضر بين يدي ملك قبلى، فصفه حالاً، فقال صاعد بديهاً:

أبا عامر هل غير جدواك واكف	وهل غير من عاداك فى الأرض
يسوق إليك الدهر كل غريبة	وأعجب ما يلقاه عندك واصف
وشائع نور صاغها هامر الحيا	عليها فمناها عبقر ورفارف
ولما تناهى الحسن فيها تقابلت	عليها بأنواع الملاهى الوصائف
وأعجب منها أنهن نواظر	إلى بركة ضمت إليها الظرائف
حصاها اللآلى سايح فى عبابها	من الرقش مسموم للعاين راجف
ترى ما تشاء العين فى جنباتها	من الوحش حتى بينهن السلاحف

فاستغربت له يومئذ تلك البديهة فى مثل ذلك الموضع، وكتبها المنصور بخطه، وكان إلى ناحية من تلك السقائف سقيفة فيها جارية من النوار تجدف بمجاديف من ذهب لم يرها صاعد، فقال له المنصور: أجدت، إلا أنك لم تصف هذه الجارية، فارتجل:

وأعجب منها عادة فى سفينة	مكللة تصبو إليها المهاتف
إذا راعها موج من الماء تتقى	بسكانها ما أنذرته الرواجف
متى كانت الحسناء ربان مركب	تصرف فى الكفين منها المجاذف
ولم تر عينى فى البلاد حديقةً	زهتها أزهير الربا والزخارف
ولا غرو أن شافت معاليك روضة	تقلبها فى الراحتين الوصائف
فأنت امرؤ لو رمت نقل متالع	ورضوى ذرتها من سطاك العواصف
إذا رمت قولاً أو طلبت بديهة	فكلنى لها إنى لمجدك واصف

فأمر له المنصور بألف دينار ومائة ثوب، وأجرى عليه فى كل شهر ثلاثين ديناراً، وألحقه فى ديوان الندماء.

المعروف بالترنجان، فرمى به، وأشار إليه أن يقول فيه، فارتجل:

لم أدر قبل ترنجان عبثت به أن الزمرد أغصان وأوراق
 من طيبه سرق الأترج نكهته يا قوم حتى من الأزهار سراق
 كأنما الحاجب المنصور علمه فعل الجميل فطابت منه أخلاق
 من ليس يقعه عن سؤدد قدم ولا تقوم له فى سوءة ساق
 ٣٣٣ - وروى أيضاً قال: دخل صاعد اللغوى على بعض أصحابه فى مجلس
 شراب، فملاً الساقى قدحاً من إبريق، فتكونت قطرة من الراح فى فم الإبريق ووقفت
 ولم تبرح، فاقترح عليه الحاضرون وصف ذلك، فقال بديهاً:

وقهوة من فم الإبريق صافية كدمع مفجوعة بالإلف معبار
 كأن إبريقنا والراح فى فمه طير تزقق ياقوتاً بمنقار
 وقد أخذه من قول الشريف أبى البركات على بن الحسن العلوى:

كأن ريح الروض لما أتت فتت علينا مسك عطار
 كأنما إبريقنا طائر يحمّل ياقوتاً بمنقار
 ٣٣٤ - وذكر ابن بسام أيضاً أن أبا عامر بن شهيد حضر ليلةً عند الحاجب بن أبى
 عامر المظفر بن المنصور بن أبى عامر بقرطبة، فقامت تسقيهم وصيفة صغيرة ظريفة
 الخلق، ولم تزل تسهر فى خدمتهم إلى أن هم جند الليل بالانهزام، وأخذ فى تقويض
 خيام الظلام، وكانت تسمى أسيماء، فعجب الحاضرون من مكابذتها السهر طول ليلها
 على صغر سنها، فسأله المظفر وصفها، فصنع ارتجالاً:

أفدى أسيماء من نديم ملازم للكئوس راتب
 قد عجبوا فى السهاد منها وهى لعمرى من العجائب
 كيف تجافى الرقاد عنها فقلت لا ترقد الكواكب

٣٣٥ - وذكر ابن بسام أيضاً أنه كان يوماً مع جماعة من الأدباء عند القاضى ابن
 ذكوان، فجئى بباكورة باقلاء، فقال ابن ذكوان: لا ينفرد بها إلا من وصفها، فقال ابن
 شهيد: أنا لهما، وارتجل:

إن لآلىك أحدثت صلفاً فاتخذت من زمرد صدفا
 تسكن ضراتها البحور وذى تسكن للحسن روضة أنفا

هامت بلحف الجبال فاتخذت من سندس فى جنانها لحفا
شبهتها بالثغور فى لطف حسبك هذا من رمز من لطفنا
حاز ابن ذكوان فى مكارمه حدود كعب وما به وصفا
قدم در الرياض منتخباً منه لأفراس مدحه علفا
أكل ظريف وطعم ذى أدب والقول يهواه كل من ظرفا
رخص فيه شيخ له حسب فكان حسبي من المنى وكفى

٣٣٦ - قال ابن بسام: وحكى أن جماعة من أصحاب ابن شهيد قالوا له: يا أبا عامر، إنك لآت بالعجائب، وجاذب بذوائب الغرائب، ولكنك شديد الإعجاب بما يأتى منك، هاز لعطفك عند النادر يتاح لك، ونحن نريد منك أن تصف لنا مجلسنا هذا، وكان الذى طلبوه منه زبدة التعنيت؛ لأن المعنى إذا كان جلفاً ثقيلاً على النفس، قبيح الصورة عند الحس، كلت الفكرة عنه وإن كانت ماضية، وأساءت القريحة فى وصفه وإن كانت محسنة، وكان فى المجلس باب مخلوع معترض على الأرض، ولبد أحر مبسوط قد صفت نعالهم عند حاشيته، فقال مسرعاً:

وفتية كالنجوم حسناً وكلهم شاعر نبيل
متقد الجانين ماض كأنه الصارم الصقيل
راموا انصرافى عن المعالى والحد من دونها كليل
فالشد فى أمرها فسيح كل كثير له قليل
فى مجلس زانه التصابى وطاردت وصفه العقول
كأئماً بابيه أسير تعرض من دونه النصول
يراد منه المقال قسراً وهو على ذاك لا يقول
ينظر من لبده لدينا بجر دم تحتنا يسيل
كان أخفافنا عليه مراكب ما لها دليل
ضلت فلم تدر أين تجرى فهى على شطه تقيل

فعجب القوم من أمره، ثم خرج من عندهم، فمر على بعض معارفه من الطوافين وبين يديه زنبيل ملآن حرشفاً، فجعل يده فى لجام بغلته وقال: لا أتركك حتى تصف الحرشف، فقد وصفه صاعد فلم يحسن، فقال له ابن شهيد: ويحك! أعلى مثل هذه الحال؟ قال: نعم، فثنى رجله ثم قال:

هل أبصرت عيناك يا خليلي قنافذاً تباع فى زنبيل
 كأنها أنياب بنت الغول لو نخست فى أست امرئ ثقيل
 لقفزته نحو أرض النيل ليست ترى طى حشا منديل
 نقل السخيف المائق الجهول وأكل قوم نازحى العقول
 أقسمت لا أطعمها أكيلي ولا طعمتها على شمول

٣٣٧ - وأبناى الشيخ الفقيه النبيه أبو الحسن بن المقدسى، عن أبى القاسم
 مخلوف بن على القيروانى السرقسطى، عن الحميدى قال: ذكر أبو عامر بن سلمة أن
 إسحاق بن إسماعيل المنادى حضر مجلساً من أهل الأدب، فدخل عليهم فتى يكنى أبا
 الوليد، وبيده تفاحة غضة، فتنافسوا فيها، وجعل كل يستهديها، فقال: لا يستحقها
 بالأصالة إلا من وصفها فأحسن وصفها، فقال المنادى: هاتها فأنا زعيم بما أردته فيها،
 فأعطاه إياها، فقال:

مجال العين فى ورد الخدود يذكر طيب جنات الخلود
 وأطيب ما تمنى النفس إلف يجدد وصله بعد الصدود
 وآرجة من التفاح تزهو بطيب النشر والحسن الفريد
 فقلت لها فضحت المسك طيبا فقالت لى بطيب أبى الوليد

٣٣٨ - وروى ابن بسام فى كتاب الذخيرة، ورويناه بالإسناد المتقدم قال: حدث
 أبو عبد الله الصفار الصقلى قال: كنت ساكناً بصقلية وأشعار ابن رشيق ترد علىّ،
 فكنت أتمنى لقاءه حتى قدم الروم علينا، فخرجت فاراً بمهجتى، تاركاً لكل ما ملكت
 يدي، وقلت: أجمع بأبى علىّ، فبرقة شمائله، وطيب مشاهدته، سيذهب عنى بعض
 ما أجد من الحزن على مفارقة الأهل والوطن، فجئت القيروان، ولم أقدم شيئاً على
 الدخول إلى منزله، فاستأذنت ودخلت، فقام إلىّ وهو ثانى اثنين، فأخذ بيدي وجعل
 يسألنى، فأخبرته بأمرى فارتفض، وبعد أن تمكن أنسى بمجالسته، قال لى يوماً: يا أبا عبد
 الله، إن هاهنا بالقيروان غلاماً قد سلب كبدى، واستولى هواه على خلدى منذ عشرة
 أعوام، فانهض بنا إليه، فإن أنت ساعدتني عليه قدمت عندى يداً لا يعدلها إلا رضاه،
 فقلت: سمعاً وطاعة، وسرت معه حتى جئنا صاغة الجوهرين، فإذا غلام كأنه بدر تمام،
 صافى الأديم، عطر النسيم، كأنما ييسم عن در، ويسفر عن بدر، قد ركب كافور عارضيه
 مسك صدغيه، على بياض يجرحه الوهم بخاطره، ويدميه الطرف بناظره، فأنشدته قول

إنه من علامة العشاق اصفرار الوجوه عند التلقى
وانقطاع يكون من غير عى وولوع بالصمت والإطراق
فقال لى: والله ما واجهته قط قبل يومى هذا إلا غشى علىّ، ولكنى أنست بك،
وشغلت بعذوبة لفظك، مع أنى لم أرو طرفى عن وجهه المقمر، ولا تمتعه بقده المثمر،
لتنكيسه رأسه عند طلوعى إليه، فقلت: ولم ينكس رأسه؟ فوالله ما رأيت أشبه بالبدر
منه خدًا، وبالغصن قدًا، ولا بالدرد ثغراء، ولا بالمسك شعرًا! فقال: يا أبا عبد الله، ما
أبصرك بمحاسن الغلمان، لا سيما من فضضت كف الجمال صفحته، وذهبت وجتته،
وخافت على تفاح خده العيون، فوكلت بها الجفون، يا أبا عبد الله، ينكس رأسه لأنى
علقتة وخده هلالى، وطرفه غزالى، وفرعه ظلامى، ولحظه بايلى، وقده قضيبى، وردفه
كثيبى، وخصره ساجى، و صدره عاجى، فكان طرفى يشوب كافوره بالعقيق، فيحرج
لذلك صدر العشيق، حتى بدا عذاره فأبدى من نيمه نفشا على فضى أديمه، فتوهم
لذلك الطاهر الأعراق، الطيب الأخلاق، أن ذلك مما يضعف قوى محبته، ويمحو رسوم
مودته، فقلت له: بحقى عليك يا أبا علىّ، ألا قلت فى هذا المعنى شيئًا! فأطرق قليلاً ثم
أنشد:

وأسمر اللون عسجدى	يكاد يستمطر الجهما
ضاق بمحمل العذار ذرعًا	كالمهر لا يعرف اللجاما
ونكس الرأس إذ رآنى	كأبة واكتسى احتشاما
وظن أن العذار مما	يزيح عن قلبى الغراما
وما درى أنه نبات	أنبت فى جسمى السقاما
وهل ترى عارضيه إلا	حمائل حملت حساما

وهذا كما قال ابن المعتز:

ومستحسن وصلى جعلت وصاله	شعارى فما أنفك دأبا أو اصله
كأن بعينيه إذا ما أدارها	حساما صقيلاً والعذار حمائله

٣٣٩ - قال على بن ظافر: وذكر أن أبا على حسن بن رشيق دخل على المعز بن
باديس يوماً وفى يده أترجة كأنها واسطة ذهب، أو جذوة لهب، فأشار إلى وصفها،

أترجة سبطة الأطراف ناعمة تلقى النفوس بحظ غير منحوس
 كأنما بسطت كفا لخالقها تدعو بطول بقاء لابن باديس
 ٣٤٠ - وذكر ابن رشيقي فى كتاب الأنموذج أن كتاب الخراج بالقيروان اجتمعوا
 فى الديوان يوماً، فووقت بينهم جرادة، فوضعها بعضهم فى يده وقال: من يصفها؟
 فقال عبد الكريم بن إبراهيم النهشلى: قد علمتم أنى امرؤ مرؤ، ولست بصاحب
 بديهة، فبدرهم يعلى بن إبراهيم الأريسي وهو أصغرهم سنأ إذ ذاك، فقال:

وخيفانة صفراء مسودة القرا أتتك بلون أسود تحت أصفر
 وأجنحة حمر كأمثال رذنة تقاصر عن أطراف برد محبر
 ٣٤١ - وروى أن الشيخ أبا الحسن على بن عبد الرحمن الصقلى دخل على بعض
 الرؤساء وبين يديه طبق قد ملئ ورداً أحمر وأبيض، فاستدعى منه وصفه، فقال بديهاً:

كأنما الورد الذى نشره يعبق من طيب معانيكا
 دمء أعداك مسفوكه قد قارنت بيض أياديكا
 ٣٤٢ - وذكر صاحب الدمية الباخريزي أن الشريف محمد بن على بن الحسين
 الهمدانى قال: دخلت على عمى الرئيس أبى الحسن وقد دخل عليه غلام فحياه
 بنرجسة، فقال لى: قل فيه شيئاً صفه به، فقلت:

ومكحل بالسحر أحور شادن حيا بنرجسة أوان بكور
 فكأنه وكأنها فى كفه بدر يريك التبر فى الكافور
 وتركبت فوق الزبرجد حلقة تحكى فتور اللحظ من مخمور
 ٣٤٣ - قال على بن ظافر: وبالإسناد المتقدم عن ابن بسام فى كتاب الذخيرة أن
 أبا الفضل محمد بن عبد الواحد الدارمى البغدادي حضر مجلس المعز بن باديس يوماً،
 وبالمجلس ساق وسيم، قد مسك عذاره ورد خديه، وعجزت الراح أن تفعل فى الندمان
 فعل عينيه، فأمر المعز بوصفه، فقال بديهاً:

ومعذر نقش الجمال بمسكه خدأ له بدم القلوب مضرجا
 لما تيقن أن سيف جفونه من نرجس جعل النجاد بنفسجا
 ٣٤٤ - قال على بن ظافر: ذكر ابن خاقان فى كتاب قلائد العقيان ما معناه قال:

فى بقية بدائع البدائه
 حضر الأستاذ أبو محمد عبد الله بن السيد البطليوسى عند المأمون ابن ذى النون ببعض
 متنزهاته، فى يوم طاب نسيمه، وسرت بالسعود نجومه، والروض قد أجاد وشبه راقمه،
 والماء قد جرت بين الأعشاب أراقمه، وثم بركة مملوءة، كأنها مرآة مجلوة قد اتخذت
 سباع الطير بشاطها غاباً، ومجت بها من سائح الماء لعاباً، لا تزال تقذف الماء ولا تفر،
 وتنظم لآلى الحباب بعدما تنثر، فأمره بوصف ذلك الموضع الذى تحب إليه ركاب
 القلوب وتوضع، فقال بديهاً:

يا منظرًا إن نظرت بهجته	ذكرنى حسن جنة الخلد
تراب مسك وجو عنبرة	وغيم ند وطل ما ورد
والماء كاللازورد قد نظمت	فيه اللآلى فواغر الأسد
كأنما جائل الحباب به	يلعب فى جانبيه بالنرد
تراه يزهو إذ يحل به الـ	مأمون زهو الفتاة بالعقد
تخاله إن بدا به قمرًا	تأبدا فى مطالع السعد
كأنما ألبست حدائقه	ما حاز من شيمة ومن مجد
كأنما جادها وأمطرها	بوابل من يمينه رغد

٣٤٥ - وأخبرنى الشيخ الفقيه أبو الحسن على بن الفضل المقدسى قال: أخبرنى
 أبو محمد عبد الله بن مروان بن أبى الحجاج بن على القضاعى قال: اقترحت على أبى
 محمد عبد الجبار بن أبى بكر بن حمديس الصقلى الأزدى، وقد وقف ليودعنى، وكنت
 عازماً على سفر، أن يصنع لى أبياتاً غزلية فى الوداع، فصنع فى الحال وقال:

ولما رأت طير الفراق نواعباً	وقد هم بالتوديع كل مودع
شكت ما شكا المحزون من غربة	وأبكت لها عينى غزال مروع
ولم أر فى خد يزرر قبلها	من الغيد شمساً فى غمامة برقع
وقد سفرت عن برقع عبر الأسى	لعينى بها عن وجد قلب مفجع
وأقبل در البحر من فوق نحرها	يصافحه من خدها در مدمعى
فيارب إن البين أحننت صروفه	على ومالى من معين فكن معى
على قرب عدالى وبعد أحبتى	وأمواه أجفانى ونيران أضلعى

٣٤٦ - قال على بن ظافر: وبالإسناد المتقدم روى ابن بسام فى كتاب الذخيرة ما
 معناه، قال: دخل الوزير أبو العلاء زهر بن الوزير أبى مروان عبد الملك بن زهر، على

الأمير عبد الملك بن رزين فى مجلس أنس، وبين يديه ساق يسقى خميرين من كأسه ولحظه، ويبدى درين من حبابه ولفظه، وقد بدا عذاره فى صفحة ضده، وكمل حسنه باجتماع الضد مع ضده، فكانه بسحر لحظه أبدى ليلاً فى شمس، وجعل يومه فى الحسن أحسن من أمس، فسأله ابن رزين أن يصنع فيه، فقال بديهاً:

تضاعف وجدى إذ تبدى عذاره ونم فخان القلب منى اصطباره
وقد كان ظنى أن سيمحق ليله بدائع حسن هام فيها نهاره
فأظهر ضد ضده إذ وشت به بعنبره فى صفحة الخد ناره
وزاد بجفنيه ذبولاً بنرجس زها فيه لما أمه جلناره
واستزاده فقال بديهاً:

محيت آية النهار فأضحى بدر تم وكان شمس نهار
كان يغشى العيون نوراً إلى أن شغل الله خده بالعذار
ثم استزاده فقال:

عذار ألم فأبدى لنا بدائع كنا لها فى عما
ولو لم يجن النهار الظلا م لم يستين كوكب فى السما
ثم استزاده فقال:

تمت محاسن وجهه وتكاملت لما استدار به عذار مونتق
وكذلك البدر استنار جماله فى أن تكنفه غمام أزرق
٣٤٧ - وأنبأنى العماد أبو حامد قال: ذكر لى صفوة الدين النابلسى أن الأمير أبا الحسن على بن منقذ كان ركباً فى جماعة منهم ابن حيوس، فنزلوا بروضة غناء فيها شقائق وأقحوان فاستحسنوها وقالوا: ننظم فيها شعراً، وقالوا للأمير: ابدأ أنت، فقال فى الحال:

كأن الشقائق والأقحوان حدود تقبلهن الثغور
فهاتيك ينجلهن الحياء وهاتيك يضحكهن السرور

٣٤٨ - قال العماد: وذكر لى أن معز الدولة - قال على بن ظافر: يعنى تمال بن صالح الكلابى صاحب حلب - جلس على نهر قويق زمن المد وقد خيم به، فذكر ابن النوت الشاعر وهو الرضى عبد الواحد بن الفرج بن النوت المعرى، وذكر سرعة بديته

واقتراره على الارتجال، فأرسل إليه على البريد فحضر، فقال بديهاً:

رأيت قويقاً إذ تجاوز حده له زجل فى جريه وضجيج

وكان ثمال جالساً بشفيره فشبهته بجرراً لديه خليج

فقال معز الدولة: قد زعم الحلبيون أن هذا ليس بشعرك - وكان فيهم ابن سنان الخفاجى - فإن قلت بديهة أعطيتك جوائزهم، ثم نظر إلى غرابين على نشز، فقال: صفهما، فقال:

يا غرابين أنتما سبب البي - من فكيف اجتمعتما بمكان

إنما قد وقفتما فى خلو فى فراق الأحباب تشتوران

فاحذرا أن تفرقا بين إلفي - من فما تدريان ما يلقيان

٣٤٩ - قال على بن ظافر: وكان أبو سعد الخير البلنسى الشاعر كثير الذهول، مفرط النسيان، ظاهر التغفل، على جودة نظمه، ورطوبة طبعه، وكان كثيراً ما يسلك سكة الخفافين على بغلته، فاتخذت البغلة النفور من أطراف الأدم وفضلات الجلود الملقاة فى السكة عادة لها، فعبر السكة يوماً مع أصحابه راجلاً، فلما رأى الجلود الملقاة نفر ونكص على عقبه، فقال له أصحابه: ما هذا أيها الأستاذ؟ فقال: البغلة نفرت بى، فعجبوا من تغفله كيف ظن مع ما يقاسيه من ألم المشى أنه راكب، وأن حركته الاختيارية منه هى حركة البغلة الاضطرارية له، فكان تغفله ربما أوقعه فى مهمة عند من لا يعرفه، واقترح عليه بعض الأمراء أن يضع بيتين أول أحدهما كتاب وآخره ذيب، وأول الثانى جوارح وآخره أنابيب، فصنع بديهاً:

كتابى نجيع لاح فى حومة الوغى وقارنه نسر هناك وذيب

جوارح أهليه حروف وربما تولته من نقط الطعان أنابيب

٣٥٠ - قال على بن ظافر: وذكر لى بعض أصحابنا ما معناه أن القاضى الموفق

محمود بن قادوس دخل على الأمير فرج الظهر، فعرض عليه دبوس صينى الحديد، عديم النظير والنديد، لا تحصن منه خوذة ولا نثرة، ولا تقال لضربته عثرة، تجفل لصولته آساد الحرب إجمال الأنعام، وتتضاءل لهيبته البيض حتى تعود أوهى من بيض النعام، فأمره بوصفه، فقال على لسانه:

ما ضر من كنت فى الهيجاء عدته ألا يعوج على بيض ولا أسل

إذ لا تحصن منى البيض لابسها ولا الدرود ولا مستأخر الأجل
 ٣٥١ - قال على بن ظافر: ودخل أبو خالد بن صغير القيسرانى على الأمير تاج
 الملوك أبى سعيد نورى بن أتابك طغتكين صاحب دمشق، وبين يديه بركة فسيحة
 الفناء، صحيحة البناء، قد راق ماؤها وصفاً، وجر النسيم عليها ما رق من أذياله
 وصفاً، فهو تارة يرشف رضابها ويجعد ثيابها، وتارة يسبكها مبرداً ويحكىها مسرداً، فأمر
 بوصفها، فقال:

أو ما ترى طرب الغدير إلى النسيم إذا تحرك
 بل لو رأيت الماء يلعب فى جوانبه لسرك
 وإذا الصبا هبت عليه أتاك فى ثوب مفرك
 ٣٥٢ - وأخبرنى الشريف فخر الدين أبو البركات العباس بن عبد الله العباسى
 الحلبي الكاتب قال: أخبرنى القاضى كمال الدين أبو فخر عبد القاهر بن المهنا التنوخى
 المعرى المعروف بخصى البغل، قال: كنت بحماة، فأتيت حانوت رجل يعرف بالحكيم
 أبى الخير، فصادفت عنده رجلاً يعرف بالسديد، فطلبت منه يرنية ورد مرى، فقال: لن
 تراها حتى تقول فى شعراً، فقلت: أما المدح فلا، وأما الهجاء فنعم، فقال: هات،
 فقلت:

أبو الخير أبى الخير فلا خير ولا مير
 ضئيل ناحل الجسم ولكن كله أير
 فقال: اصنع فى السديد، وكان كبير الأنف، فقلت:

كما أن سديد الدين أنف بس لا غير
 تراه بين عينيه كناقوس على دير
 فقال: وفيك أيضاً، فقلت:

فخذها من خصى البغل كمثل البرق فى السير
 ٣٥٣ - قال على بن ظافر: ودخل الأعز أبو الفتوح بن قلاقس على بلال بن رافع
 ابن بلال الفزارى، فعرض عليه سيفاً قد نظم الفرند فى صفحته جوهره، وأزكى الدهر
 ناره وجمد نهره، وألبسه من جلد الأفاعى رداء، وجسمه ردى أو داء، لا يمنع من
 برقه بدر مجن ولا ثريا مغفر، ولا يسلم من حده من ثبت، ولا ينجو لطوله من فر،
 وهو ييكى للسفاق ويضحك، ويرعد للغيط ويفتك، فأمره بصفة شأنه، فقال بديهاً على

أروق كما أروع فإن تصفنى
فإنى رائق الصفحات رائع
تدافع بى خطوط الدهر حتى
نقلت إلى بلال عن مدافع
وقال أيضاً:

رب يوم له من النقع سحب
ماله غير سائل الدم ودق
قد جلته يمنى بلال بجدى
وكأنى فى راحة الشمس برق
وقال فيه:

أنا فى الكريهة كالشهاب الساطع
من صفحة تبدو وحد قاطع
فكأنما استملت لك وهذه
من وصف كف بلال بن مدافع
وقال أيضاً:

انظر لمطر المياه بصفحتى
ولنار خدى كم لها من صال
قد عاد شدى فى المضايق شيمتى
كبلال بن مدافع بن بلال
٣٥٤ - وسأله صاحب له وصف مشط عاج قد أشبه الثريا شكلاً ولوناً، وشق ليلاً
من الشعر جوناً، فقال:

ومتيم بالأبنوس وجسمه
عاج ومن أدهانه شرفاته
كتمت دياجى الشعر منه بدرها
فوشت به للعين عيوقاته
وقال فيه:

وأبيض ليل الأبنوس إذا سرى
تمزق عن صبح من العاج باهر
وإن غاص فى بحر الشعور رأيته
تبششنا أطرافه بالجواهر
وقال فيه:

ومشرق يشبه لون الضحى
حسناً ويسرى فى الدجى الفاحم
وكلماً قلب فى لمة
أضحكها عن ثغر باسم

٣٥٥ - قال: وجلس بمصر فى دار الأنماط يوماً مع جماعة، فمرت بهم امرأة تعرف
بأبنة أمين الملك، كشمس تحت سحاب الثقاب، وغصن فى أوراق الشباب، فحدقوا
إليها تحديق الرقيب إلى الحبيب، والمريض إلى الطبيب، فجعلت تلتفت تلتفت ظبي

مذعور، أفرقه القانص فهرب، وتثنى تثنى غصن ممطور، عانقه النسيم فاضطرب، فسأله وصفها، فقال: هذا يصلح أن يعكس فيه قول ابن القطان الأزدي القيروانى:

أعرضن لما أن عرضن فإن يكن حذراً فأين تلفت الغزلان
ثم صنع فقال:

لها ناظر فى ذرى ناظر كما ركب السن فوق القناة
لوت حين ولت لنا جيدها فأى حياة بدت من وفاة
كما ذعر الطبى من قانص فمر وكرر فى الالتفات
ثم صنع بديهاً:

ولطيفة الألفاظ لكن قلبها لم أشك منه لوعة إلا عتا
كملت محاسنها فود البدر أن يحظى ببعض صفاتها أو ينعتا
قد قلت لما أعرضت وتعرضت يا مؤيساً يا مطعماً قل لى متى
قالت أنا الطبى الفريد وإنما ولى وأوحش نبوة فتلفتا

٣٥٦ - قال على بن ظافر: وحضر يوماً عند بنى خليف بظاهر الإسكندرية فى قصر رسا بناؤه وسما، وكاد يمزق بمزاحمته أبواب السما، وقد ارتدى جلابب السحاب ولاث عمائم الغمام، وابتسمت ثنايا شرفاته، واتسمت بالحسن حنايا غرفاته، وأشرق على سائر نواحي الدنيا وأقطارها، وحبته السحاب بما ائتمنت عليه من ودائع أمطارها، والرميل بفنائه قد نثر تبره فى زبرجد كرومه، والجو قد بعث إليه لطيمة نسيمه، والنخل قد أظهرت جواهرها، ونثرت غدائرها، والطل ينثر لؤلؤه فى مسارب النسيم ومساحبه، والبحر يرعد غيظاً من عبث الرياح به، فسئل وصف ذلك الموضع الذى تمت محاسنه، وغبط به ساكنه، فجاشت لذلك لجج بحره، فألقت إليه جواهرها لترصيع لبة ذلك القصر ونجره، فقال:

قصر بمدرجة النسيم تحدث فيه الرياض بسرهما المستور
خفض الخورنق والسدير سموه وثنى قصور الروم ذات قصور
لاث الغمام عمامة مسكية وأقام فى أرض من الكافور
غنى الربيع به محاسن وجهه فاقت عن نور يروق ونور
فألروض يسحب حلة من سندس تزهو بلؤلؤ طله المنثور

والنخل كالغيد الحسان تقرطت
والرمل فى حبك النسيم كأنما
والبحر يرعد متنه فكأنه
وكاننا والقصر يجمع شملنا
وكذاك دهر بنى خليف لم يزل
بسيائك المنظوم والمنثور
أبدى غصون سوائف المهجور
درع يشن بمعطفى مقررور
فى الأفق بين كواكب وبدور
يثنى المعاطف فى حبير حبور

٣٥٧ - وأخبرنى الفقيه أبو الحسن على بن الطوسى المعروف بابن السيورى الإسكندرى النحوى بما هذا معناه، قال: كنت مع الأعز بن قلاقس فى جماعة، فمر بنا أبو الفضائل بن فتوح المصرى وهو عائد من المكتب، ومعه دواته، وهو فى تلك الأيام قرة العين ظرفاً وجمالاً، وراحة القلب قريباً ووصالاً، كل عين إلى وجهه محدقة، ولمشهد خديه بخلوق الخجل محملقة، فاقترحنا عليه أن يتغزل فيه، فصنع بديهاً:

علقته متعلقا بالخط منعكفا عليه
حمل الدواء ولا دواء لعاشق يرجى لديه
فدماء حبات القلوس ب تلوح صبغا فى يديه
لم أدر ما أشكو إليه أهجره أم مقلتيه
والحب يخرسنى على أنى الكوع سيبويه
مالي إذا قابلته شغل سوى نظرى إليه

٣٥٨ - وأخبرنى الشيخ أبو عبد الله محمد بن على اليحصبى القرمونى بدمشق قال: اصطحبت أنا والوزير أبو عبد الله محمد بن الشيخ الأجل أبى الحسن بن عبد ربه حفيد صاحب كتاب العقد فى مركب إلى الإسكندرية، فلما قربنا منها هاج علينا البحر حتى أشرفنا على الغرق، فلاح لنا ونحن على هذا الحال منار إسكندرية، فسررنا برؤيته، وطمعنا فى السلامة، فقال لى: لا بد أن أعمل فى المنارة شيئاً، فقلت له: أعلى مثل هذا الحال الذى نحن فيه؟! قال: نعم، فقلت: فاصنع، فأطرق ثم عمل:

لله در منار الإسكندرية كم
من شامخ الأنف فى عرينه شمم
يكسر الموج منه جانبى رجل
لا يبرح الدهر من ورد على سفن
للمنشآت الجوارى عند رؤيته
يسمو إليه على بعد من الحدق
كأنه باهت فى دارة الأفق
مشمر الذيل لا ينجو من الغرق
ما بين مصطبح منها ومغتبِق
كموقع النوم من أجفان ذى أرق

تهوى إليه وعنه الفلك طائرة بمثل أجنحة صيغت من الخرق
كأنه وعليه الفلك حائمة برج الحمام فمن آت ومنطلق

٣٥٩ - وأخبرنى القاضى الأسعد بن الخطير رحمه الله قال: أمرنى الملك العزيز رحمه الله تعالى أن أصنع له فى فرس أشهب قطعةً أشبهه فيها بالقمر فى لونه وسرعته، وقال رحمه الله: إن الناس شبهوه بالشهاب، والقمر أسرع جرياً منه، فصنعت فى الحال:

وأشهب يقطع عر ض الأرض فى لمح البصر
ما مثله فى لونه وجريه إلا القمر

٣٦٠ - وأخبرنى القاضى الأسعد أبو القاسم عبد الرحيم بن شيث قال: اجتمعنا ليلة عند القاضى محبى الدين ولد قاضى القضاة صدر الدين بن درباس - رحمه الله - فتذاكرنا البديهة، فاقترح علىّ أن أصنع له فى شمعة كانت بين أيدينا، فصنعت:

وأنيسة باتت تساهر مقلتى تبكى وتبدى فعل صب عاشق
سرقت دموعى والتهاب جوائحى فغدا لها بالقط قطع السارق

٣٦١ - وأخبرنى الشريف أبو الفضل جعفر الشاعر المنبوز بالقرطم، قال: لقيت القاضى النفيس أبا العباس أحمد بن عبد الغنى القطرسى، وأنا عائد من الحمام، ومعى سطل نحاس أحمرا، فمر بنا بعض الشعراء، فسألتهما أن يصنعا شعراً فى صفة السطل، فصنع النفيس بديهاً:

أنا كافل للرى إن بجل الحيا ومهدى الحميا من مرافى اللعس
إذا حملتنى راحة فكأننى هلال منير حامل كرة الشمس

٣٦٢ - قال على بن ظافر: دخلت مع جماعة من أصحابنا على صديق لنا نعوده، وبين يديه بركة قد راق ماؤها، وصحت سماؤها، وقد رص تحت دساتيرها نارنج فتن قلوب الحضار، وملاً بالحاسن عيون النظار، فكأنما رفعت صوالج فضة على كرات من النصار، فأشار الحاضرون إلى وصفها، فقلت بديهاً:

أبدعت يا ابن هلال فى فسقية جاءت محاسنها بما لم يعهد
عجباً لأمواه الدساتير التى فاضت على نارنجها المتوقد

٣٦٣ - قال: ومن أعجب ما دهيت به ورميت، إلا أن الله بفضله نصر، وأعطى رفعت لضرب كرات خالص عسجد

الظفر، وأعان خاطرى الكليل، حتى مضى مضاء السيف الصقيل، أنى كنت فى خدمة مولانا الملك العادل خلد الله ملكه بالإسكندرية سنة إحدى وستمئة مع من ضمنه حاشية العسكر المنصور من الكتاب، ودخلت سنة اثنتين ونحن مقيمون بالخدمة، مرتضعون لأفويق النعمة، فحضرت مع من حضر للهناء من الفقهاء، والعلماء، والمشايخ، والكبراء، وجماعة الديوان والأمراء، فى يوم من أيام الجلوس للأحكام، والعرض لطوائف الأجناد بالتمام، فلم يبق أحد من أهل البلد ولا من العسكر إلا حضر مهتئاً، ومثل شاكراً وداعياً، فلما غص المجلس بأهله، وشرق بجمع الناس وحفله، وخرج مولانا السلطان - خلد الله ملكه - إلى محله، واستقر فى دسسته، أخرج كتاباً ناوله إلى الصاحب الأجل صفى الدين أبى محمد عبد الله بن على وزير دولته وكبير حملته، وهو مفضوض الختام، مفكوك الفدام، ففتحه فإذا فيه قطعة وردت من المولى الملك المعظم - أبقاه الله - كتبها إليه يتشوقه ويستعطفه لزيارته ويرققه، ويستحث عود ركابه إلى الشام للمثاغرة بها وقمع عدوها، ويعرض بذكر مصر وشدة حرها، ووقد جرها، وذلك بعد أن كان وصل إلى خدمته بالثغور، ثم رجع:

أروى رماحك من دماء عداكا	وانهب بخيلك من أطاع سواكا
واركب خيولاً كالسعالى شزباً	واضرب بسيفك من يشق عصاكا
واجلب من الأبطال كل سمدع	يفرى بعزيمك كل من يشناكا
واسترعف السمر اللدان وروها	واسق المنية سيفك السفاكا
وسر الغداة إلى العداة مبادراً	بالضرب فى هام العدو دراكا
وانكح رماحك للثغور فإنها	مشتاقة أن تبتنى بعلاكا
فالعز فى نصب الخيام على العدا	تردى الطغاة وتدفع الملاك
والنصر مقرون بهمتك التى	قد أصبحت فوق السماك سماكا
فإذا عزمت وجدت من هو طائع	وإذا نهضت وجدت من يخشاكا
والنصر فى الأعداء يوم كرية	أحلى من الكأس الذى رواكا
والعجز أن تمسى بمصر مخيماً	وتحل من تلك العراض عراكا
فأرح حشاشتك الكريمة من لظى	مصر لكى نخطى الغداة بذاكا
فلقد غدا قلبى عليك بجرقة	شغفاً ولا حر البلاد هناكا
وانهض إلى راجى لقاك مسارعاً	فمنأى من كل الأمور لقاكا
وابرد فؤاد المستهام بنظرة	وأعد عليه العيش من رؤياكا

واشف الغداة غليل صب هائم أضحى مناه من الحياة مناكا
فسعادتى بالعدل الملك الذى ملك الملوك وقارن الأفلاك
فبقيت لى يا مالكى فى غبطة وجعلت فى كل الأمور فداكا

فلما تلا الصاحب على الحاضرين محكم آياتها، وجلا منها العروس التى حازت من المحاسن أبعد غاياتها، أخذوا فى استحسان نظامها، وتناسق غريب الثامها، والثناء على الخاطر الذى نظم محكم آياتها، وأطلع من مشرق فكره آياتها، فقال السلطان، خلد الله ملكه: نريد من يجيب عنها بأبيات على قافيتها، فالتفت مسرعاً إلى وأنا على يمينه، وقال: يا مولانا، مملوكك فلان وهو فارس هذا الميدان، والمعتاد للتخلص فى مضايق هذا الشأن، ثم قطع وصلا من درج كان بين يديه، وألقاه إلى، وعمد إلى دواته فأدارها بين يدي، فقال السلطان - خلد الله ملكه -: على مثل هذه الحال؟ قال: نعم، أنا تجربته فوجدته متقد الخاطر، حاضر الذهن، سريع إجابة الفكر، فقال السلطان: وعلى كل حال، قم إلى هاهنا لتكف عنك أبصار الناظرين، وتنقطع غاغاء الحاضرين.

وأشار إلى مكان عن يمين البيت الخشب الذى هو منفرد به، فقامت وقد فقدت رجلى الخزالاً، وذهنى اختلالاً، هبية المجلس فى صدرى، وكثرة من حضره من المترقبين لى، المنتظرين حلول فاقرة الشماتة بى، فما هو إلا أن جلست حتى تاب إلى خاطرى، وانثال الشعر على ضمائرى، فكنت أرى فكرى كالبازى الصيود، لا يرى كلمة إلا أنشب فيها منسره، ولا معنى إلا شك فيه ظفره، فقلت فى أسرع وقت:

وصلت من الملك المعظم تحفة ملأت بفاخر درها الأسلاك
أبيات شعر كالنجوم جلاله فلذا حكى أوراقها الأفلاك
عجباً وقد جاءت كمثلى الروض إذ لم تذوها بالحر نار ذكاكا
جلت الهموم عن الفؤاد كمثلى ما تجلو بغرة وجهك الأحلاك
كقميص يوسف إذ شفت يعقوب ريد ساه شفنتى مثله رياكا
قد أعجزت شعراء أهل زماننا حسناً فلم لا تعجز الأملاك
ما كان هذا الفضل يمكن مثله أن يحتويه من الأنام سواكا
لم لا أغيب عن الشأم وهل له من حاجة عندى وأنت هناكا
أم كيف أخشى والبلاد جميعها محمية فى جاه طعن قناكا
يكفى الأعدى حر بأسك فيهم أضعاف ما يكفى الولى نداكا

مازرت مصر لغير ضبط ثغورها
 أم البلاد علا عليها قدرها
 طابت وحق لها ولم لا وهى قد
 أنا كالسحاب أزور أرضاً ساقياً
 مكشى جهاد للعدو لأنسى
 لولا الرباط وفضله لقصدت بال
 ولئن أتيت إلى الشام فإنما
 إنى لأمنحك المحبة جاهداً
 فافخر فقد أصبحت بى وبأسك ال
 لا زلت تقهر من يعادى ملكنا
 وأعيش أنظر ابنك الباقي أبا
 فلذا صبرت فديت عن رؤياكا
 لا سيما مذ شرفت بخطاكا
 حوت المعلى فى الفخار أخاكا
 حيناً وأمنح غيرها سقياكا
 أغذوه بالرأى السديد دراكا
 سير الحثيث إليك نيل رضاكا
 يحشنى شوقى إلى لقسياكا
 وهواى فيما تشتهي هواكا
 حامى وكل مملك يخشاكا
 أبداً ومن عاداك كان فداكا
 وتعيش تخدم فى السعود أباكا

ثم عدت إلى مكاني، وقد بيضتها وحليت بزهرها ساحة القرطاس الأبيض وروضتها، فلما رآنى السلطان - خلد الله ملكه - قد عدت قال: أعملت شيئاً؟ ظناً منه أن العمل فى تلك اللحظة متعذر، وبلوغ الغرض فيها غير متصور، فقلت: نعم، فقال: أنشدنا، فصمت الناس، وحدثت الأبصار، وأصاحت الأسماع، وظن الناس بى الظنون، وترقبوا منى ما يكون، فما هو إلا أن توالى إنشادى حتى صفقت الأيدى إعجاباً، وتغامزت الأعين استغراباً، وحين انتهيت إلى ذكر مولانا الملك الكامل بأنه المعلى إذ ضربت قداحهم، وسردت أمداحهم، اغرورقت عيناه لذكره، وبان منه مخفى المحبة، فأعلن بسره، وحين انتهيت إلى آخرها فاض دمه ولم يمكنه دفعه، فمد يده مستدعيًا للورقة، فناولتها إلى يد صاحب، فناولها له ثم نهض.

وإنما حمل صاحب على هذا الفعل الذى غرر بى فى التعريض له أمور كان يقترحها علىّ، فأنفذ فيها بين يديه، ويخف الأمر منها على لدالتى عليه، منها أننى كنت معه فى سنة تسع وتسعين وخمسمائة بدمشق، فورد كتاب من الملك المنصور محمد بن الملك المظفر تقى الدين صاحب حماة، وقد بعث صحبته نسخة من ديوان شعره، فتشاغل بتسويد كتابة جوابه، فلما كتب بعضه التفت إلى وقال: اصنع أبياتاً أكتبها إليه فى صدر الجواب، وأذكر فيها شعره، فقلت له: على مثل هذا الحال؟ قال: نعم، فقلت: بقدر ما أنجز بقية النسخة:

أيا ملكاً قد أوسع الناس نائلاً
فديناك هب للناس فضلاً يزينهم
ودونك فامنحهم من العلم والحجا
إذا حزت أوفى الفضل عفواً فما الذى
وماذا عسى من ظل بالشعر قاصداً
فلا زلت فى عز يدوم ورفعة
وأغرقهم بذلاً وعمهم عدلا
فقد حزت دون الناس كلهم الفضلا
كما منحتهم كفك الجود والبذلا
تركت لمن كان القريض له شغلا
لبابك أن يأتى به قل أو جلا
تحوز ثناءً يملأ الوعر والسهلا

٣٦٤ - قال: وكنت عند المولى الملك الأشرف أبقاه الله تعالى فى سنة ثلاث وستمائة بالرها، وقد وردت إليه فى رسالة، فجعلنى بين سمعه وبصره، وأنزلنى فى بعض دوره بالقلعة، بحيث يقرب عليه حضورى فى وقت طلبتى، أو إرادة الحديث معى، فلم أشعر فى بعض الليالى - وأنا نائم فى فراشى - إلا وهو قائم على رأسى، والسكر قد غلب عليه، والشموع تزهو بين يديه، وقد حفت به بماليكه كأنهم الأقمار الزواهر فى ملابس كرياض ذات أزاهر، فقممت مروعاً، فأمسكنى وبادر بالجلوس إلى جانبى، ومنعنى من القيام عن الوساد، وأبدى من جميله ما أبدلنى بالنفاق بعد الكساد، ثم قال: غلبنى الشوق إليك، ولم أرد بإزعاجك التثقيب عليك، ثم استدعى من بمجلسه من المغنين فحضروا، وأخذوا من الغناء فيما يملأ المسامع التذاذاً، ويجعل القلوب من الوجد جزاذا، وكان له فى ذلك الوقت مملوكان هما نيرا سماء ملكه، وواسطتا در سلكه، وقطبا فلك طربه وزهوه، وركنا بيت سروره ولهوه، وكانا يتناوبان فى خدمته، فحضر أحدهما فى تلك الليلة وغاب الآخر، وكان كثيراً ما يداعبنى فى شأنهما، ويستدعى منى القول فيهما، والكلام فى التفضيل بينهما، فصنعت فى الوقت:

يا مالگالم يحك سيرته ماض ولا آت من البشر
اجمع لنا تفديك أنفسنا فى الليل بين الشمس والقمر
فطرب وأمر فى الحال باستدعاء الغائب منهما، فحضر والنوم قد زاد أجفانه تفتيراً، ومعاطفه تكسيرا، فقلت بين يديه بديهاً فى صفة المجلس:

سقى الرحمن عصراً قد مضى لى
وليلاً باتت الأنوار فيه
تعاون فى مدافعة الظلام
ونور من سقاة أو مدام
يطوف بأنجم الكاسات فيه
سقاة مثل أقمار التمام

كالريح لم تؤثر
عندي ملامسته
فقم أدر شراً
لذت مرارته
قد جلست الدياتجى
عنا إنارتته
فما السرور عندي
إلا إدارته

وأنفذته إليه وهو فى مجلس أنسه مع مملوك لى للوقت، فعاد مخلوعاً عليه خلعة خاصة.

الفصل الثانى

فيما وقع من بدائع البدائه من غير اقتراح

٣٦٦ - روى أن مرة بن محكان السعدى سعد تميم قدم بين يدى مصعب بن الزبير أيام ولايته العراق لأخيه عبد الله بن الزبير - وأظن ذلك بعد وقعة الحرة ودخول مصعب البصرة - فأمر رجلاً من بنى أسد بقتله، فقال مرة بن محكان بديهاً:

بنى أسد إن تقتلونى تحاربوا تميماً إذا الحرب العوان اشعلت
ولست وإن كانت إلى حيبه بباك على الدنيا إذا ما تولت

٣٦٧ - وذكر الطبرى أن الوليد بن عبد الملك - أو سليمان - مضى إلى الحج، فلما وصل إلى المدينة أتى له بجماعة من أسرى الروم، ففرقهم على أشرفها ليقتلوهم، فأعطى عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أسيراً منهم ليقتله، فقام وحسر عن ساعديه، وطلب سيفاً فلم يجسر أحد أن يعطيه سيفاً، فناوله بعض الحرس سيفاً قليلاً، فضرب به الأسير ضربةً أطارت رأسه وبعض كتفه، فعجب الناس وقالوا: ما قطعها إلا حسبه، ثم أعطى أسيراً لجرير، فقام إليه فدس إليه بعض بنى عبس سيفاً صارماً، فضرب به الأسير فأطار رأسه، ثم أعطى أسيراً للفرزدق، فدس اليه بعض بنى عبس سيفاً كهاماً، فلما ضرب به الأسير نبا، فضحكوا وخجل الفرزدق، ثم قال:

يا أمير المؤمنين، هبه لى، ففعل، فأعتقه ثم قال مرتجلاً يعتر ويغير بنى عبس:

فإن يك سيف خان أو قدر نبا لتأخير نفس حينها غير شاهد
فسيف بنى عبس وقد ضربوا به نبا بيدى ورقاء عن رأس خالد
كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها وتقطع أحيانا مناط القلائد

عيرهم بنو سيف ورقاء بن زهير بن جذيمة عن رأس خالد بن جعفر الكلابى قاتل

٢٢٤ فى بقية بدائع البدائه

أبيه زهير، وقد كان ضربه عدة ضربات، وهو ملق نفسه على زهير، فلم يصنع شيئاً،
وفى ذلك يقول جرير يهجو الفرزدق:

بسيف أبى رغوان سيف مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم
فأجابه الفرزدق بقوله:

ولا نقتل الأسرى ولكن نفكهم إذا أثقل الأعناق حمل المغارم
٣٦٨ - وروى أنه سكر يوماً فتكشف، فمرت به امرأة، فسخرت منه، فأنشأ يقول:

وأنت لو باكرت مشمولةً صهباء مثل الفرس الأشقر
عدت وفى رجلك ما فيهما وقد بدا هنك من المئزر
٣٦٩ - وروى أبو الغراف قال: إن الحجاج قال لجرير والفرزدق وهو فى قصره
بجزير البصرة: ائتيانى فى لباس آبائكما فى الجاهلية، فلبس الفرزدق الديداج والحز،
وقعد فى قبة، وشاور جرير دهاة بنى يربوع وشيوخهم، فقالوا: ما لباس آبائنا إلا
الحديد، فلبس رعاءً، وتقلد سيفاً، وتأبط رمحاً، وركب فرساً لعباد بن الحصين الحبطى،
وأقبل فى أربعين فارساً من بنى يربوع، وجاء الفرزدق فى هيئته، فقال جرير:

لبست سلاحى والفرزدق لعبة عليه وشاحاً كرج وخلاخله
أعدوا مع الحز الملاب فإنما جرير لكم بعل وأنتم حلائله
ثم رجعا، فوقف جرير فى مقبرة بنى حصن، ووقف الفرزدق فى المربد.

٣٧٠ - وروى أن الحجاج لما أتى بالحكم بن المنذر الجارود قال: أنت الذى قال
فيك الشاعر:

يا حكم بن المنذر الجارود سرادق العز عليك ممدود
قال: نعم، قال: والله لأجعلن سرادقك السجن، فقال الحكم مرتجلاً:

متى ما أكن فى السجن فى حبس ماجد فإنى على ريب الزمان صبور
فلو كنت خفت النكت والغدر لم أجب دعاك ولو منك الأمان غرور
لقد كنت دهرأ لا أخوف بالتي أخاف ولا يسطو على أمير

فقال الحجاج: لله أبوك! إن زعارة العرب لبينة فيك، خلوا سبيله.

٣٧١ - وروى عن عبد الأعلى الشيبانى أن حماد عجرد ومطيع ابن إياس اجتمعا

في مجلس محمد بن خالد وهو أمير الكوفة للسفاح، فتمازحا، فقال حماد:

يا مطيع يا مطيع أنت إنسان رقيق

وعن الخير بطيء وإلى الشسر سريع

فقال مطيع:

إن حماداً لك عديم

لا تراه الدهر إلا بهن العير يهيم

فقال له حماد: ويحك! أترميني بدائك! والله لولا كراحتي لتمادى الشر ولجاج الهجاء

لقلت لك قولاً يبقى، ولكن لا أفسد مودتك، ولا أكافئك إلا بالمدح، ثم قال:

كل شيء لي فداء لمطيع بن إياس

رجل مستملح في كل لين وشماس

عدل روحى بين جنبى وعينى ورأسى

غرس الله له كبدى أو فى غراس

ذاك إنسان له فضـ ل على كل أناس

٣٧٢ - وروى إسحاق الموصلى أن يحيى بن زياد الحارثى قال لمطيع بن إياس:

امض بنا إلى فلانة صديقتى، فإن بينى وبينها مغاضبة لتصلح بيننا، ولكن - والله -

بئس المصلح أنت! فدخلا إليها، وجعلا ملياً يتعاتبان ومطيع ساكت، حتى إذا أكثرا قال

له يحيى: ما يسكتك أسكت الله نأمتك! فقال مطيع:

أنت معتلة عليه وما زل مهينا لنفسه فى رضاك

فأعجب يحيى ما سمع وهش، فقال مطيع:

فدعاه وواصله ابن إياس جعلت روحه الغداة فداك

فقام يحيى بوسادة فى البيت، فما زال يصدع بها رأسه ويقول: ألهذا جئت بك يا ابن

الزانية! ومطيع يغوث والجارية تضحك منهما.

٣٧٣ - وروى أن أبا دلامة تاب وعزم على الحج، فلما صار بطبرتاباذ لقيه عالج

من الخمارين الذين كان يألفهم اسمه أبو بشر، فدعاه إلى منزله وأضافه وأحضر له

نبيذاً، فامتنع أبو دلامة منه وأخبره بتوبته وما عزم عليه، فقال العالج: إنه مطبوخ،

فشرب منه، فلم يلبث أن دبت فيه سورته، فرفع عقيرته وأشد:

٢٢٦ فى بقية بدائع البدائه

سقانى أبو بشر من الراح شربةً لها سورة ما ذقتها لشراب
وما طبخوها غير أن غلامهم مشى فى نواحي كرمها بشهاب
٣٧٤ - وروى أنه كان منحرفاً عن على بن سليمان بن على بن عبد الله بن
العباس، فاتفق أن خرج المهدي إلى الصيد ومعه على وأبو دلامة، فرمى المهدي ظبياً
عن له، فأنفذ مقاتله، ورمى على بن سليمان فأصاب كلباً من كلاب الصيد، فارتجل
أبو دلامة:

قد رمى المهدي ظبياً شك بالسهم فؤاده
وعلى بن سليمان ن رمى كلباً فصاده
فهنيئاً لهما كـ ل فتى يأكل زاده
فخجل على بن سليمان، وضحك المهدي وأمر له بجائزة.

٣٧٥ - وذكر دعبل بن على قال: كان لأبى الشمقمق على بشار مائتا درهم فى
كل سنة، فأتاه أبو الشمقمق فى بعض السنين، فقال: هلم الجزية يا أبا معاذ، فقال:
ويحك! أوجزية هى؟ قال: نعم هو ما تسمع، فقال له بشار يمازحه: أنت أفصح أو
أحكم منى؟ قال: لا، قال: فلم أعطيك؟ قال: لئلا أهجوك، قال: لئن هجوتنى
لأهجونك، قال أبو الشمقمق: أو هكذا هو؟ قال: نعم، فقل ما بدا لك، فقال أبو
الشمقمق:

إنى إذا ما شاعر هاجانيه ولج فى القول له لسانيه
أدخلته فى أست أمه علانيه بشار يبا بشار ...
وأراد أن يقول: يا ابن الزانية، فوثب إليه بشار وأمسك فاه، ثم قال: أراد والله أن
يشتمنى، ثم دفع إليه مائتى درهم وقال: لا يسمع هذا منك الصبيان.

٣٧٦ - وروى أن أبا نواس لما وفد على الخصيب قال له مرة يمازحه وهو بالمسجد
الجامع: أنت غير مدافع فى قول الشعر، ولكنك لا تحطب، فقام من فوره وصعد المنبر
وأشده مرتجلاً:

محضتكم يا أهل مصر نصيحتى ألا فخذوا من ناصح بنصيب
رماكم أمير المؤمنين بحية أكل لحيات البلاد شراب
فإن يك باق سحر فرعون فيكم فإن عصا موسى بكف خصيب

ثم التفت إليه وقال: لا يأتى بها والله خطيب مصقع، فاعتذر إليه، وحلف أنه إنما

كان يمازحه.

٣٧٧ - وروى أنه كان تنزه مرة مع عيسى بن الرشيد بالقفص في أواخر شعبان، فلما كان في اليوم الموفى ثلاثين، قيل لأبي نواس: هذا يوم شك، وبعض الناس يصومه احتياطاً، فقال: ليس الشك حجة على اليقين، حدثنا أبو جعفر يرفعه إلى النبي ﷺ أنه قال: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته»، ثم التفت إلى عيسى وارتجبل:

لو شئت لم نبرح من القفص نشربها حمراء كالقفص
نسرق هذا اليوم من شهرنا فالله قد يعفو عن اللص

٣٧٨ - وذكر يزيد بن أبي اليسر الرياضي في أمثاله قال: حدثنا أبو سهل الحاسب ونحن معه في بعض حوانيت الفسطاط، قال: كان أكثر قعود الحسن بن هانئ في هذا الحانوت، فمر به في بعض الأيام ابن عبد الحكم، وكان في يده سوط، فسلم علينا به، فقال الحسن:

سلم السوط إذ مررت علينا فعلى السوط لا عليك السلام
فقال ابن عبد الحكم لمن معه: من هذا؟ فقيل: هذا الحسن بن هانئ، فرجع إليه ونزل واعتذر، فقبل الحسن بن هانئ عذره وألطفه.

٣٧٩ - وذكر أبو الفرج في كتاب القيان والمغنين أنه كان بالكرخ مغن يقال له: أبو عمير، وكان له قيان حسان، وكان عبد الله بن محمد - أظنه التيمي - قد عشق جارية منهن يقال لها: عبادة، فكان يغشى منزله وينفق فيه، ثم أضاق إضاقاً شديدة حملته على الانقطاع عنهم، وكره أن يقصر عما كان عليه من برهم، ثم نازعته نفسه إلى لقائها وزيارتها، فاتاها فأصاب عندها جماعة ممن كان يالف منزل مولاهما، فرحبت به الجارية وسيدها، واستبطنوا زيارته وعاتبوه على تأخره عنهم، فجعل يجمع في عذره ولا يصرح، فلما سكر رفع عقيرته منشداً:

لو تشكى أبو عمير قليلاً لأتينا من طريق العيادة
وقضينا من الزيارة حقاً ونظرنا لمقلتي عبادة
فقال له أبو عمير: ما لي ولك يا ابن أخي! انظر إلى مقلتي عبادة كيف شئت غير ممنوع، ولا تتمن لي المرض.

٣٨٠ - وذكر أيضاً فيه برواية تتصل بعلى بن هشام قال: قدمت على جدتي شاهك

من خراسان، فقالت لى: اعرض علىّ جواريك، فعرضتهن عليها، ثم جلسنا على الشراب، ومتميم تغنى، فأطالت جدتى الجلوس عندنا، فلم أنبسط للجوارى إجلالاً لها، فأخذت الدواء وصنعت فى الحال، وكتبت به رقعة ورمت بها إلى متميم:

أنبى على هذا وأنت قريبة وقد منع الزوار بعض التكلم
سلام عليكم لا سلام مودع ولكن سلام من محب متميم
فأخذته ثم نهضت إلى الصلاة، وعادت وقد صنعت لحناً فغنته، ففطنت جدتى،
وقالت: أظن أننا ثقلنا عليكم، وأمرت الخدم فحملوا محفتها، وأمرت للجوارى
بصلات، وأمرت لمتميم بثلاثين ألف درهم.

٣٨١ - أنبأنى الفقيه النبيه أبو الحسن المفضل على بن الحسين المقدسى، عن الفقيه
أبى القاسم مخلوف بن على القيروانى، عن أبى عبد الله محمد بن أبى سعيد
السرقسطى، عن أبى عبد الله محمد بن أبى نصر الحميدى الحافظ، قال: أخبرنا أبو
العباس البغدادى، قال: حدثنا أبو البركات محمد بن عبد الواحد الزبيرى، حدثنا أبو
سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافى، قال: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن
السرى الزجاج، قال: حدثنا أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، قال: لما وصل المأمون إلى
بغداد وقر بها، قال ليحيى بن أكثم: وددت لو وجدت رجلاً مثل الأصمعى ممن يعرف
أخبار العرب وأيامها وأشعارها، فيصحبنى كما صحب الأصمعى الرشيد، فقال يحيى:
هاهنا شيخ يعرف هذه الأخبار يقال له: غياث بن ورقاء الشيبانى، قال: أحضره، فلما
حضر قال له يحيى: إن أمير المؤمنين يرغب فى حضورك مجلسه، فقال: أنا شيخ كبير لا
طاقة لى بذلك؛ لأنه قد ذهب منى الأطيان، فقال له المأمون: لا بد من ذلك، فقال
الشيخ: فاسمع ما حضرنى، وأنشد اقتضاباً:

أبعد شيبى أصبو	والشيب للمراء حرب
شيب وسن وإثم	أمر لعمر ك صعب
يا ابن الإمام فهلا	أيام عودى رطب
وإذ شفاء الغوانى	منى حديث وقرب
وإذ مشى قلليل	ومنهل العيش عذب
والآن حين رأى بى	عواذلى ما أحبوا
آليت أشرب راحا	ما حجج لله ركب

فقال المأمون: اكتبوها بالذهب، وأمر له بجائزة وتركه.

٣٨٢ - وبهذا الإسناد عن الحميدى، قال: أخبرنا أبو محمد على بن أحمد قال: أخبرنا عبد الله بن ربيع التيمي قال: حدثنا أبو على إسماعيل بن القاسم البغدادي قال: حدثني أبو معاذ عبدان الخوي المتطبب قال: دخلنا يوماً بسر من رأى على عمرو بن بحر الجاحظ نعوذه وقد فلج، فلما أخذنا مجالسنا أتى رسول المتوكل إليه، فقال: وما يصنع أمير المؤمنين بشق مائل ولعاب سائل! ثم أقبل علينا، فقال: ما تقولون في رجل له شقان، أحدهما لو غرز بالمسال ما أحسن، والشق الآخر يمر به الذباب فيغوث! وأكثر ما أشكوه الثمانون، ثم أنشدنا بيتاً من قصيدة عوف بن ملحم الخزاعي، قال أبو معاذ: وكان سبب هذه القصيدة أن عوفاً دخل على عبد الله بن طاهر، فسلم عليه عبد الله فلم يسمع فأعلم بذلك، فزعموا أنه ارتجل هذه القصيدة وأنشد:

يا ابن الذي دان له المشرقان	طرا وقد دان له المغربان
إن الثمانين وبلغتها	قد أحوجت سمعى إلى ترجمان
وبدلتنى بالشطاط الحنا	وكنت كالصعدة تحت السنان
وأبدلتنى من زمان الفتى	وهمتى هم الجبان الهدان
وقاربت منى خطأ لم تكن	مقاربات وثنت من عنان
وأنشأت بينى وبين الورى	عنانة من غير نسج العنان
ولم تدع فى لمستمع	إلا لسانى وبجسبى لسان
أدعوبه الله وأثنى به	على الأمير المصعبى الهجان
فقربانى بأبى أنتما	من وطنى قبل اصفرار البنان
وقبل منعائى إلى نسوة	أوطانها حران والرقتان

٣٨٣ - وذكر أن تميم بن جميل التغلبى عاث ببعض الأعمال، فحملة مالك بن طوق إلى المعتصم، فلما قدم بين يديه، وأحضر السيف والنطع لقتله، رآه المعتصم جميلاً وسيماً، فأحب أن يعلم كيف منطقه، فقال له: تكلم، فقال بعد أن حمد الله تعالى ودعا للمعتصم: إن الذنوب تحرس الألسنة، وتعمى الأفئدة، وقد عظمت الجريرة وانقطعت الحجة وساء الظن، ولم يبق إلا العفو أو الانتقام، وأرجو أن يكون أقربهما منى وأسرعهما إليك، أشبهها بك، وأولاك يكرمك أليقهما بك، ثم ارتجل:

أرى الموت بين النطع والسيف كامناً
وأكبر ظننى أنك اليوم قاتلى
وأى امرئ يدلى بعذر وحجة
يعز على الأوس بن تغلب موقف
وما جزعى من أن أموت وإننى
ولكن خلفى صبية قد تركتهم
كأنى أراهم حين أنعى إليهم
فإن عشت عاشوا سالمين بغبطة
وكم قائل لا يبعد الله داره
يلاحظنى من حيثما أتلفت
ومن ذا الذى مما قضى الله يفلت
وسيف المنايا بين عينيه وصلت
يسل على السيف فيه وأسكت
لأعلم أن الموت شىء مؤقت
وأكبادهم من حسرة تفتت
وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا
أذود الردى عنهم وإن مت موتوا
وأخر جذلان يسر ويشمت

فعفا عنه المعتصم وقلده عملاً. وهذه بديعة لو وقعت لمرو ثابت الجأش مع طول
المدة وحصول الأمن لكانت عظيمة، فكيف بالبديهة فى هذه الساعة التى يحول فيها
الجريض دون القريض، وحسبك بحال لم يقدر عبيد بن الأبرص فيها على الروية.
وكذلك على بن الجهم، قال ارتجالاً وقد صلب:

لم يغصبوا بالشاذياخ عشية الـ
نصبوا بحمد الله ملء عيونهم
ما ضره أن بز عنه ثيابه
فالسيف أهول ما يرى مسلولا
اثنين مسبوفاً ولا مجهولا
حسنًا وملء قلوبهم تبجيلا

وهذا من أحسن شعره وأبدعه.

٣٨٤ - وروى عن خالد الكاتب أنه قال: دخلت الدير يوماً، فإذا أنا بشاب مغلول
مربوط إلى سارية، فملت إليه وسلمت عليه، فقال: من تكون؟ قلت: خالد الكاتب،
قال: صاحب المقطعات؟ قلت: نعم، قال: أنشدنى، فأنشدته:

ترشفت من شفثيه عقاراً
وعانت منه قضيباً رطيباً
وعاينت من حسنه فى الظلام
وقبلت من خده جلنارا
وردفاً مهيلاً وبدراً أنارا
إذا ما تبدى نهاراً جهارا

فأطرق ثم أنشد:

رب ليل أمد من نفس العا
ونعيم ألد من وصل معشو
شق طولاً قطعته بانتخاب
ق تبدلته بيوم عتاب

قال خالد: فوالله إنى منذ ثلاثين سنة لا أحسن إجازتهما.

٣٨٥ - وروى أبو الفرج أن شحنة بغداد كسر نبيذاً كثيراً حتى ملأ الطريق، فمر به بكر بن خارجة، فلما رآه جلس يبكى، فمر عليه بعض أصحابه، فسأله عن سبب بكائه، فقال بديهاً:

يا لقومى لما جنى السلطان لم يكن للذى أهان هوان
صبها فى الطريق من حلب الكر م عقاراً كأنها زعفران
صبها فى مكان سوء لقد أد رك سعد السعود ذاك المكان

قال الكرمانى: أنشدتها الجاحظ فقال: إن من حق الفتوة والمروءة ألا أكتبها إلا قائماً، فعمدته لأنه كان مفلوجاً حتى كتبها.

٣٨٦ - وذكر أن العباس بن إبراهيم الصولى كان قد ولى بعض النواحي للمتوكل، فأخرج إليه أحمد بن المدبر جملة كبيرة، وجلسا للمناظرة بين يدى المتوكل، ولم يكن إبراهيم من رجال أحمد فى كتابة الخراج، ولا واحد من رجاله فى البلاغة والشعر، فكاد يفتضح، فوقعت قضية للمتوكل أوجبت أن ارتجل إبراهيم:

صد عنى وصدق الأقوالا وأطاع الوشاة والعذالا
أتراه يكون شهر صدود وعلى وجهه رأيت الهلالا
فطرب المتوكل، وأقره على عمله، وسوغه ما عليه.

٣٨٧ - وذكر أبو الفرج فى كتاب القيان والمغنين أنه كان يعشق جارية لبعض الهاشميين يقال لها: أمل، فدعا إخواناً له من أجلاء الكتاب، ودعاها ودعا قياتاً غيرها، فحضرُوا وتأخرت، فتنغص عليه يومه من أجلها، ثم جاءت فسرى عنه، وطرب وشرب، وكتب ارتجالاً:

ألم تريا يومنا إذ نأت فلم تأت من بين أترابها
وقد غمرتنا دواعى السرور بإلهائهما وبإطرابها
ومدت علينا خيام النعيم وكان المنى بعض أطنابها
ونحن فتور إلى أن دننت وبدر الدجى بين أثوابها
فلما نأت كيف كنا لها ولما دننت كيف صرنا بها

٢٣٢ فى بقية بدائع البدائه
وقرئت عليها الأبيات، فقالت: ليس الأمر كذلك، قد كنتم قبلى فى لذة، وإنما
تجملتم بهذا لما حضرت، فقال:

يا من حينى إليه ومن فؤادى لديه
ومن إذا غاب من بي منهم أسفت عليه
من غاب غيرك منهم فأذنه فى يديه
فرضيت عنهم، وأتموا يومهم.

٣٨٨ - وحكى أن على بن الجهم قال: كنت بين يدى المتوكل، وقد آتاه رسول
برأس إسحاق بن إسماعيل، فقال على بن الجهم يختر بين يدى الرسول وهو يرتجز:

أهلاً وسهلاً بك من رسول جئت بما يشفى من الغليل
برأس إسحاق بن إسماعيل

فقال المتوكل: التقطوا هذا الجوهر لا يضيع.

قال على بن ظافر: إسحاق بن إسماعيل هذا مولى لبنى أمية، خرج بتفليس فى سنة
سبع وثلاثين ومائتين، حين وثب أهل أرمينية بعاملهم من جهة المتوكل يوسف بن محمد
ابن يوسف، وتولى قتل إسحاق هذا بغا الكبير فى سنة سبع وثلاثين، ولم يكن بين
اغتباط المتوكل بعلى هذا الاغتباط وبين نفيه إلا نحو سنة؛ لأنه نفاه إلى خراسان فى سنة
ثمان وثلاثين.

٣٨٩ - وذكر ابن أبى طاهر فى أخبار بغداد عن محمد بن عبدوس الفارسى أنه
قال: سرت يوماً إلى على بن الجهم، فأنشدنى لنفسه فى العناق:

ولم أنس ليلاً ضمنا بعد فرقة وأدنى فؤاداً من فؤاد معذب
ويتنا جميعاً لو تراق زجاجة من الراح فيما بيننا لم تسرب
فانقدح زدى لإيراد مثله، فأطرقت وقلت بديهاً:

لا والمنازل من نجد وليتنا بفيد إذ جسدانا فى الهوى جسد
كم رام فينا الكرى من لطف مسلكه سيراً فما أنفك لا خد ولا عضد
ما أنصفونى دعونى فاستجبت لهم حتى إذا قربونى منهم بعدوا

٣٩٠ - أنبأنى المقدسى، عن القيروانى، عن السرقسطى، عن الحميدى قال: حكوا

أن عبد الله بن عاصم صاحب الشرطة كان أديباً شاعراً سريع البديهة، كثير النوادر من جلساء الأمير عبد الرحمن - ذكره غير واحد - وحكوا أنه دخل عليه في يوم غيم، وبين يديه غلام حسن المحاسن، جميل الزى، لين الأخلاق، فقال له: ما يصلح ليومنا هذا؟ فقال: عقار تنفر الذبان وتؤنس الغزلان، وحديث كقطع الروض قد سقطت فيه مؤنة التحفظ وأرعى عليه عنان التبسط، يديرها هذا الأغد المليح، فضحك ثم أمر بالغناء وآلات الصهباء، فلما دارت الكئوس واستمطر الأمير نوادره واستطرد بوادره، وأشار إلى الغلام أن يلح عليه، فلما أكثر رفع رأسه إليه، وقال على البديهة:

يا حسن الوجه لا تكن صلفاً ما لحسان الوجوه والصلف
تحسن أن تحسن القبيح ولا ترثى لصب متيم دنف
فاستبدع الأمير بديهته، وأمر له ببدره، ويقال: إنه خيره بينها وبين الوصيف،
فاختارها نفيًا للظنة عنه.

٣٩١ - وذكر أن الخليع حضر مجلس المتوكل في جملة الندماء، وقد كبر سنه، وضعف جسمه، وبين يديه شفيح خادمه ينضد ورداً، وعليه قراطق موردة، ولم يكن في عصره خادم أحسن منه، فأمره المتوكل أن يجيئه بوردة، ويغمز يده ليحرك خاطره، ففعل فاربجل:

وكالوردة البيضاء حيا بوردة من الحمر يمشى في قراطق كالورد
سقانى بعينيه وكفيه شربة فأذكرنى ما قد نسيت من العهد
له عبثات عند كل تحية بكفيه تستدعى الخلى إلى الوجد
سقى الله دهرًا لم أبت فيه ليلة من الدهر إلا من حبيب على وعد

٣٩٢ - قال على بن ظافر: وهذه الحكاية تشبه حكاية ذكرها الفتح بن خاقان في قلائد العقيان أوردتها هاهنا قاطعاً ترتيب الحكايات طلباً للمجانسة حتى إذا نجزت عدنا لترتيب الأخبار على ترتيب الأعصار، قال الفتح بن خاقان: أخبرني الوزير أبو عامر ابن يشتغير أنه حضر مجلس القائد أبي عيسى بن لبون في يوم سفرت فيه أوجه المسرات، ونامت عنه أعين المضرات، وأظهر سقاته غصونا تحمل بدوراً، وتطوف من المدام بنار مازحت من الماء نوراً، وشموس الكاسات تشرق في أكف سقاتها كالورد في السوسان، وتغرب بين أقاحى نجوم الثغور فتذبل نرجس الأجفان، وعنده الوزير أبو الحسن ابن الحاج اللورقي، وهو يومئذ قد بذل الجهد في التحلى بالزهد، فأمر القائد

..... فى بقية بدائع البدائه
ساقيه أن يعرض عليه ذهب كاسه، ويحييه بزبرجد آسه، ويغازله بطرفه، ويميل عليه
بعطفه، ففعل ذلك عجلاً، فأنشد أبو الحسن مرتجلاً:

ومفهف مزج الفتور بشدة	وأقام بين تبذل وتمنع
يشنيه من فعل المدامة والصبأ	سكران سكر طبيعة وتصنع
والله لولا أن يقال هوى الهوى	منه بفضل عزيمة وتمنع
لأخذت فى تلك السبيل بماأخذى	فيما مضى ونزعت فيها منزعى

٣٩٣ - أخبرنا المسكى، عن السلفى، عن جعفر بن أحمد بن السراج، وابن يعلان
الكبير، قالوا: أنبأنا أبو نصر عبيد الله بن سعيد السجستاني، قال: أخبرنا أبو يعقوب
النجيرمى، حدثنا أبو الجود العروضى، عن جحظة اليرمكى، قال: حدثنا أبو عبادة
البحترى الشاعر - وكان المتوكل أدخله فى ندمائه - قال: دخلت على المتوكل يوماً،
فرأيت فى يديه درتين، ما رأيت أشرق من نورهما، ولا أنقى بياضاً ولا أكبر، فأدمت
النظر إليهما، ولم أصرف طرفى عنهما، ورأى المتوكل فرمى إلى التى كانت فى يده
اليمنى، فقبلت الأرض، وجعلت أفكر فيما يضحكه طمعاً فى الأخرى، فعن لى أن
قلت:

بسرمرالنا إمام	تغرف من كفه البحار
خليفة يرتجى ويخشى	كأنه جنة ونار
الملك فيه وفى بنيه	ما اختلف الليل والنهار
يداه فى الجود ضرتان	هذى على هذه تغار
وليس تأتى اليمين شيئاً	إلا أتت مثله اليسار

فرمى بالدرة التى كانت فى يده اليسار، وقال: خذها يا عيار.

٣٩٤ - وحكى النميرى قال: كنت عند الأمير عبد الله بن المعتز وعنده قينة قبيحة
الصورة، فجعلت أتبرم بها، وجعل يظهر شغفاً بها وعشقاً لها ليغايظنى بذلك، فلما
اشتد غيظى منه خلوت به فقلت له: نشدتك الله أيها الأمير، أعشقتها؟ فقال مضاحكاً:
نعم، فقلت: ألسنت ترى قبح وجهها وسماجة خلقها، فارتجل:

قلبى وثواب إلى ذا وذا	ليس يرى شيئاً فياًباه
يهيم بالحسن كما ينبغى	ويرحم القبح فيهواه

فسكت عنه تعجباً من سرعة بديهته.

٣٩٥ - وروى أنه جاء يوماً إلى أبى العباس ثعلب أحمد بن يحيى وهو فى المسجد الجامع ليسلم عليه، فقام إليه هو والحاضرون، وأجلسه مكانه، فداس قلماً فكسره، فقال:

لكفى وتر عند رجلى لأنها أبادت قتيلاً ما لأعظمه جبر
فعجبوا من بديهته وحسنها.

٣٩٦ - قال يزيد الرياضى فى كتابه فى الأمثال: سمعت أبى الطيب الكاتب يقول: ذكر المازرى أنه كان فى مجلس ابن المعتز و غلام على رأسه يذب، فوقعت المذبة على رأس بعض الجلساء، فقال ابن المعتز:

قل لمن ذب ذب نفسك عنا حسبنا منك أو فحسبك منا
٣٩٧ - حدثنا المسكى بالإسناد المتقدم عن النجيرمى قال: حدثنا العروضى، عن الصولى وذكره. وبهذا الإسناد عن أبى الحسن بندقة، قال: أنشدنا عبد الله بن المعتز بيتى أبى نواس فى الخمر وهما:

وعاشق دنف نبهته سحرأ فقام للكأس والصهباء فاصطبحا
ودارت الكأس من صهباء صافية فما حسا قدحا إلا بكى قدحا
فاستمد فكتب:

وقهوة كشعاع الشمس صافية مثل السراب يرى من دقة شبعا
إذا تعاطيتها لم تدر من دهش راحا بلا قدح أعطيت أم قدحا
٣٩٨ - قال يزيد الرياضى: حدثنا أبو عبد الله الكرمانى قال: حدثنا الصولى قال: ذكر المرادى أنه كان فى بعض الأيام عند ابن المعتز على شراب، فأكثر القوم كلامهم، فقال:

إذا فتح القوم أفواههم لغير شراب ولا مطعم
فلا خير فيهم لشرب المدام فدعهم يناموا مع النوم
٣٩٩ - قال: وذكر المرادى أنه دخل إليه يهنيه براء من علة، فقال:

أتانى براء لم أكن واثقا به كحل أسير فك بعد وثاقه

وكان لأحد بنى المنجم جارية صفراء مولدة، فبلغ به الوجد بها إلى أن مرض ونحل، فدخل عليه الطبيب فجسه، فقال: هذا الفتى قد أحرقته الصفراء، فقال: أصبت وأحسنت من حيث لا تشعر، واستدعى دواة وكتب فى الحال:

قال الطبيب وقد تبين سحتى قد أحرقت هذا الفتى الصفراء
فعجبت منه إذ أصاب وما درى والحق أبلج ليس فيه مرأ

٤٠٠ - ومثل هذه الحكاية ما روى من أن العباس الفارسى كان يهوى مدام الشاعرة الكوفية، وكان مداوماً للشرب، فاعتل واشتدت حماه، فدخل عليه صديق له طبيب يكنى بأبى بشر، فجس يده فوجد حماه حادة، فقال له: ما يتلفك إلا مداومتك مدامك، فقال للوقت:

عجبت من قول أبى بشر وقوله ضرب من السحر
مدامك الهلك فلا تكثرن منها وأنسى لى بالكثير
أصاب فى اللفظ ولكنه أخطأ فى المعنى ولم يدر

٤٠١ - قال القاضى على التنوخى فى كتاب النشوان: أخبرنى أبى قال: حدثنى المعوج الرقى قال: كبا الفرس بيدر الجمالى فافتصد، فدخلت عليه فأنشدته أبياتاً عملتها فى الحال وهى:

لا ذنب للطرف إن زلت قوائمه وليس يلحقه من عائب دنس
حملت بأساً وجوداً فوقه وندى وليس يقوى لهذا كله الفرس
قالوا افتصدت فما عقل العلا معها خوفاً عليك ولا نفس بها نفس
كف الطبيب دعا كفا نقبلها ونطلب الرزق منها حين ينحبس

٤٠٢ - قال: وحدثنى أبو الفتح أحمد بن على بن هارون المنجم، قال: حدثنى أبى قال: كنا فى دعوة أبى على الحسن بن مروان الكاتب، وحضر فيها الوزير أبو محمد الحسن بن محمد المهلبى، وهو إذ ذاك يخلف أبا جعفر الصيمرى على الأمر ببغداد، فغنت الرقية زوج أبى على صوتاً من وراء الستارة أحسنت فيه، فأخذ المهلبى الدواة، فكتب فى الحال بديهاً وأنشدها لنفسه:

ذات غنى فى الغناء من نغم تنفق فى الصوت منه إسرافا
كأنها فارس على فرس ينظر فى الجرى منه أعطافا

٤٠٣ - وروى أن نصر بن أحمد الخبز أرزى دخل على أبى الحسن بن المثنى فى أثر حريق المرید، فقال له: هل قلت فى هذا شيئاً؟ فقال: ما قلت، ولكن أشدك ارتجالاً:

أتتكم شهود الهوى تشهد
فما تستطيعون أن تجحدوا
جرى نفسى صعداً بينكم
فأحرق من ذلك المرید
وهاجت رياح حينى لكم
فظلت به ناراه توقد
ولولا جرت أدمعى لم يكن
حريقكم أبداً يخمد

٤٠٤ - ومثل هذا ما رويناہ بالإسناد المتقدم عن ابن بسام فى كتاب الذخيرة، قال: ذكر سليمان بن محمد الصقلی، قال: كان بسوسة إفريقية رجل ظريف يهوى غلاماً، فتجنى الغلام عليه، فبينما هو ذات ليلة يشرب منفرداً، وقد غلب عليه السكر، خطر بباله أن يأخذ قبس نار فيحرق به داره، ففعل ووضع النار فى الباب فاحترق، فاتفق أن رآه بعض الجيران، فخرج أهل الدار فأطفئوا الحريق، ولما أصبحوا حملوه إلى القاضى، فسأله: لم فعل؟ فأنشأ يقول:

لما تمادى على بعادى
وأضرم النار فى فؤادى
ولم أجد من هواه بدا
ولا معيناً على السهاد
حملت نفسى على وقوفى
ببابه حملة الجواد
فطار من بعض نار قلبى
أقل من لمعة الزناد
فأحرق الباب دون علمى
ولم يكن ذاك فى مرادى

فاستظرفه القاضى واستلطفه، وغرم عنه أرش ما أتلفه.

٤٠٥ - أنبأنى الشيخ الفقيه النبیه أبو الحسن على المقدسى، عن أبى القاسم مخلوف بن على القيروانى، عن عبد الله محمد بن أبى عبد الله الحافظ الحميدى، قال: أخبرنى أحمد بن قاسم، جار لنا كان بالمغرب، أن عبد الملك بن إدريس الحريرى كان ليلة بين يدى المنصور بن أبى عامر، والقمر يبدو تارة ويخفيه السحاب تارة أخرى، فارتجل:

أرى بدر السماء يلوح حيناً
فيبدو ثم يلتحف السحابا
وذلك أنه لما تسبدى
وأبصر وجهك استحيا فغابا
مقال لو نعى عنى إليه
لراجعنى بتصديقى جوابا
٤٠٦ - وبهذا الإسناد قال الحميدى: حضر عقيل بن نصر مجلساً فيه أحداث من

الكتاب، فاختلّفوا فى شىء من الآداب إلى أن أفضى بهم ذلك إلى السباب، فقال عقيل على البديهة، وأنشدنيها بعض الرؤساء ولم يعلم قائلها:

تعس الزمان لقد أتى بعجائب ومحا رسوم الفضل والآداب
وأتى بكتاب لو انبسطت يدي فيهم رددتهم إلى الكتاب

٤٠٧ - أخبرنى الفقيه أبو الحسن على بن فاضل بن صمدون الصورى، عن الإمام الحافظ السلفى، عن أبى غالب شجاع بن فارس الرملى، عن أبى منصور محمد المالكى البصرى، عن أبى محمد عبد الله بن محمد الأكفانى البصرى قال: خرجت مع عمى أبى عبد الله الأكفانى، وأبى الحسين بن لنكك، وأبى عبد الله المفجع، وابن الحسين السباك فى بطالة العيد، فمشوا حتى انتهوا إلى نصر بن أحمد الخبز أرزى وهو جالس يجبز على طائفة، فجلسوا عنده، ثم قاموا عند تزايد الدخان، فقال نصر لابن لنسكك: متى أراك يا أبا الحسين؟ فقال له أبو الحسين: إذا اتسخت ثيابى - وكانت ثيابهم جرداً قد لبسوها للتجمل بها فى العيد - فمشينا فى سكة بنى سمرة، حتى انتهيا إلى دار أحمد بن المثنى، فجلس أبو الحسين بن لنكك وقال: يا أصحابنا إن نصرأ لا يخلى هذا المجلس الذى مضى لنا معه من شىء يقوله، ونحن نبدوّه قبل أن يبدأنا، واستدعى بدواة وكتب إليه:

لنصر فى فؤادى فرط حب يزيد به على كل الصحاب
قصدناه فبخرنا بـجـوراً من السعف المدخن للثياب
فقال متى أراك أبا حسين فقلت له إذا اتسخت ثيابى
وأنقذ الأبيات إلى نصر، فأملى جوابها فى الحال، فقرأناه فإذا هو قد أجاب:

منحت أبا الحسين صميم ودى فداعبنى بالفاظ عذاب
أتى وثيابه كقتير شيب فعدن له كريعان الشباب
وقلت متى أراك أبا حسين فجاوبنى إذا اتسخت ثيابى
فإن يكن التقدر فيه فخر فلم يكنى الوصى أبا تراب

٤٠٨ - وذكر الباخرزى فى كتاب دمية القصر قال: حدثنى أبو محمد الحسن بن على الجوهري ببغداد قال: أنشدت أبا القاسم الصورى بيتين كان أبو عبد الله عمر بن يحيى ادعاهما لنفسه فى مجلس المهلبى الوزير، فأنكر أبو الفرج الأصبهاني ذلك، وأخرج فى أناشيد ثعلب وهما:

أقول لها إذ بت في أسر قومها وجامعتى عن منكبى تضيق
لما سرنى أن بت عنى بعيدة وأنى من هذا الإسار طليق
ثم قلت له: أهما أحسن أم بيتان عملتهما فى المعنى، وهما:

أقول لها والحقى قد نذروا بنا ومالى من أسر المنون براح
لما ساءنى أن وشحتنى سيوفهم وأنك لى دون الوشاح وشاح
فأمسك ساعة ولم يجب، ثم عمل فى الحال وأنشدنيه:

ألا مرحباً بالأسرى يا أم مالك وجامعتى والقدم منه قرينى
إذا كنت فى كسر الخباء قريبة تحسين منى لوعتى وأينى
وعمل أيضاً فى الحال وأنشدنيه:

أقول وقد هز القنالى قوامها ومالى من بين الأسنة مذهب
ألا ليت نحرى للأسنة ملعب وكفى فى نحر ابنة القوم يلعب
٤٠٩ - قال: وجلس أبو إسحاق النجيرى عند كافور الإخشيدي، فدخل عليه أبو
الفضل بن عياش، فقال: أدام الله أيام مولانا، وكسر الميم، فتبسم كافور إلى أبى
إسحاق، ففطن لذلك، فقال ارتجالاً:

لا غرو أن لحن الداعى لسيدنا وغص من دهش بالريق والبحر
فمثل سيدنا حالت مهابته بين الأديب وبين القول بالحصر
وإن يكن خفض الأيام من دهش فى موضع النصب لا من قلة البصر
فقد تفاءلت من هذا لسيدنا والفعال مأثوره عن سيد البشر
بأن أيامه خفض بلا نصب وأن دولته صفو بلا كدر
فأمر له بثلاثمائة دينار وللنجيرى بمائتين.

٤١٠ - وذكر صاحب اليتيمة - وقد ذكرنا الإسناد إليه فيما سبق من الكتاب - أنه
قدم إلى عضد الدولة فناخسرو جام بهطة بيضاء عليها لوز منصف، وكان ينادمه رجل
من أهل الأدب، قلما يحضر شىء على المائدة إلا قال فيه شعراً له أو لغيره، فاستدعى
منه عضد الدولة أن يصفها، فأرتج عليه، فارتجل عضد الدولة:

بهطة تعجز عن وصفها يا مدعى الأوصاف بالزور

كأنها فى الجمام إذ زينت لآلى فى ماء كافور
 ٤١١ - وشرب السرى الموصلى يوماً مع جماعة من أصحابه بالقفص فى حانة
 لبعض الخمارين، فأقاموا نهارهم يديرون من الكئوس شعلاً يلهبها الماء، ويزول برشفها
 الظماء، وبين أيديهم أسد قد نظم من الورد، فقال السرى بديهاً:

رب أيام على القفص لنا لا نرى مثلها طول الأبد
 غيضة ريجاننا الغض بها أسد من غابة الورد ورد
 ما رأى الناس ندامى قبلنا شربوا الراح على وجه الأسد
 قال على بن ظافر: ذكرت بهذا قول ابن الخياط الدمشقى بديهاً فى مثله:

لنا أسد ورد سباناً به الهوى وما كان يهوى قبله الأسد الورد
 له وردة حمراء فى فيه غضة يرى عادياً منها وإن كان لا يعدو
 كليث قريب بالفريسة عهده فباقى دم المفروس فى فمه يبدو
 ٤١٢ - وحكى أبو الفضل الهمذانى قال: قال صاحب يوماً لجلسائه وأنا فيهم،
 وقد جرى ذكر أبى فراس: لا يقدر أحد أن يزور على أبى فراس شعراً، فقلت: ومن
 يقدر أن يزور عليه وهو الذى يقول، وارتجلت:

رويدك لا تصل يدها بسباعك ولا تعن السباع على رباعك
 لا تعن العدو على إنى يمين إن قطعت فمن ذراعك
 فقال صاحب: صدقت، فقلت: أيد الله مولانا، قد فعلت.

٤١٣ - وروى ابن الصابى فى كتاب الوزراء قال: كان فى مجلس صاحب متكلم
 يعرف بابن الحضيرى، فغلبه النوم يوماً فى المجلس، فكانت منه فلتة، فقام خجلاً، فقال
 فيه صاحب ارتجالاً:

يا ابن الحضيرى لا تذهب على من ضرطة أشبهت نايًا على عود
 فإنها الريح لا تستطيع تحبسها إذ أنت لست سليمان بن داود

٤١٤ - وأنبأى ذو النسبتين الحافظ أبو الخطاب بن دحية، عن الأستاذ المفيد أبى
 بكر محمد بن خير بقراءته عليه - عن الحافظ أبى القاسم خلف بن يوسف الشنترينى -
 عرف بابن الأبرش - بقراءته على أبى الحسن على بن بسام قال: كان أبو العلاء صاعد
 اللغوى البغدادى كثيراً ما يمدح بلاد العراق بمجلس المنصور بن أبى عامر كفيل المؤيد

فى بقية بدائع البدائه ٢٤١
 هشام صاحب الأندلس، فكتب الوزير أبو مروان عبد الملك بن شهيد والد الوزير أبى
 عامر أحمد صاحب الغرائب الماضية فى هذا الكتاب إلى المنصور فى يوم برد، وكان
 أخص وزرائه:

أما ترى برد يومنا هذا	صيرنا للكمون أفذاذا
قد فطرت صحة الكبود به	حتى لكادت تعود أفلاذا
فادع بنا للشمول مصطلياً	نغد سيراً إليك إغذاذا
وادع المسمى بها وصاحبه	تدع نبيلاً وتدع أستاذا
ولا تبالي أبا العلاء زها	بخمر قطربل وكلواذا
ما دام من أرملاط مشربنا	دع دير عمى وطير ناباذا

وكان المنصور فى ذلك اليوم قد عزم على الانفراد بجرمه، فأمر بإحضار من جرى
 رسمه من الوزراء والندماء، وأحضر ابن شهيد فى محفة - لنقرس كان يعتاده -
 وأخذوا فى شأنهم، فمر لهم يوم لم يعهدوا مثله، وعلا الطرب وسما بهم حتى تهايجوا
 ورقصوا بالنوبة، حتى انتهى الدور إلى ابن شهيد، فأقامه الوزير أبو عبد الله بن عباس،
 فجعل يرقص وهو متوكئ عليه، وارتجل قائلاً:

هاك شيخاً قاده عذر لكا	قام فى رقصته مستهلكا
لم يطق يرقصها مستثبتاً	فغدا يرقصها مستمسكا
عاقه عن هزها منفرداً	نقرس أخنى عليه فاتكا
من وزير فيهم رقاصة	قام للسكر يناغى ملكا
أنا لو كنت كما تعهدنى	قمت إجلالاً على رأسى لكا
قهقة الإبريق منى ضاحكا	ورأى رعشة رجلى فبكى

وهذه قطعة مطبوعة وطرفها الأخير واسطتها، وكان قد حضرهم ذلك اليوم رجل
 بغدادى يعرف بالكك، كان حسن النادرة سريعها، وكان ابن شهيد أحضره إلى المنصور،
 فاستطبعه وارتبطه، فلما رأى ابن شهيد يرقص قائماً مع ألم المرض الذى كان منعه من
 الحركة قال: لله درك يا وزير ترقص قائماً وتصلى قاعداً، فضحك المنصور، وأمر لابن
 شهيد بمال جزيل ولسائر الجماعة ولللكك.

٤١٥ - وبالإسناد أيضاً قال ابن بسام: ودخل صاعد اللغوى يوماً على المنصور

..... فى بقية بدائع البدائه
وعليه ثياب جدد وخف جديد، فمشى على جانب البركة لازدحام الحاضرين فى
الصحن، فزلقت رجله فسقط فى الماء، فضحك المنصور وأخرج، وقد كان البرد يقضى
عليه، فلما نظر إليه أمر له بثياب وأدنى مجلسه، وقال: يا أبا العلاء، قل فى سقطتك،
فأطرق ثم قال:

شيثان كانا فى الزمان عجيبةً ضرط ابن وهب ثم سقطة صاعد
فاستبرد ما أتى به، وكان أبو مروان الجزيرى الكاتب حاضراً، فقال:

سرورى يغرتك المشرقه وديمة راحتك المغدقه
ثنانى نشوان حتى سقطت فى لجة البركة المغرقه
لئن ظل عبدك فيها الغريق فجودك من قبلها أغرقه
فقال: لله درك، قسناك بأهل العراق ففضلتهم، فبمن نقيسك بعد.

٤١٦ - وبالإسناد قال ابن بسام: وحدث أبو بكر محمد بن أحمد بن جعفر بن
عثمان، قال: دخلت يوماً على أبي عامر - قال على بن ظافر: يعنى ابن شهيد - وقد
ابتدأت به علته التى مات بها، فأنس بى، وجرى الحديث إلى أن شكوت إليه تجنى
بعض أصحابى علىّ ونفاره منى، فقال لى: سأسعى فى إصلاح ذات البين، فخرجت
عنه، فلقيت ذلك المتجنى علىّ مع بعض إخوانى وأعزهم علىّ، فتجنبتهما فسأله عن
السبب الموجب فأخبره، فمشى حتى أدركنى وعزم علىّ فى مكالمته، وتعاتبنا عتاباً أرق
من الهوى، وأشهى من الماء على الظما، حتى جئنا دار أبى عامر، فلما رأنا جميعاً
ضحك وقال: من كان هذا الذى تولى إصلاح ما كنا سررنا بفساده؟ قلنا: قد كان ما
كان، ثم أطرق قليلاً وأنشد:

من لا أسمى ولا أبوح به أصلح بينى وبين من أهوى
أرسلت من كان الهوى فدرى كيف يداوى مواقع البلوى
ولى حقوق فى الحب ثابتة لكن إلفى يعدها دعوى

٤١٧ - قال على بن ظافر: وذكر ابن خاقان فى كتاب مطمح الأنفس ما معناه: إن
أبا عامر كان مع جماعة من أصحابه بجامع قرطبة فى ليلة السابع والعشرين، فمرت بهم
امرأة من بنات أجلاء قرطبة قد كملت حسناً وظرفاً، ومعها طفل يتبعها كالظبية تستتبع
خشفاً، وقد حفت بها الجوارى كالبدر حُف بالدرارى، فحين رأت تلك الجماعة

المعروفة بالخلاعة، ورمقوا الظبى بعيون أسود رأّت فريسة، ارتاعت وتحوفت أن يخطف منها تلك الدرّة النفيسة، فاستدنت إليها خشفها، وألزمته عطفها، فارتجل ابن شهيد قائلاً:

وداعية تحت طى القناع	دعاها إلى الله بالخير داع
أتت بابنها تبتغى منزلاً	لوصل التبتل والانقطاع
فجاءت تهادى كمثّل الرءوم	تراعى غزالا بروض اليفاع
أتتنا تبختر فى مشيها	فحلت بواد كثير السباع
وجالت بأكنافه جولة	فحل الربيع بتلك البقاع
وريعت حذاراً على طفلها	فناديت يا هذه لا تراعى
غزالك تفرق منه الليوث	وتهرب منه كماء المصاع
فولت وللمسك من ذيلها	على الأرض خط كخط الشجاع

٤١٨ - أنبأنى الشيخ الفقيه أبو الحسن على بن الفضل المقدسى، عن الفقيه أبى القاسم مخلوف بن على القيروانى، عن أبى عبد الله محمد بن أبى سعيد السرقسطى، عن أبى عبد الله محمد بن أبى نصر الحميدى، قال: أخبرنا أبو الحسن الراشدى، عن أبى عامر بن شهيد، أن عبد الله بن فاكان الشاعر تناول نرجسة، فركبها فى وردة، ثم قال له ولصاعد - قال على بن ظافر: يعنى أبا العلاء صاعداً اللغوى المقدم ذكره - : صفاها، فأفحما ولم يتجه لهما القول، فبينما هم على ذلك، إذ دخل الزهيرى - قال على بن ظافر: يعنى صاحب أبى العلاء صاعد وتلميذه، وكان أديباً شاعراً أمياً لا يقرأ ولا يكتب - فلما استقر به المجلس أخبر بما هم فيه، فجعل يضحك ويقول بغير روية:

ما للأديبين قد أعيتهما	مليحة من ملح الجنه
نرجسة فى وردة ركبت	كمقلة تنظر فى وجنه

٤١٩ - وبهذا الإسناد عن الحميدى قال: أخبرنى الرئيس أبو الحسن عبد الرحمن ابن راشد الراشدى، قال: لما نعت أبا عامر بن شهيد إلى ابن الخياط الشاعر - وقد عرفت ما كان بينهما من المنافسة - بكى وأنشدنى لنفسه بديهة:

لما نعى الناعى أبا عامر	أيقنت أنى لست بالصابر
أودى فتى الظرف وترب الندى	وسيد الأول والآخـر

٤٢٠ - وبهذا الإسناد قال الحميدى: وذكر أبو بكر الروانى أنه شاهد محبوباً الأديب الشاعر النحوى قال بديهةً فى وصف ناعورة:

وذات حنين ما تغيض جفونها من اللجج الخضر الصوافى على
وتبكى فتحى من دموع عيونها لآلى رياض بالأزاهر فى بسط
فمن أحمر قان وأصفر فاقع وأزهر مبيض وأدكن مشمط
كأن ظروف الماء من فوق متنها لآلى جمان قد نظمن على قرط

٤٢١ - أنبأنى ذو النسبتين الحافظ ابن دحية، عن الأستاذ المفيد أبى بكر محمد بن خبر بقراءته عليه، عن الفقيه الحافظ أبى القاسم خلف الشنترينى عرف بابن الأبرش - بقراءته على أبى الحسن على بن بسام، قال: أمر الحاجب المنذر بن يحيى النجيبى صاحب سرقسطة بعرض الجند فى بعض الأيام، وأميرهم مملوك له رومى يقال له: خيار، فى نهاية الجمال، فجعل ينفخ فى القرن ليجتمع أصحابه على عادتهم فى ذلك، فقال ابن هند الدانى فيه ارتجالاً:

أعن بابل أجفان عينيك تنفث ومن قوم موسى أنت للعهد تنكث
أفى الحق أن تحكى إسرافيل نافحاً وأمكث فى رمس الصدود وألبث
عساك خيار الناس تأتى بأية فتنفخ فى ميت الغرام فيبعث

٤٢٢ - قال: وكان بقرطبة غلام وسيم، فمر عليه ابن فرج الجيانى، ومعه صاحب له، فقال صاحبه: إنه لصبيح لولا صفرة فيه، فقال ابن فرج ارتجالاً:

قالوا به صفرة عابت محاسنه فقلت ما ذاك من عيب به نزلا
عيناه تطلب فى آثار من قتلت فلست تلقاه إلا خائفاً وجلا

٤٢٣ - قال: وكان يوماً مع لمة من أهل الأدب فى مجلس أنس، فاحتاج رب المنزل إلى دينار، فوجه من يأتبه به من السوق، فدخل غلام من الصيارف فى نهاية الجمال، فرمى بالدينار إليهم من فيه ماجناً، فقال ابن فرج بديهةً:

أبصرت ديناراً بكف مهفهف يزهى به من كثرة الإعجاب
أومى به من فيه ثم رمى به فكأنه بدر رمى بشهاب

٤٢٤ - وذكر الفرّج بن إبراهيم الكاتب فى سريرة الألباب وذخيرة الكتاب، قال: دخلت يوماً ديوان الإنشاء بمصر، ومتولىه ولى الدولة ابن خيران، فلم أجده فى الديوان،

إلا أنى وجدت الكتاب على رسمهم، والناس على جارى عاداتهم، وإذا سراويله ملقى على طراحة، فجلست أنتظره، فلم أشعر إلا وقد فتح خزانة وخرج، وقدامه غلام صقلبي، كأن الشمس على صفحته، والغصن فى قامته، منكسر الأجفان مطرقها، مورد الوجنة عرقها، وحين وصل الى الطراحة، لبس السراويل وارتجل:

أنا ممن لا يرى للنفد ————— إلا بالصلاح
لا تداوى علة الإنست ————— إلا بالنكاح
فعلم الحاضرون أنه كان يفسق به، فأطبقوا عند الخروج على لعنه.

٤٢٥ - وذكر الفرغ بن إبراهيم الكاتب فى هذا الكتاب، قال: دخلت على الوزير الحسين بن على بن الحسين بن المغربى أيام وزارته لشرف الدولة أبى على الديلمى، وببىدى جزء من شعر شداد بن إبراهيم الخبز أرزى المعروف بالطاهر، فسألنى عنه فأخبرته، فاستنشد فأنشدته:

يا منكراً شغفى به ومكذباً طول اشتياقى
فى أى أحوالى تشك فهن أحوال السيق
أمدامعى أم ضر جسمى أم ضنناى أم احتراقى
كل إذا أنصفتنى حجج عليك بما ألقى
فاستحسن القطعة، وصنع فى الحال:

الله يعلم أننى ألتذ فيكم باشتياقى
وأكاد من أنس التذكر لا أذم يبد الفراق
وأغض طرفى بعدما ملأته غزلان العراق
وأقر من خجل العتا ب إلى مغالطة العناق

٤٢٦ - وأخبرنى ابن المقدسى قال: أخبرنى الشيخ الإمام الحافظ السلفى، قال: سمعت أبا الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد الصيرفى يقول: سمعت القاضى طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبرى يقول: كتبت إلى أبى العلاء المعرى حين وافى بغداد:

وما ذات در لا يحل لحالب تناوله واللحم منها محلل
لمن شاء فى الحالين حياً وميتاً ومن شاء شرب الدر فهو مضلل
إذا بلغت فى السن فاللحم طيب وأكله عند الجميع معقل

وخرفانها للأكل فيها كراهة
وما يجتنى معناه إلا مبرز
فما لحصيف الرأى فيهن مأكلا
عليهم بأسرار القلوب محصل

فأجابنى وأملى على الرسول فى الحال ارتجالاً:

جوابان عن هذا السؤال كلاهما
فمن ظنه كرمًا فليس بكاذب
لحومهما الأعناب والرطب الذى
ولكن ثمار النخل وهى غضيضة
يكلفنا القاضى الجليل مسائلًا
ولو لم أجب عنها لكنت بجهلها
صواب وبعض القائلين مضلل
ومن ظنه بخلاً فليس يجهل
هو الحل والدر الرحيق المسلسل
تعاف وغصن الكرم يبنى ويؤكل
هى النجم قدرًا بل أعز وأطول
جديرًا ولكن من يجيبك يقبل

فأجبتة ثانيًا بقولى:

أثار ضميرى من يعز تظيره
تساوى له سر المعانى وجهرها
ومن قلبه كل العلوم بأسرها
ولما أثار الحب قاد صنيعة
وقربة من كل فهم بكشفه
وأعجب منه نظمه الدر مسرعًا
فيخرج من بحر ويسمو مكانه
فهناؤه الله الكريم بفضلته
من الناس طرًا بل أعز وأفضل
وسائرها باد لديه مفصل
وخاطره فى حدة النار تشعل
أسيرًا بأنواع البيان يكبل
وإيضاحه حتى رآه المغفل
ومرتجالًا من غير ما يتمهل
جلالًا إلى حيث الكواكب تنزل
محاسنه والعمر منها مطول

فأجابنى مرتجالًا وأملاه فى الحال:

ألا أيها القاضى الذى بدعائه
فؤادك معمور من العلم أهل
فإن كنت بين الناس غير ممول
إذا أنت خاصمت الخصوم مجادلًا
كأنك علم الشافعى مخاطبًا
وكيف يرى علم ابن إدريس دارسا
تفضلت حتى ضاق ذرعى تكرمًا
سيوف على أهل الضلال تسلل
وجدك فى كل المسائل مقبل
فأنت من الفهم المصون ممول
فأنت وهم مثل الحمائم أجدل
ومن قلبه تملى فما تتمهل
وأنت بإيضاح الهدى متكفل
فقلت وكفى عن جوابك أجمل

لأنك فى كنه الثريا فصاحة
 فعذرى فى أنى أحببتك واثقاً
 وأخطأت فى إنقاذ رقتك التى
 ولكن عدانى أن أروم احتفاظها
 ومن حقها أن يصبح المسك غامراً
 فمن كان فى أشعاره متمثلاً
 تجملت الدنيا بأنك فوقها
 وأعلى ومن يبغى مكانك أسفل
 بفضلك فالإنسان يسهو ويذهل
 هى المجدلى منها أخير وأول
 رسولك وهو الفاضل المتفضل
 لها وهى فى أعلى المنازل تجعل
 فأنت امرؤ فى العلم والشعر أمثل
 ومثلك حقاً من به يتجمل

٤٢٧ - وبالإسناد المتقدم عن ابن بسام صاحب كتاب الذخيرة قال: ذكر أبو عبد الله الصفار الصقلى، قال: كان بالقيروان غلام وضىء، كان يختلف إلى أبى على حسن ابن رشيقي، فكان يجره من المخالطة، فخرج يوماً يتنزه مع جماعته، فأشيع عنه ما ينكر، وبلغ أبا على، فقال بديهاً:

يا سوء ما جاءت به الحال إن كان ما قالوا كما قالوا
 ما أحذق الناس يصوغ الخنا صيغ من الخاتم خلخال

٤٢٨ - وقد كان أبو الفضل محمد بن عبد الواحد الدارمى يهوى فتىً ببغداد وينكر حبه، والغلام يعرف شدة وجدته به وكلفه، فدمعت عيناه فى الفضل يوماً، فقال الغلام: دمعت شاهد عليك، فارتجى أبو الفضل:

وهبنى قد أنكرت حبك جملةً وهونت من نفسى العريزة سخطها
 فمن أين لى فى الحب جرح شهادة سقامى أملاها ودمعى خطها

٤٢٩ - قال: وكان أبو الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادي الدرامى ليلة مع بعض أصحابه وبين أيديهم شمعة، فأفضى حديثهم إلى وصفها، فأطرق بعضهم ليصنع فيها، فبدره أبو الفضل فقال:

ذهبنا فأذهبنا الهموم بشمعة غنينا بها عن طلعة الشمس والبدر
 أقول وجسمى ذائب مثل جسمها ودمعتها تجرى كما دمعتى تجرى
 كلانا لعمري ذوب نار من الهوى فنارك من حمر ونارى من هجر
 وأنت على ما قد تقاسين من أذى فصدرك فى نار ونارى فى صدرى

قال على بن ظافر: وهذا مثل قول الأعمى التطيلي فى شمعة:

بآية ما تبكى وفى النار صدرها وقد جمدت عيناي والنار فى صدرى
 ٤٣٠ - وبالإسناد المتقدم قال ابن بسام: اصطحب المعتصم بن صمادح يوماً مع
 ندمائه، فأبرز لهم وصيفة مهدوية متصرفة فى أنواع اللعب، وحضر أيضاً هناك لاعب
 مصرى ساحر، فكان لعبه حسناً، فارتجل أبو عبد الله بن الحداد قائلاً:

كذا فلتلح قمراً زاهرا	وتجنى الهوى ناضراً ناظرا
وإن لـيومك ذا رونقاً	منيراً كنور الضحى باهرا
وسيبك صيب ندى مغدق	أقام لنا هامياً هامرا
صباح اصطحب بإسفاره	لحظنا محيا العلا سافرا
وأطلعت فيه نجوم الكئوس	فما زال كوكبها زاهرا
وأسمعتنا لاحقاً فاتناً	وأحضرتنا لاعباً ساحرا
يرفرف فوق رءوس القيان	فننظر ما يذهل الناظرا
ويخطفها ذيل سرباله	فننظر طالعهـا غائرا
فظاهرها ينثنى باطناً	وباطنـها ينثنى ظاهرا
وثناه ثنان لألعابه	دقائق تنثنى الحجا حائرا
وفى سورة الراح من سحره	خواطـر دلهت الخاطرا
إذا ورد اللحظ أثناءها	فما الوهم عن وردها صادرا
ومن حسن دهرهك إبداعه	فما انفك عارضها ماظرا
وسعدك يجتلب المغربات	فيجعل غائبها حاضررا

٤٣١ - وحضر الأديب أحمد بن الشفاق المنعوت بالمنفلت عند القائد ابن درى
 ببيان هو وأبو زيد بن مقانا الأشبوني، فأحضر لهما عنباً أسود مغطى بورق أخضر،
 فارتجل المنفلت:

عنب تطلع من حشى ورق لنا	صبغت غلائل جلده بالإثمد
فكأنه من بينهن كواكب	كسفت فلاحـت فى سماء زبرجد

٤٣٢ - قال: وحضر ابن مرزقان ليلة عند ذى النون بن خلدون وبحضرتـه وصيفة
 تحمل شمعة، فاستحسنها ابن مرزقان، فقال بديهاً:

يا شمعةً تحملها أخرى كأنها شمس علت بدررا

امتحننت إحداهما مهجتى بمثل ما تمتحن الأخرى
٤٣٣ - قال: ودخل الأديب غانم يوماً على باديس بن حيوس صاحب غرناطة،
فوسع له على ضيق فى المجلس، فقال بديهاً:

صير فؤادك للمحبيب منزلةً سم الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضا فى معاشرة فقلما تسع الدنيا بغيضين
وإنما نظم ما روى من أن الخليل بن أحمد دخل عليه بعض أصدقائه وهو على نمرقة
صغيرة، فرحب به وأجلسه فى مكانه، فقال له الرجل: إنها لا تسعنا، فقال له الخليل:
ما تضايق سم الخياط بمتحابين، ولا اتسعت الدنيا لمتباغضين.

٤٣٤ - وخرج الأديب أبو الحسن على بن حصن الإشبيلية إلى وادى قرطبة فى
نزهة، فتذكر إشبيلية، فقال بديهاً:

ذكرتك يا حمص ذكرى هوى أمات الحسود وتعنيته
كأنك والشمس عند الغروب عروس من الحسن منحوته
غدا النهر عقدك والطود تما جك والشمس أعلاه ياقوته

٤٣٥ - قال على بن ظافر: وذكر صاحب قلائد العقيان ما هذا معناه: أن المستعين
بالله أحمد بن المؤتمن بن هود الجذامى صاحب سرقسطة والثغور ركب نهر سرقسطة
يوماً لتفقد بعض معاقله المنتظمة بجيد ساحله، وهو نهر رق ماؤه وراق، وأزرى على
نيل مصر ودجلة والعراق، قد اكتفتته البساتين من جانبه، وألقت ظلها عليه، فما تكاد
عين الشمس أن تنظر إليه، هذا على اتساع عرضه، وبعد سطح الماء من أرضه، وقد
توسط زورقه زوارق حاشيته توسط البدر للهالة، وأحاطت به إحاطة الطفاوة للغزاة،
وقد أعدوا من مكايد الصيد ما استخرج ذخائر الماء، وأخاف حتى حوت السماء،
وأهله الهالات طالعة من الموج فى سحاب، وقانصة من بنات الماء كل طائفة كالشهاب،
فلا ترى إلا صيوداً كصيد الصوارم، وقدود اللهازم، ومعاصم الأبيكار النواعم، فقال
الوزير أبو الفضل بن حسداى، والطرب قد استهواه، وبديع ذلك المرأى استرق هواه:

لله يوم أنيق واضح الغرر مفضض مذهب الأصال والبكر
كأنما الدهر لما ساء أعتبنا فيه بعبنى وأبدي صفح معتذر
نسير فى زورق حف السفين به من جانبيه بمنظوم ومنتشر

..... فى بقية بدائع البدائه

مد الشراع به نشرأ على ملك
هو الإمام الهمام المستعين حوى
تحوى السفينة منه آيةً عجبا
تثار من قعره النينان مصعدةً
وللندامى به عب ومرتشف
والشرب فى ود مولى خلقه زهر
بذ الأوائل فى أيامه الآخر
علياء مؤتمن فى هدى مقتدر
بجر تجمع حتى صار فى نهر
صيداً كما ظفر الغواص بالدرر
كالراح يعذب فى ورد وفى صدر
يذكو وبهجته أبهى من القمر

قال على بن ظافر: قوله: «نينان» غير معروف، فإن نوناً لم يجى جمعها نينان، وقد كان سيويه لحن بشار بن برد فى قوله وصف السفينة:

تلاعب نينان البحور وربما رأيت نفوس القوم من جريها تجرى
فغيره بشار بـ«تيار البحور»، وقد قال أبو الطيب يصف خيلاً:

فهن مع السيدان فى البحر غسل وهن مع النينان فى البحر عوم
٤٣٦ - وجلس المعتمد بن عباد يوماً، فأشدد بعض جلسائه قول أبى الطيب:

إذا ظفرت منك العيون بنظرة أتاب بها معى المطى ورازامه
فاستبدعه المعتمد واستحسنه، وجعله أبدع ما للمتنبى وأحسنه، فارتجل عبد الجليل
ابن وهبون المرسى:

لئن جاد شعرا بين الحسين فإنه يجود العطايا واللها تفتح اللها
تنبأ عجبا بالقريض ولو درى بأنك تروى شعره لتألها
فاستحسن المعتمد وأمر له بمائتى دينار.

٤٣٧ - وجلس يوماً والبزاة تعرض عليه، فاستحث الشعراء فى وصفها، فقال عبد
الجليل بديهاً:

للصيد قبلك سنة مائورة لكننها بك أبدع الأشياء
تمضى البزاة وكلما أمزيتها عارضها بخواطير الشعراء

٤٣٨ - قال على بن ظافر: ذكر صاحب قلائد العقيان ما معناه: خرج ابن وهبون يوماً لنظر هلال شوال، وأبو بكر بن القبطرنة الوزير يسايره، وهو يومئذ غلام يُخجل البدر، ويزرى بالغصن النضر، وصفحته لم يسطرها العذار بأنفاسه، ووردة خده لم

يسترها الشعر بأسه، فارتجل عبد الجليل:

يا هلال استتر بوجهك عنى إن مولاك آخذ بشمال
 هبك تحكى سنه خذا بجد قم فجتنى لقمه بمثال
 ٤٣٩ - وبالإسناد المقدم قال ابن بسام: أخبرنى الحكيم النديم المطرب الإشبيلي،
 قال: حضرت مجلس الرشيد بن المعتمد بن عباد، وعنده الوزير أبو بكر بن عمار، فلما
 دارت الكئوس، وتمكن الأنس، وغنيت أصواتاً ذهب الطرب بابن عمار كل مذهب،
 فارتجل يخاطب الرشيد:

ما ضر أن قيل إسحاق وموصله ها أنت وذى حمص وإسحاق
 أنت الرشيد فدع من قد سمعت به وإن تشابه أخلاق وأعراق
 لله درك داركهها مشعشة واحفر فساقك ما قامت به ساق
 ٤٤٠ - قال: وسائر ابن عمار فى بعض أسفاره، وكان معه غلامان من بنى جهور،
 أحدهما أشقر العذار، والآخر أخضره، فجعل يميل بجديثه إلى المخضر العذار، فقال
 ارتجالاً:

تعلقته جهورى السنجار وحلو اللمى جوهرى الثنايا
 من النفر البيض جرد الزمان رقاق الحواشى كرام السجايا
 ولا غرو أن تغرب الشارقات وتبقى محاسنها بالعشايا
 ولا وصل إلا جمان الحديث تساقطه من ظهور المطايا
 شنت المثلث للزعفران وملت إلى خضرة فى التفايا

قال على بن ظافر: ومعنى هذا البيت أنه أبغض المثلث لدخول الزعفران فيه، لشبهه
 بعذار الأشقر منهما، وأحب خضرة التفايا، وهى لون من طعام يعمل بالكزبرة؛ لشبهها
 بعذار الأخضر منهما.

٤٤١ - قال على بن ظافر: وذكر صاحب قلائد العقيان ما معناه أن ابن عمار تنزه
 بالدمشق بقرطبة، وهو قصر شيده خلفاء بنى أمية وزخرفوه، ودفعوا صرف الدهر عنه
 وصرفوه، وأجروه على إرادتهم وصرفوه، وذهبوا سقفه وفضضوها، ورخموا أرضه
 وروضوها، فبات به والسعد يلحظه بطرفه، والروض يجيبه بعرفه، فلما استنفد كافور
 الصبح مسك الغسق، ورضع أبنوس الظلام نضار الشفق، قال مرتجالاً:

كل قصر غير الدمشق يذم فيه طاب الحيا وفاح المشم
منظر رائق وماء نمير وثرى عاطر وقصر أشم
بت فيه والفجر والليل عندى عنبر أشهب ومسك أحم

٤٤٢ - وقال على بن ظافر: وأخبرنى الفقيه أبو العرب إسماعيل بن معوشة الكنانى السبتي، قال: أخبرنى شيخ من أهل إشبيلية كان قد أدرك دولة آل عباد، وكان عليه من آثار كبر السن ودلائل التعمير ما يشهد له بالصدق، وينطق بأن قوله الحق. قال: كنت فى صباى حسن الصورة، بديع الحلقة، لا تلمحنى عين أحد إلا ملكت قلبه، وخلصت خلبه، وسلبت لبه، وأطلت كربه، فبينما أنا واقف على باب دارنا، إذا الوزير أبى بكر بن عمار قد أقبل فى موكب زجل على فرس كالصخرة الصماء قُدت من قنة الجبل، فحين حاذانى ورأنى، أشرب إلى ينظرنى، وبهت يتأملنى، ثم دفع بمخصرة كانت فى يده فى صدرى، وأنشد:

كف هذا النهه عنى فبقلبى منه جرح
هو فى صدرك نهه وهو فى صدرى رمح

٤٤٣ - قال على بن ظافر: وذكر الفتح بن خاقان فى كتاب القلائد ما معناه، قال: أخبرنى ذو الوزارتين أبو المطرف بن عبد العزيز أنه حضر عند المؤمن بن هود فى يوم أجرى فيه الجو أشقر برقه، ورمى ببندق ودقه، وحملت الرياح فيه أوقار السحاب على أعناقها، وتميلت قامات الغصون فى الحلل الخضر من أوراقها، والأزهار قد تفتحت عيونها، والكمائم قد ظهر مكنونها، والأشجار قد انصقلت بمداوس القطر، ونشرت ما يفوق ألوان البز، وبثت ما يعلو أرواح العطر، والراح قد أشرقت نجومها فى بروج الراح، وحاكت شمسها شمس الأفق فتلفعت بغيوم الأقداح، ومديرها قد ذاب ظرفاً، فكاد يسيل من إهابه، وأخجل خده حسناً، فتكلل يعرق حبابه، إذا بفتى رومى من فتيان المؤمن أقبل متدرعاً، كالبدر اجتاب سحاباً، والخمر اكتست حباباً، والطاووس انقلب حباباً، فهو ملك حسناً، إلا أنه جسد، وغزال ليناً إلا أنه فى هيئة أسد، وقد جاء يريد استشارة المؤمن فى الخروج إلى موضع كان عول فيه عليه، وأمره أن يتوجه إليه.

فحين وصل إلى حضرته لمح ابن عمار والسكر قد استحوذ على لبه، وانبت سراياه فى نواحي قلبه، فأشار إليه وقربه، واستبدع ذلك اللباس واستغربه، وجد فى أن يستخرج الدرّة من ماء ذلك الدلاص، وأن يجلى عنه سهكه كما يجلى عنه الخبث عن

الخلاص، وأن يوفر على ذلك الوفر نعمة جسمه، ويكون هو الساقى على عادته القديمة ورسمه، فأمره المؤتمن بقبول أمره وامثاله، واحتذاء مثاله، فحين ظهرت تلك الشمس من حجبتها، ورميت شياطين النفوس من كمت المدام بشهبتها، ارتجى ابن عمار يقول:

وهويته يستقى المدام كأنه قمر يدور بكوكب فى مجلس
متناوح الحركات يبدى عطفه كالغصن هزته الصبا يتنفس
يستقى بكأس فى أنامل سوسن ويدير أخرى من محاجر نرجس
أيا حامل السيف الطويل نجاده ومصرف الفرس القصير المحبس
إياك بادرة الوغى من فارس خشن القناع على عذار أملس
جهم وإن كشف القناع فإنما كشف الظلام عن النهار المشمس
يطغى ويلعب فى دلال عذاره كالمهر يلعب فى اللجام المخرس
سلم فقد قصف القنا غصن النقا وسطا بليث الغاب ظبى المكنس
عنا بكأسك قد كفتنا مقلة حوراء قائمة بسكر المجلس

وصنع فيه أيضاً:

وأحور من ظباء الروم عاط بسالفتيه من دمعى فريد
قسا قلباً وشن عليه درعاً فباطنه وظاهره حديد
بكيه وقد دنا ونأى رضاه وقد بيكى من الطرب الجليد
وإن فتى تملكه برق وأحرز حسنه لفتى سعيد

٤٤٤ - وبالإسناد المتقدم ذكر ابن بسام أن أبا العرب الصقلى حضر مجلس المعتمد

ابن عباد يوماً وقد حمل إليه حمول وافرة من قراريط الفضة، فأمر له بكيسين منها، وكان بين يديه تماثيل عنبر، من جملةتها جمل مرصع بالذهب واللاكى، فقال له أبو العرب معرضاً: ما يحمل هذين الكيسين إلا جمل، فتبسم المعتمد وأمر له به، فقال أبو العرب بديهاً:

أجديتنى جملاً جوناً شفعت به حملاً من الفضة البيضاء لو حملاً
يनाخ جودك فى أعطان مكرمة لا قد تعرف من منع ولا عقلاً
فاعجب بشأنى فشأنى كله عجب رفهتنى فحملت الحمل والجملاً

فسارت بهذا الركائب، وتهادته المشارق والمغرب.

٤٤٥ - قال ابن بسام: وكان فى قصر المعتمد فيل من فضة على شاطئ بركة يقذف الماء، وهو الذى يقول فيه عبد الجليل بن وهبون المرسى من بعض قصيدة:

ويفرغ فيه مثل النصل بدع من الأفيال لا يشكو ملالا
رعى رطب اللجين فجاء صلدا تراه قلمما يخشى هزالا
فجلس المعتمد يوماً على تلك البركة، والماء يجرى من ذلك الفيل، وقد أوقدت شمعتان من جانبيه، والوزير أبو بكر بن الملح عنده، فصنع الوزير فيهما عدة مقاطيع بديهاً، منها:

ومشعلين من الأضواء قد قرنا بالماء والماء بالدولاب منزوف
لاحا لعينى كالنجمين بينهما خط المجرة ممدود ومعطوف
وقال أيضاً:

كأنما النار فوق الشمعتين سنًا والماء من نافذ الأنبوب منسكب
غاماة تحت جناح الليل هامة فى جانبها حفاف البرق يضطرب
وقال أيضاً:

وأنبوب ماء بين نارين ضمنا هوى لكئوس الراح تحت الغياهب
كأن اندفاع الماء بالماء حية يحركها فى الماء لمع الحباحب
وقال أيضاً:

كأن سراجى شربهم فى التظائها وأنبوب ماء الفيل فى سيلانه
كريم تولى كبره من كليهما لئيمان فى إنفاقه يعدلانه

٤٤٦ - قال على بن ظافر: خرج المعتصم بن صمادح صاحب المرية يوماً إلى بعض منزهاته، فحل بروضه قد سفرت عن وجهها البهيج، وتنفتت من مسكها الأريج، وماست معاطف أخصانها، وتكللت بلألئ الطل أجياد قضبانها، فتشوق إلى الوزير أبى طالب بن غانم أحد وزراء دولته، وسيوف صولته، يكتب إليه بديهاً فى وريقة كرنب يعود من شجرة:

أقبل أباطالب إلينا واسقط سقوط السندى علينا
فنحن عقد بغير وسطى ما لم تكن حاضرراً لدينا

٤٤٧ - وجلس يوماً وبين يديه ساقية قد أخذت ببردتها حر الأوار، والتوى ماؤها

انظر إلى الماء كيف انحط فى صبيه كأنه أرقش قد جد فى هربه
٤٤٨ - وقال على بن ظافر: وذكر الفتح ما معناه قال: خرج الوزراء بنو القبطرنة
إلى المنية المسماة بالبديع، وهو روض قد اخضرت مسارح نباته، واخضلت مسارى
هباته، ودمعت بماء الطل عيون أزهاره، وذاب على زبرجده بلور أنهاره، وتجمعت فيه
الحاسن المتفرقة، وأضحت مقل الحوادث عنه مطرقة، فخيول النسيم تركض فى ميادينه
فلا تكبو، ونصول السواقى تصول لحسم أدواء الشجر فلا تنبو، والزروع قد ثقت
وجه الثرى، وحجبت الأرض عن العيون فلا تبصر ولا ترى.

وكان المتوكل ابن الأفتس يعده غاية الأدب، ويعده منبهة للطرب، ومدفعة للكرب،
فبانوا ليلتهم يديرون لمع لهب، ينمون فيه الخلود، ويحتسون ذوب ذهب، لا يصهر به ما
فى بطونهم والجلود، حتى تركتهم ابنة الخاوية، كأنهم أعجاز نخل خاوية، فلما هزم
رومى الصباح زنجى الظلام، ونادى الديك: حى على المدام، انتبه كبيرهم أبو محمد
مستعجلاً، وأنشد مرتجالاً:

يا شقيقى واف الصباح بوجه ستر الليل نوره وبهاؤه
فانتبه واغتئم مسرة يوم ليس يدرى بما يجىء مساؤه
فانتبه أخوه أبو بكر لصوته، وتخوف لذهاب ذلك الوقت وفوته، وانتبه أخوهما أبو
الحسن وهو يرتجل:

يا أخى قم تر النسيم عليلاً باكر الراح والمدام شمولاً
لا تنم واغتئم مسرة يوم إن تحت التراب نوماً طويلاً
فانتبه أخوه لكلامه، رافضاً لذة منامه للذة قيامه، وقال مرتجالاً:

يا صاحبي ذرا لومى ومعتبى وبادرا قهوة من خير ما ذخرا
وبادرا غفلة الأيام واغتئنا فاليوم خمر وتبدي فى غد خبرا
٤٤٩ - قال على بن ظافر: وركب الأستاذ أبو محمد بن صارة مع أصحاب له فى
نهر إشيلية، فى عشية سال أصيلها على لجين الماء عقباناً، وطارت زوارقها فى سماء
الماء عقباناً، وأبدى نسيمها من الأمواج والدارات سرراً وأعكانا، فى زورق يجول
جولان الطرف، ويسود اسوداد الطرف، فقال بديهاً:

تأمل حالنا والجو طلق محياه وقد طفل المساء
وقد جالت بنا عذراء حبلى تجاذب مرطها ريح رخاء
بنهر كالسجنجل كوثرى تعبس وجهها فيه السماء
واتفق أن وقف أبو إسحاق بن خفاجة على القطعة، فاستظرفها واستطابها، فقال
يعارضها على وزنها ورويها وطريقها، فأنشد:

ألا يا حبذا ضحك الحميا بجانبها وقد عبس المساء
وأدهم من جياذ الماء نهد تنسازع حبله ريح رخاء
إذا بدت الكواكب فيه غرقى رأيت الأرض تحسدها السماء

٤٥٠ - وذكر ابن خفاجة فى ديوان شعره، وقد أنبأنى به ذو النسبتين الحافظ ابن
الخطاب بن دحية إجازة، قال: صاحبت فى دهرى من الغرب سنة ثلاث وثمانين أبا
محمد عبد الجليل بن وهبون شاعر المعتمد، وكان أبو حفص بن رشيق يومئذ قد تمنع
ببعض حصون مرسية، وشرع فى الشقاق، وقطع السبيل، وإخافة الطريق، ولما حاذينا
قلعته وقسد احتدمت جمرة الهجير، ومل الراكب رسيمه وذميله، فأخذ كل منا يرتاد
مقيله، اتفقنا على ألا نطعم طعاماً ولا نذوق مناماً حتى نقول فى صورة تلك الحال
وذلك الترحال ما حضر، وشاء الله أن أجبل ابن وهبون فاعتذر، فقلت أريض نار
نزوته، وأعرض بعظيم لحيته:

ألا قل للمريض القلب مهلاً فإن السيف قد ضمن الشفاء
ولم أر كالفراق شكاة حر ولا كدم الوريد له دواء
وقد دحى النجيع هناك أرضاً وقد سمك العجاج به سماء
وديس به المخطاطا بطن واد قد اعشب شعر لحيته ضراء

٤٥١ - وقال ابن خفاجة: وحضرت يوماً مع أصحاب لى ومعهم صبى منهم فى
نفسه، واتفق أنهم تباروا فى تفضيل الرمان على العنب، فانبرى ذلك الصبى، فأفرط
فى تفضيل العنب، فقلت بديهاً أعبت به:

صلنى لك الخير برمانة لم تنتقل عن كرم العهد
لا عنباً أم تص عنقوده ثديا كأنى بعد فى المههد
وهل ترى بينهما نسبة من عدل الخصية بالنهد

فخجل خجلاً شديداً وانصرف.

٤٥٢ - قال: وخرجت يوماً بشاطبة إلى باب السمارين ابتغاء الفرجة على خرب الماء بتلك الساقية، وذلك سنة ثمانين وأربعمائة، وإذا بالفقيه أبى عمران بن أبى تليد رحمه الله قد سبقنى إلى ذلك، فألفيته جالساً على مصطبة دكان كانت هناك مبنية لهذا الشأن، فسلمت عليه، وجلست إليه متناساً به، فجرى أثناء ما تناشدها ذكر قول ابن رشيقي:

يا من يمر ولا تمر	به القلوب من الحرق
بعمامة من خده	أو خده منها استرق
فكأنه وكأنه	قمر تعمم بالشفق
فإذا بدا وإذا انشى	وإذا رنا وإذا نطق
شغل الخواطر والجوا	رح والمسامع والحدق

فقلت - وقد أعجبت بها جداً، وأثنى عليها كثيراً - : أحسن ما فى القطمة سياقة الأعداد والاستتزال، لكنه قد استرسل فلم يقابل بين أطراف البيت الأخير والبيت الذى قبله، فينزل بإزاء كل واحد منا ما يلائمه، وهل يحسن أن ينزل بإزاء قوله: «وإذا نطق» قوله: «شغل الحدق» وكأنه نازعنى القول فى أن هذا غاية الجهل، فقلت بديهاً:

ومهفف طاوى الحشى	خنت المعاطف والنظر
ملاً العيون بصورة	تليت محاسنها سور
فإذا رنا وإذا مشى	وإذا شدا وإذا سافر
فصح الغزالة والنعا	مة والحمامة والقمر

فجن بها. قال على بن ظافر: والقطعة الأولى ليست لابن رشيقي، بل هى لأبى الحسين بن على بن بشر الكاتب أحد شعراء اليتيمة.

٤٥٣ - وبالإسناد المتقدم ذكر ابن بسام أن أبا عبد الله بن أبى الخصال وقف ببعض القضاة، واستأذن عليه فحجبه، فكتب إليه بديهاً:

جئناك للحاجة الممتول صاحبها	وأنت تنعم والإخوان فى بوس
وقد وقفنا طويلاً عند بابكم	ثم افترقنا على رأى ابن عبدوس

أشار بهذا القول إلى قول الوزير أبى عامر بن عبدوس:

لنا قاض له خلق أقل ذميمة النزق

إذا جئناه يحجبنا فنلعبه ونفترق

٤٥٤ - قال ابن بسام: كان أبو عبد الله ابن عائشة البلنسى مع ابن خفاجة فى جماعة مع أهل الأدب تحت دوحة خوخ منورة، فهبت ريح أسقطت عليهم بعض زهر، فقال ابن عائشة ارتجالاً:

ودوحة قد علت سماء تطلع أزهارها نجوما
هفا نسيم الصبا عليها فخلتها أرسلت رجوما
كأنما الجوار لما بدت فأغرى بها النسيما

٤٥٥ - وأخبرنى أبو عبد الله محمد القرمونى المقدم ذكره بدمشق، قال: كان بين السميسر الشاعر وبين بعض رؤساء المرية شىء لمدح مدحه به، فلم يجزه عليه، فصنع ذلك المدوح دعوة للمعتصم بالله أبى يحيى بن صمادح، واحتفل فيها بما يحتفل مثله فى دعوة السلطان مثل المعتصم، فصبر السميسر إلى أن ركب السلطان متوجهاً إلى الدعوة، فوقف له فى الطريق، فلما حاذاه رفع صوته قائلاً:

يا أيها الملك الميمون طائره ومن لذى مآتم فى وجهه عرس
لا تقربن طعاما عند غيركم إن الأسود على المأكول تفترس
فقال المعتصم: صدق والله، ورجع من الطريق، وفسد على الرجل كل ما عمله.

٤٥٦ - قال على بن ظافر: أذكرتنى هذه الحكاية حكاية كنت نسيته، وقد تنبعت لها الآن، كان عباد بن الحرير قد مدح رجلاً من كبار أصفهان من أرباب الضياع والأملاك والتبع الكثير، كنت أعرف اسمه ونسبته، فمطله بالجائزة، ثم أجازته بما لم يرضه، فرده عليه، وبعد ذلك بحين عمل الرجل دعوة عظيمة غرم عليها ألوف الدنانير لأبى دلف القاسم بن عيسى العجلى، على أن يجيء إليه من الكرج، فلما استحق المغرم خرج عباد ليلاً، ووقف بين الكرج وأصفهان، ووصل أبو دلف، فلما وقعت عين عباد عليه وهو يساير بعض خواصه، أوماً إلى ذلك المسير له، وأنشأ بأعلى صوته:

قل له يا فديته قول عباد ذا سمج
جئت فى ألف فارس لغداء من الكرج
ما على النفس بعد ذا فى الدنئات من حرج

فقال أبو دلف - وكان أخوف الناس من شاعر - : صدق والله، أجيء من الكرج

إلى أصفهان حتى أتغدى بها! والله ما على هذا مزيد من ذناء النفس. ثم رجع من طريقه، وفسد على الرجل كل ما غرمه، وعرف من أين أتى، وتخوف أن يعود عليه عباد بأشد منها، فسير إليه جائزة سنوية مع جماعة، فلم يقبل الجائزة، ثم أنشد بديهاً فقال:

وهبت يا قوم لكم عرضه

فقالوا: جزاك الله خيراً، فقال:

كرامةً للشعر لا للفتى

لأنه أحرص من ذرة على الذى تجمعه فى الشتاء

٤٥٧ - قال على بن ظافر: وذكر أبو الصلت فى رسالته ما معناه أنه عزم هو ورفقاؤه على الاصطباح، فقصدوا بركة الحبش فى وقت ولاية الغبش، وحلوا منها روضاً بسم زهره، ونسم عطره، فأداروها كئوساً تطلع من المدام شموساً، وعابنوها نجوماً تكون لشياطين الهموم رجوماً، فطرب حتى أظهر الطرب نشاطه، وأبرز ابتهاجه وانبساطه، فقال:

الله يومى ببركة الحبش	والجو بين الضياء والغبش
والنيل تحت الرياح مضطرب	كصارم فى يمين مرتعش
ونحن فى روضة مفوفة	دبج بالنور عطفها ووشى
قد نسجتها يد الغمام لنا	فنحن من نسجها على فرش
فعاطنى الراح إن تاركها	من سورة الهم غير منتعش
وأسقنى بالكبار مترعة	فهن أروى لشدة العطش
فأثقل الناس كلهم رجل	دعاه داعى الهوى فلم يطش

٤٥٨ - وأخبرنى الفقيه أبو الحسن بن المفضل القدسى، عن الفقيه الشريف أبى محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن يحيى العثمانى الديباجى، عن أبى إسحاق إبراهيم بن المنفق اللخمى السبى، عن أبى الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت: كنت مع الحسن بن على بن تميم بن معد بن باديس بالمهدية فى الميدان، وقد رمى بالنشاب، فصنعت بديهاً:

يا ملكاً قد خلقت كفه	لم تدر إلا الجود والباسا
إن النجوم الزهر مع بعدها	قد حسدت فى قربك الناسا

٢٦٠ فى بقية بدائع البدائه

وودت الأفلاك لو أنها تحولت تحتك أفراسا
كما تمنى البدر لو أنه أضحى لنشابك برجاسا

٤٥٩ - أخبرنى الشيخ الأديب أبو الحسن على بن خروف القيسى القرطبى رحمه الله، قال: صنع الوزير أبو جعفر أحمد وزير الرئيس أبى إسحاق بن همشك صهر الأمير أبى عبد الله محمد بن مروان، فى غلام أسود بيده قضيب نور بديهاً:

وزنجى أتى بقضيب نور وقد زفت لنا بنت الكروم
فقال فتى من الفتيان صفه فقلت الليل أقبل بالنجوم

٤٦٠ - وأخبرنى أن الأستاذ ابن الطراوة حضر مجلس شراب، فعجز بعض الندماء عن الشرب كما يشرب الجماعة، ويسألوه فى شرب نصيبه من بعض الأدوار، ففعل وقال بديهاً:

يشربها الشيخ وأمثاله وكل من تمد أفعاله
والبكر إن لم يستطع صولة تلقى على النازل أنقاله

٤٦١ - أنبأنى الشيخان تاج الدين بن اليمى الكندى، وقاضى القضاة جمال الدين أبو القاسم بن الحرسانى إجازة، عن الحافظ أبى القاسم بن عساكر، قال: وقد ذكر إبراهيم بن سعيد الإسكندرى المعروف بالسديد، وذكره لنا أبو عبد الله بن المحلى فىمن لقيه من أهل الأدب، قال: كان صاعد قد عمل شخص حديد ينفخ النار ساعات، فأراد السديد اختباره كما يجب، فأطفأ النار، فقال صاعد بديهاً:

نار تيممها السديد فردها برداً وكانت قبل وهى جحيم
فكأنما المفتاح آية ربه وكان إبراهيم إبراهيم

٤٦٢ - وأنبأنى جميعاً عن الشيخ الحافظ أبى القاسم قال: أنشدنا أبو بكر عبد الله ابن منصور، قال: أنشدنا أبو الحسن محمد بن على بن الصفراء الواسطى لنفسه ارتجالاً، وقد دخل عزاء لصبى وهو فى عصر المائة وبه ارتعاش، فتغامز عليه الحاضرون، فقال:

إذا دخل الشيخ بين الشباب عزاء وقد مات طفل صغير
رأيت اعتراضاً على الله إذ توفى الصغير وعاش الكبير
فقل لابن شهر وقل لابن ألف وما بين ذلك: هذا المصير

٤٦٣ - وبهذا الإسناد قال الحافظ: أخبرنى أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن

أحمد الغساني، قال: سمعت أبي ينشد لنفسه بديهاً في صفة نهر ثوراء بجحزة أبي عبد الله محمد بن الحياط الشاعر:

دمشق دار رعاها الله من بلد	ونهر ثوراء سقاه الله من واد
كأنه ونسيم الريح خمشه	نقش المبارد في سلساله الهادي
مزجت بالراح منه الراح فاكتسبت	لوناً وطعماً غريباً غير معتاد
في روضة من رياض الخلد باكرها	صوب الغمام بإبراق وإرعاد
ظلت فيها رخي البال مع رشاء	مهفهف كقضيبي البان مياذ

٤٦٤ - قالوا: وأخبرنا الحافظ أبو القاسم بن عساكر الدمشقي قال: أنشدني أبو البركات الخضر بن هبة الله بن أبي الهمام لنفسه، وكتب لي بخطه مما أنشده، وقد حضر بين يدي أمير المؤمنين الراشد بالله بن المسترشد على البديهة:

ولما شأوت الحاسدين إلى مدى	رفيع يزل العصم دون مرامه
ورفعت الأستار لي دون ماجد	شفا غلتي من بشره وسلامه
سطوت على صرف الزمان بجوده	وصلت على كيد العدا بانتقامه

٤٦٥ - وأخبرني الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي القرموني قال: لما أفرط أبو يحيى البكاء في هجاء أهل فاس، تعصبوا عليه، وساعدهم واليهم مظفر الخصى من قبل أمير المسلمين علي بن يوسف، والقائد عبد الله بن خيار الجياني، وكان يتولى أموراً سلطانية بها، فقدموا رجلاً ادعى عليه بدين، وشهد عليه به رجل فقيه يعرف بالزناتي، ورجل يكنى بأبي الحسين من مشايخ البلد، فأثبت الحق عليه، وأمر به إلى السجن، فرفع إليه، وسيق سوقاً عنيفاً، فلما وصل بابيه طلب ورقة من كاتب وكتب فيها، وأنفذها إلى مظفر مع العون الذي أوصله إلى السجن، فكان ما كتب:

ارشوا الزناتي الفقيه بيضة	يشهد بأن مظفراً ذا بيضتين
واهدوا إليه دجاجةً يحلف لكم	ما نال عبد الله عرس أبي الحسين

٤٦٦ - وأخبرني الشيخان تاج الدين العلامة أبو اليمن الكندي، والشيخ جمال الدين أبو القاسم بن الحرستاني إجازة، عن الشيخ الحافظ أبي القاسم بن عساكر قراءة عليه، قال: بلغني أن علقمة بن عبد الرازق العليمي لما قصد بدرأ الجمالي بمصر، رأى على بابيه أشراف الناس وكبراءهم وشعراءهم، فسألهم عن حالهم، فأخبرهم بقدمه

قاصداً له، فكل آيسه من لقاته، فيناهم كذلك إذ خرج بدر يريد الصيد، فلما رآه مقبلاً
علا نشزاً من الأرض، ثم جعل فى عمامته ريشة نعام ليشهر بها نفسه، فلما قرب إليه
أوماً برقعة كانت معه وأنشأ يقول:

نحن التجار وهذه أعلاقنا	درر وجود يمينك المبتاع
قلب وقتشها بسمعك إنما	هى جوهر تختاره الأسماع
كسدت علينا بالشام وكلما	قل النفاق تعطل الصناع
فأتاك يحملها إليك تجارها	ومطيتها الآمال والأطماع
حتى أناخوها ببابك والرجا	من دونها السمسار والبيع
فوهبت ما لم يعطه فى دهره	هرم ولا كعب ولا القعقاع
وسبقت هذا الناس فى طلب العلا	فالناس بعدك كلهم أتباع
يا بدر أقسم لو بك اعتصم الورى	ولجوا إليك جميعهم ما ضاعوا

قال: وكان على يد بدر باز، فدفعه إلى البازدار، فضرب على يده وانفرد به عن
الجيش، وجعل يستعيده الأبيات وهو ينشدها، إلى أن استقر فى مجلسه، ثم التفت إلى
جماعة غلمانة وخاصته وأصحابه، وقال: من أحبنى فليخلع على هذا الشاعر. قال
علقمة: فوالله لقد خرجت من عنده ومعى سبعون بغلاً تحمل الخلع، وأمر لى بعشرة
آلاف درهم، فخرجت فقلت لمن ببابه: الحقونى يا متخلفين، فالحقونى بأجمعهم، فما
فيهم إلا من خلعت عليه ووهبت له من جائزتى.

٤٦٧ - وذكر القاضى أبو عبد الله محمد بن على بن الحسين الأمدى النائب كان
فى الحكم بالإسكندرية، قال: دخلت على الأمير السعيد بن مظفر فى أيام ولايته
بالشعر، فوجدته يقطر دهنًا على خنصره، فسألته عن سببه، فذكر ضيق خاتمته عليه، وأنه
ورم بسببه، فقلت له: الرأى قطع حلقتة قبل أن يتفاقم الأمر فيه، فقال: اختر من يصلح
لذلك، فاستدعيت أبا منصور ظافر بن القاسم الحداد، فقطع الحلقة وأنشد بديهاً:

قصر فى أوصافك العالم وأكثر النائر والناظم
من يكن البحر له راحةً يضيق عن خنصره الخاتم

فاستحسنه الأمير ووهبه الحلقة، وكانت من ذهب. وكان بين يدى الأمير غزال
متأنس قد ربض، وجعل رأسه فى حجره، فقال ظافر:

٢٦٣ فى بقية بدائع البدائه

عجبت لجرأة هذا الغزال وأمر تخطى له واعتمد
وأعجب به إذ غدا جائماً وكيف اطمأن وأنت الأسد
فزاد الأمير والحاضرون فى الاستحسان. وتأمل ظافر شباكاً على باب المجلس تمنع
الطير من دخولها، فقال:

رأيت ببابك هذا المنيف شباكاً فداخلى بعض شك
وفكرت فيما رأى خاطرى فقلت البحار مكان الشبك
٤٦٨ - وأنبأنى العماد أبو حامد قال: وفد أبو الصقر الواسطى على نظام الملك
رحمه الله، فحجب عنه، فكتب إليه بديهاً:

لكن خلف الباب منها مالكا لله درك إن دارك جـ.....
قد كان يروى عن جهنم ذلكا هذا نظام الملك ضد المقتضى
لاقيت أنواع السكال هنالكا أنعم بتيسير الحجاب فإننى
وأنا غنى راغب عن مالكا ما لى أصادف فى رحابك جفوةً

قال: فلما أذن له قال له: إذا كنت غنياً عن مالنا فانكف عنا، فقال: كلا، أنت
شافعى المذهب، وقد جئتك لمذهبك لا لذهبك.

٤٦٩ - وأنبأنى العماد أيضاً قال: ذكر عمارة فى كتابه فى أشعار أهل اليمن قال:
وهب الداعى محمد بن سبالا بن سلمان - رجل من قومه - ألف دينار، والقاضى يحيى
ابن أحمد بن يحيى حاضر - وبنو يحيى بيت كبير بصنعاء - فارتجل القاضى لوقته:

لا فخر إلا إذا أقبلت مستلماً كف المكين ظهير الدين مولانا
هى التى تهب الآلاف وافيةً إن كنت غراً فسل عنها ابن سلمانا
فقال الداعى: أنا أبو عبد الله، أما ابن سلمان فهو ابن عمى، وإنما المسئول عنها
أنت. ثم أمر له بألف دينار، فقبضها فى الحال.

٤٧٠ - وذكر عبد الرحمن بن نصر الدمشقى فى كتابه المسمى بـ«التحفة والطرفة»
أن الوزير المزدقانى خرج للتنزه، فرأى امرأة فى بعض القصور فأعجبته، فوقف متأملاً
لها، فأشارت إليه، وأنس منها قبولاً، فأرسل إليها رسولاً يعلمها بشدة شوقه ووجده
بها، فردت رسوله ومعه تفاحة عنبر فيها زر من ذهب، ولم تكلمه بشيء، فلم يظن هو ومن
حضره لتأويل ذلك، فقال له ابنه أحمد: قد فهمت ما أردت، ونظمه فى الحال فى بيتين

أهدت لك العنبر فى جوفه زر من التبر خفى اللحم
فألزر فى العنبر معناهما زر هكذا مخفيا فى الظلام

٤٧١ - وأبناى الفقيه أبو الحسن بن المفضل المقدسى، قال: أخبرنى الشيخ أبو الحسن على بن عتيق بن مؤمن القرطبى الأنصارى قال: عمل والدى محملاً للكتب من قضبان شبه سلماً، فدخل عليه أبو عبد الله محمد بن مفيد فرآه، فقال ارتجالاً مخبراً عن لسان حال السلم:

أيها السيد الذكى الجنان لا تقسنى بسلم البنيان
فضل شكلى على السلام أنى عمل للعلوم والقرآن
حزت من حلية المحبين ضعفى واصفرارى ورقة الأبدان
فادع للصانع المفيد بفوز ثم وال الدعاء للإخوان
ثم عمل أيضاً:

أيها السيد الكريم المساعى التقت صنعتى وحسن ابتداعى
أنا للكتب محمل خف حملى أنا فى الشكل سلم الإطلاع

٤٧٢ - وأبناى الفقيه أبو محمد عبد الخالق المسكى قال: أنشدنى تاج الدين المسعودى أبو سعيد عبد الرحمن قال: أنشدنى ظهير الدين أبو النجيب الحسن بن شهراسوب القاضى أبو بكر الأرجانى، وقد دخل عليه من طمع فى طيلسانه، فقال ارتجالاً:

حسبك منى يا فتى خلعة أمسك عن نشر مساويكا
فى طيلسانى لا تكن طامعا طى لسانى عنك يكفيا

وقد أخبرنى العماد أبو حامد أنه سمع جميع شعر القاضى أبى بكر على ابنه عنه، وطلب منى قراءته عليه، فلم أتفرغ له، وأجازنيه فى جملة ما أجازنى روايته عنه.

٤٧٣ - وأخبرنى القاضى الوجيه الحسين أبى منصور بن حران الواسطى قال: كنت مع خالى نجم الدين بن أبى الغنائم بن المعلم الهرنى على طعام، فأنهى إليه أن ظهير الدين محمود بن محمد بن بردامسيا ضامن بلاد واسط، قد طرح على قرى كانت فى ملكه عدة أكرار أرز، فناولنى درجاً، ثم قال لى: اكتب، فكتبت:

إيه ظهير الدين إنك فى ندى ووغى كغيث جداً وليث عرين
 وإذا امرؤ ضاقت عليه أموره وكأنه فى حلقة التسعين
 ودعا بك انفرجت سجون صعابها عنه بأبلج شامخ العرينين
 ثم أتبعها رسالة أملاها لى إليه وأرسلها.

٤٧٤ - وأنبأنا العماد الأصفهانى إجازة، قال: اجتمعت أنا والمرضى ابن أبى المؤيد الجعفرى الأصفهانى، فجرى بيننا فى المحاوره ذكر رجل يقال له: ابن عمرو، وكان ينسب إلى كبر، فنظم الجعفرى بديهة يخاطب جمال الدين بن الخجندى فقال:

أيها الصدر كم تشيع فينا من تخيرته بما ليس فيه
 وإذا ما عددت أبناء فضل فابن عمرو كم مثل واو أبية

٤٧٥ - وأنبأنى أيضاً قال: أخبرنى أكرم الدين أبو سهيل خازن دار الكتب بالنظامية قال: دخل علىّ عزيز بن محمد السلمكى دار الكتب ويده عصا، فقلت: إن العصا للشيخ رجل ثالثة، فقال بديهاً:

ضع جسمى لمشيبي لم يضع منى وقارا
 صار حالى عبرة العا قل إن رام اعتبارا
 العصا صارت حمارى ولها صرت حمارا

٤٧٦ - قال على بن ظافر: وأخبرنى بعض أصحابنا أن أبا القاسم بن هانئ الشاعر المحدث قد هجا الأجل الموفق أبا الحجاج يوسف بن الخلال صاحب ديوان الإنشاء والمكاتبات هجاءً اتصل به، فأضمر له الحقد بسببه مع إفراط جلاله الرجل، وفرط رياسته، وحسن معاشرته للناس وسياسته، واتفق بعض المواسم التى جرت عادة ملوك مصر بالجلوس فيها لاستماع المدائح وبذل المنائح، وزف بنات القرائح، فجلس الحافظ لذلك، وحضر خواصه فى ظاهر الرواق على مراتبهم، فانتهت النوبة فى الإنشاد إلى أبى القاسم بن هانئ، فأنشد ما اهتزت له المعاطف، وفض ختام روضة ليس لها إلا القلب والسمع جان وقاطف، فمال الحافظ إلى القاضى الموفق متعجباً، وقال له: كيف تسمع؟ فاستحسن واستجاب، حتى نسبه إلى الإعجاز أو كاد، وهو فى خلال ذلك يصنع صنع المخاتل، ويحاول قرطسة المقاتل، فسأله الحافظ عن الرجل، فأثنى على أدبه، وثنى بنسبه، حتى أوهمه الاعتناء به.

في بقية بدائع البدائه
 ثم قال: ولو لم يكن له مما يمت به إلا انتسابه إلى أبي القاسم بن هانئ شاعر هذه
 الدولة، ومظهر مفاخرها، وناظم مآثرها لكفى، فكيف وفيه هذا الأدب الغض النضير،
 والشعر الذي لا ند له ولا نظير! لولا بيت أظهره منه الضجر عند دخوله هذه البلاد،
 فقال له الحافظ: ما هو؟ فتخرج من إنشاده، وامتنع من إيراده، فأبى الحافظ إلا أن
 يورده، ففي أثناء ذلك صنع هذا البيت وأنشده:

تبا لمصر فقد صارت خلافتها عظمة تنقل من كلب إلى كلب
 فعظم ذلك على الحافظ، وأمر بقطع صلته، وكاد أن يفرط في عقوبته، ولم يحصل له
 انتعاش من جهته طول مدته.

٤٧٧ - قال على بن ظافر: وأخبرني الفقيه أبو محمد عبد الخالق المسكى قال:
 أخبرنا تاج الدين أبو سعيد - وهو أبو عبد الله أيضاً - محمد بن عبد الرحمن بن محمد
 المسعودي، قال: جاء رجل إلى أبي نصر أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن شمر
 الصخديهي - وكان قاضي بلد تعرف بخمس القرى - وكان من العلماء الفضلاء،
 فقال له في معرض الدعابة والمزاح: اشهد على أنني قد وقفت معدتي على سائر ألوان
 الطعام، فقال: قد شهدت، فقال: سجل لي، فأمر كاتباً فكتب كتاب وقف، فلما قدم إليه
 كتب في موضع الشهادة هذه الأبيات - قال: وكان ارتجالها ما بين ابتداء الكتاب
 وفراغه - وهي:

يقول أبو نصر المبتلى بأمر القضاء بخمس القرى
 أقر بضمونه طائعا أبو الأكل ملتقم ابن القرى
 وحليته صاحب الطيلسان مديد الحوايا قصير القرا

٤٧٨ - وأخبرني الفقيه الحافظ بن دحية قال: دخلت على الوزير الفقيه الأجل
 أبي بكر عبد الرحمن بن محمد مغاور السلمى، فوقع الكلام في علوم لم تكن من جنس
 فنونه، فقال بديهاً:

أيها العالم أدركنى سماحاً فلمثلنى يحق منك السماح
 أن ترانى إذا نطقت عيياً فبنانى إذا كتبت وقاح
 أحرز الشأو فى نظام ونثر ثم أننى وفى العنان جماح
 فهزل كما تود غصن ويجد كما تسل الصفاح

فى بقية بدائع البدائه
 ٤٧٩ - وأخبرنى أيضاً قال: دخلت عليه منزله بمدينة شاطبة فى اليوم الذى توفى فيه وهو يوجد بنفسه، فأنشد بديهاً:

أيها الواقف اعتباراً بقبرى استمع فيه قول عظمى الرميم
 أودعونى بطن الضريح وخافوا من ذنوب كلومها بأدى
 تركونى بما اكتسبت رهينا غلق الرهن عند مولى كريم

٤٨٠ - وأخبرنى القاضى الأعز بن المؤيد المقدم ذكره، عن أبيه بما معناه، قال:
 كنت بمجلس الصالح فى يوم أسدل الجوبه ستور الغمام، واختفت الشمس فيه اختفاء
 النور فى الكمام، ونثرت السماء درر البرد نثراً عم الربا والآكام، حتى وصل إلى
 أطراف بسط المجلس، فصنع القاضى الموفق بن قادوس قطعة شذت عنى لبعدى عنها،
 إلا قوله منها:

ولكن أتتك ثغور السحاب تقبل بين يديك البسائط

٤٨١ - وأخبرنى أيضاً رحمه الله قال: أخبرنى أبى بما معناه قال: كنت فى مجلس
 فارس المسلمين أخى الصالح، وقد نصب سماًطاً بمجلسه لخواصه، ونصب سماًطاً آخر
 فى بعض المجالس لجماعة من أمراء العرب، وفى جملتهم الأمير إبراهيم بن شادى بن
 مرجان، وهو يومئذ يهتز كالغصن المطور، وبأبز كالظبى المذعور، قبل أن يصير أحد
 الأمراء الأنجاد، والكرماء الأنجاد. قال: فبصرت أنا والأمير علو الدولة حاتم بن
 العسقلانى به، وقد كشف عن معصمه، وهو يشف عن نحه ودمه، فكأنه عمود بلور
 تبدى، وقد حشى ورداً، ووجهه تحت لثامه كالبدر خلف غمامه، قال: فصنع بديهاً:

سلمت من فتنة العيون فارحم فتى هام بالفتون
 قلبى بلى من بلى بظبى يختلس الليث فى العرين
 مذ عقد القاف حل منى عقدة عزمى وعقد دينى
 يقول والقلب فى هواه بلا مجير ولا معين
 إن كنت فرداً بحسن وجهه وكنت من ذا على يقين
 فاخلع ثيابى وانظر تشاهد عساكر الحسن فى الكمين

٤٨٢ - وأنبأنى العماد أبو حامد قال: أنشدنى أبو السعادات على بن بختيار لنفسه
 فى البرغوث والبوق، وقد اقترح عليه بحضرة جماعة من الفضلاء، فقال بديهاً:

..... فى بقية بدائع البدائه

ولما انتحى البرغوث والبق مضجعى ولم يك من أيديهما لى مخلص
صفقت بكفى إذ مدامتها دمی فزمر هذا وابتدا ذاك يرقص
قال العماد: وقد كنت عملت أبياتاً ارتجالاً لأصف بها ليلة بتها بنهر دقلا، فقلت:

يا لحا الله ليلة قرصتنى فى دياجيرها البراغيث قرصا
شربت بقها دمی فتغنت وبراغيثها تواجدن رقصا
قد تعربت من ثيابى لقرصى غير أنى لبست منهن قمصا
كلما زدت منعهن بحرص عن فراشى شربن فازددن حرصا
من براغيث خلتها طافرات طائرات جناحها قد قصا
عرضت جيشها الفريقان حولى وهى أوفى من أن تعد وتحصى
لو غزا سنجر بها الغز يوماً لم يدع منهم على الأرض شخصا

ومثل هذا ما أنشدنيه الحافظ ذو النسبتين أبو الخطاب بن دحية الحصرى:

ضماقت بلنسية بى وذاد عنى غموضى
رقص البراغيث فيها على غناء البعوض
وما أنشدنيه أيضاً للسميسير:

بعوض شربن دمی قهوةً وغينى بضروب الأغنان
كأن عروقى أوتارهن وجسمى الرباب وهن القنان
وأحسن من هذا كله قول ابن رشيق القيروانى:

لك مجلس كملت بشارة لهونا فيه ولكن تحت ذاك حديث
غنى الذباب فظل يزمر حوله فيه البعوض ويرقص البرغوث
وأسبق من هؤلاء إلى هذا المعنى أبو أحمد بن أيوب - من شعراء اليتيمة فى قوله:

لا أعذل الليل فى تطاوله لو كان يدرى ما نحن فيه نقص
إذا تغنى بعوضه طرباً أطرب برغوته الغنا فرقص

٤٨٣ - وأخبرنى الفقيه أبو الحسن على بن الطوسى المعروف بابن السيورى، قال:

دخلت على الأديب الأعز أبى الفتوح بن قلاقس وهو مريض، فقال: قد صنعت بيتين
بديهاً فى الحمى، ووصفتها بأحسن من صفة أبى الطيب، فأنشدته إياهما، فأنشدهما:

وبغيضة تدنو وما دعيت فتبيت بين الجلد والكبد
 يصبو الفؤاد ليينها فإذا ولت بكاهها سائر الجسد
 ٤٨٤ - وأخبرني الفقيه أبو الحسن علي بن المقدسي قال: كنت معه - يعني ابن
 قلاقس - فمر بنا صبي صبيح معروف الاسم في ثوب أحمر، وعمامة زرقاء،
 فاستحسنه الحاضرون، فصنع في الحال:

هذا أبو الفضل بدر الأرض قد صفاته أنه كالبدر في الأفق
 لما تعمم تبيها بالنسماء بدا وفوق أعطافه ثوب من الشفق
 ولا تقل لاح في خديه عارضه وإنما هو تأثير من الغسق
 ٤٨٥ - وأخبرني أبو عبد الله المنجم بن الصواف قال: دخل منزلي الأديب الأعز
 أبو الفتوح بن قلاقس وجماعة من أصحابنا، فأحضرت لهم بطيخة صفراء وشقتها
 وفرقتها عليهم، فارتجل الأعز:

أتانا الفقيه ببطخة وسكينة قد أجيدت صقالا
 فقطع بالبرق بدر الدجى وناول كل هلال هلالا
 ٤٨٦ - وأخبرني القاضي الأعز بن المؤيد، عن أبيه قال: كنت عند الأمير شمس
 الملك نبهان بن عين الزمان، وعنده الأعز بن قلاقس وجماعة ممن يجالسه، وعنده مغن
 يقال له: الحسام، وهو ابن صاحب ربيع المشهور، فجعل يغني ببليقة لحسام الدين
 الإسكندراني في هجاء ابن قلاقس، أولها:

اسألوا عنى فتوح بن قلاقس
 كيف رأى ضرب الشلوح بالدرافس
 فعز علي ابن قلاقس ما فعله، وأوهم أنه يمضي إلى بيت الخلاء، فقام ثم عاد سريعاً،
 فوقف على باب المجلس، وقال:

ليس الحسام حساماً وإنما هو غمد
 يشدو فكم من فؤاد تحمت السياط يشد
 قد قلت إذ تاه فينا تبظـرما لا يحـد
 خرا عليك ولو أن معبداً لك عـبد

فكأنما ألقم حجراً.

٢٧٠ فى بقية بدائع البدائه

٤٨٧ - وأخبرنى الأنجب السخاوى الساكن بالإسكندرية قال: لما وصل الأديب الأعز بن قلاقس من صقلية، وكان قد انتجع أبا القاسم بن الحجر، فانبجس بعيون العطاء وانفجر، خرج للسلام عليه جميع معارفه، وخرجت فى جملتهم، فلما نزل من المركب، وأخذنا فى السلام عليه، إذ بأبى العباس أحمد بن محمد بن أبى الصلاح قد خرج، فحين وقعت عينه عليه - أى على الأعز - أنشد مرتجلاً:

أظل هلال العاشقين فلا أهلاً ولا مرحباً بالقادمين ولا سهلاً
ثم انصرف وتركنا متعجبين لسرعة بديهته وقلة وفائه.

٤٨٨ - أنبأنى العماد أبو حامد رحمه الله، قال: جرى بين يدي القاضى الفاضل رحمه الله يوماً ذكر حب الصغير، فارتجل هذه الأبيات:

طفل كفاه القلب داراً له كأنما القلب له قالب
كيوسف الحسن وقلبي له سجن وما ثم له صاحب
أصبح والقلب لباس له لا قاصر عنه ولا ساحب
وهو بعينى وهو إنسانها وهى له من خارج حاجب
ضاق به ضيق عناقى له فلم يسع ما قاله العائب

٤٨٩ -- قال: وجرى بين يديه ذكر سيوف السلطان الملك الناصر رحمه الله، فارتجل قطعة، علق بحفظى منها:

ماضيات على الدوام دوامى هى فى النصر نجدة الإسلام
فى يمين السلطان إذ جردتها أشبهتها صواعق فى غمام
تنثر الهام فى الحروب فما أش به هذى السيوف بالأقلام
فى محاريب حربه البيض حلت وركوع الظبا سجود الهمام

٤٩٠ - وأخبرنى السعيد أبو القاسم بن سناء الملك رحمه الله، قال: خرجنا للقاء القاضى الفاضل رحمه الله تعالى فى بعض قدماته من الشام، فلقيناه وعدنا، فلما كنا فى سطح الخشى عن ظبى للموكب، فركض خلفه المكين بن حيون، طامعاً أن يلحقه، وكان مثل هذا الفعل لا يليق به؛ لأنه ليس من أهله، ولأن الصدر المتلقى لا ينبغى أن يغلط بين يديه مثله، فعجب الفاضل منه، واتفق أن فاته الصيد الذى طلبه، وسقطت مقرعته من يده، ورجع إلى الموكب وعليه انكسار الفوات وحجل الغلط، فارتجل الأجل

يا عاديًا عدو السفيفه وعائدًا عود الحلِيم
ضُيِّعت مقرعة وعدت سميها من غير ميم
٤٩١ - قال: وأخبرني الفقيه أبو العباس أحمد الأبي، وكان كثير الصحبة للأجل
الفاضل في صدر عمره أيام كونه بالإسكندرية، قال: كان يصحبه رجل يعرف بابن
بليمة، ولا يكاد يفارقه، وكان يحضر عنده رجل مغن من أهل الثغر يعرف بشهاب،
وكان يغنى الموشحات، فغنى ليلةً، واتفق أن نعس ابن بليمة، فأنبه، فضرط، فضحك
الأجل الفاضل وارتجل:

تغني شهاب لنا ليلةً غناء له هجع السمر
فأعجب هذا ابن بليمة فأقبل من دبره ينعر
٤٩٢ - وأخبرني الفقيه شجاع الغزالي المتقدم ذكره، قال: مضيت أنا ونشو الملك
على بن مفرج بن المنجم المقدم ذكره إلى دار الكامل شجاع بن أمير الجيوش بن شاور
آخر وزراء الدولة المصرية، ومن كان انقضاؤها بموته، ومعنا قصيدتان قد امتدحناه بهما
في بعض الأعياد، فرأينا رماحاً قد عملت برسم الموكب، وجعل عليها مكان اللهازم
أهلاً من ذهب، فقال نشو الملك: قد وقع لي في هذه الرماح معنى، فصنع في الحال:

فعال الكامل الملك المرجى على ما فيه من فضل أدله
نحاً برماحه نحو الأعداى فكل قد سقاه بها وعله
ولم يرض النجوم لها نصالاً فنصلها هنالك بالأهله
ثم كتبها وبعث بها إلى الكامل، فخرجت جائزته في الحال.

٤٩٣ - وأخبرني الفقيه الوجيه أبو الفضل جعفر بن جعفر السمرى المتقدم ذكره،
قال: كان بمصر صبي مستحسن وضىء الوجه اسمه أسد، قد شغف به رجل اسمه
الفأر، ووقع بينهما ما أدى الرجل إلى أن قتل الصبي وهرب، وخاض الناس في أمره،
وأكثروا الحديث فيه، فجلست يوماً بسوق الكتب، إذا بابن المنجم قد مر راكباً، فحين
رأنى ثنى رجله على معرفة فرسه، ووقف للحديث، فمر علينا في أثناء ذلك شاب
مشهور بجمال وانتماء إلى أهل الأدب، فأنشدنا مرثية زعم أنه رثى بها الصبي القتيل،
فصنع ابن المنجم في الوقت:

الوجه كالحه، ثانی عطفه جاعه، فقال الأمير يداعبه بديهاً:

أصبح الليث يوافي ———نا بتعبيس وتسيه
 فمتى أنظر فى يا فـوخه اسم أبيه
 فاستحسنت البيتين، ثم صنعت فى معناهما بعد ذلك بـجـين، وزدت عليه:
 قد جاءنا الليث بن دبوس على عاداته فى الانقباض ورسمه
 فمتى أرى اسم أبيه فى يافوخه ومتى أرى ناب اسمه فى جسمه
 وهذه طريقة بديعة، ومن أحسن ما سمعت فيها قول السلامى فى صبي يعرف بابن
 برغوث:

بليت ولا أقول بمن لأنى إذا ما قلت من هو يعشقه
 غزال قد نفى عنى رقادى فإن غمضت أيقظنى أبوه
 وللصاحب بن عباد فى مغن يعرف بابن عذاب:

أقول قولاً بلا احتشام يفهمه كل من يعيه
 ابن عذاب إذا تغنى فإننى منه فى أبيه
 ٤٩٨ - ولأبى الوليد النحلى الأندلسى خبر يدخل فى بدائع البدائه، قال ابن
 طوفان: دعا أبى أبا الوليد، فلما قضا وطرهم من الطعام، جلست أسقيهم، وجعلت
 أترع له الكاسات، فلما مشت فيه سورة الحميا ارتجل قائلاً:

لابن طوفان أياد قل فيها مشبهوه
 ملاً الكاسات حتى قيل فى البيت أبوه
 وللمعقل من شعراء كتاب الذخيرة لابن بسام فى شاعر يعرف بابن الفراء:

فإذا ما قال شعراً نفقت سوق أبيه
 ٤٩٩ - أخبرنى الفقيه تقي الدين اليونى الشاعر المعزى إلى ميفارقين سنة ثلاث
 وستمائة، قال: اقترح صاحب قرقيسيا الملك المظفر محمود بن عماد الدين زنكى على،
 وعلى جماعة كانوا على باب من الشعراء أن يعمل فى سرج ما يكتب عليه، فصنعوا
 وصنعت بديهاً:

فقت السروج فمسكى المسك رائحةً بغير شك كما عودى هو العود

تحتى البراق متى رمت اللحاق ومن فوقى خليفة هذا العصر محمود
قال: فاستحسنه وأجازنى.

٥٠٠ - وأخبرنى موفق الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عمر بن عبد الله
البغدادي بجران، قال: أنشدنى أبو عبد الله محمد بن جمل صاحب الجرمى لنفسه ارتجالاً:

وعروس خدر حين نبرزها تسطو كأن فؤادها لهب
خلع المزاج على معاطفها ثوباً كأن شعاعه الذهب
وأراد يجلوها فصاغ لها تاجا ورصع تاجها الحبيب

٥٠١ - وأخبرنى موفق الدين أبو الحسن على بن محمد البغدادي الساكن برأس
العين، قال: كنت فى خدمة السلطان الملك الأشرف - أبقاه الله - بدمشق، فدخل عليه
الرشيد عبد الرحمن النابلسى الشاعر الملقب مدلويه، وعلى عينه خرقة، فجرت بينى
وبينه معاتبة، فقلت بديهاً:

إن أظلمت عين مدلويه فمن كثرة نقص العهود والذمم
يقسم ألا يخون صاحبه وهو يصير الفجور فى القسم
لو خلق الشعر قيل مسترق واللص يبنى بكثرة التهم
أو شرب المسكرين فى حلب كرسمه بعض ليله لعمى
ولو يكون المجير بعد بها حيا لرمى بالعمى وبالصمم

قال على بن ظافر: المسكران المشار إليهما النبيذ والصفع، والمجير رجل من ندماء
الملك الظاهر كان كثير العبث بالمذكور فى مجلس الملك الظاهر، وهو الذى عناه الأديب
شرف الدين الحلبي صاحبنا بيتين من قوله، وكتب بهما إلى الرشيد المذكور إلى دمشق،
أنشد فيهما الموفق عنه، وهما قوله:

قدم العزم يا رشيد وبادر فلقد آن من نواك الحضور
ما تبقى على قذالك نطع تاب سلطاننا ومات المجير

٥٠٢ - وأخبرنى الشهاب ابن أخت نجم الدين بن المجاور - المقدم ذكره - قال:
حضر ابن عنين الشاعر الدمشقى وابن الرومى البسام عند خالى، فتذاكرت معه فى
تشبيه الثغر بالثريا، فادكر قليلاً ثم أنشد:

يا غزلاً أرى الغواية رشداً فى هواه والرشد فى الحب غيا

ما رأينا قبل ابتسامك بدر التـم يفتر عن نجوم الثريا
 ٥٠٣ - وأخبرني القاضي الأعز بن المؤيد المقدم ذكره، عن العماد بن ناصر الدولة
 رحمه الله قال: اجتمعنا ليلة بدمشق في دعوة غناء، ومعنا ابن عنين وعمر غلام الحكيم
 بن المطران، فأخذنا في الحديث باستحسانه واستعظام أمره في الحسن وشانه، وتمنى
 الوصول إلى وصاله، وتشهى الاستمتاع بجماله، فقال له بعض الحاضرين: نبه لها عمر،
 وأطرق ثم أنشد بديهاً:

وحاجة بت أشكوها إلى ثقة وقد تزاحمت الأشجان والفكر
 فقال لي مشفقاً نبه لها عمراً فقلت واخييتي إن لم ينم عمر
 وعمر هذا هو الذي يشير إليه ابن عنين في قصيدته المسماة مقرض الأعراض التي
 عم فيها أهل دمشق بالهجاء، وأوها:

أضالع تنطوى على كرب ومقله مستهله الغرب
 ومنها يعنى الحكيم بن مطران:

ترى أرى سيدى الموفق يخـتال فى عراضها الـرحب
 يمشى الهوينى وخلفه عمر يخـتال مثل المهاة فى السرب
 وسيدى قلماً يشاكلة فى الناس إلا تبظرم الـرحبى
 المدعى أنه بحكمته علم بقراط صنعة الطب
 ٥٠٤ - وأخبرني الأعز بن المؤيد رحمه الله أنه حضر عند بعض الرؤساء، فناوله
 شمامة ريجان وورد، فصنع في الحال:

سيداً قد أسدى لنا من أياديـه فعـالا تنزه الأبصارا
 قرنت راحتك بالورد ريجانـا فأهدت إلى الخدود عذارا
 ٥٠٥ - قال على بن ظافر: دخلت يوماً على القاضي الفاضل - رحمه الله -
 فجرى في مجلسه من فنون المذاكرة ما أده إلى أن قال: كان الرشيد أحمد بن الزبير قد
 اجتمعت فيه صفات وأخلاق تقتضى أن تجود معانى الهجاء فيه، من ذلك أنه كان
 أسود، ولا يزال يدعى الذكاء، وأن خاطره من نار، فقال فيه ابن قادوس:

إن قلت ممن نار خلقـت وفقت كل الناس فهما
 قلنا صدقت فما الذى أطفـاك حتى صرت فحما

في بقية بدائع البدائه وأرسل إلى اليمن ولقب علم المهتدين، فقال فيه بعض الشعراء من قطعة يخاطب الخليفة:

بعثت لنا علم المهتدين ولكن علم أسود
يعنى أن الأعلام السود إنما تكون للعباسيين، وأعلام تلك الدولة بيض. وتولى مطابخ الخليفة، فقال فيه بعض الشعراء يخاطب الخليفة:

تولى على الشيء أشكاله فتحسب هذا لهذا أخا
تولى على المطبخ ابن الزبير تولى على مطبخ مطبخا
وكان ينافر في سوق الشعر ويسرق المعاني، فقال فيه ابن فادوس:

سلخت أشعار الورى جملةً حتى دعوك الأسود السالحا
فأخذ الأسعد الخطير يستحسن هذه القطعة، فقلت له: كما تقول، إلا أنه لحن في قوله: «الأسود السالخ»، وإنما قال: أسود سالخ، وسام أبرص، فاللحن يقيم الوزن، والصواب يكسره، فهو بين خطتي خسف. فأخذ في المشاغبة إلى أن قال: من أين نقلت هذا؟ فقلت أحضر شاهدي عندك الساعة، كتاب الحيات من كتاب الحيوان للجاحظ، فقال: الجاحظ ليس من أهل اللغة، ونقله في هذا الموضع لا يسمع، فقال الأجل الفاضل: دع هذا، فالصواب معه، وهذا مجمع عليه، ولكن عرفنا كيف يصنع حتى ينظم المعنى، فقلت: يترك هذا الوزن وينظمه في وزن يستقيم عليه الصواب، فقال: انظمه لنا، فقلت ارتجالاً:

وسلخت أشعار البرية كلها حتى دعيت لذاك أسود سالحا
فقال: مثلك يقول «لذاك»، فقلت: حتى دعاك الناس، فقال: إنما كنت أريد أن تنظمه أخصر من بيته.

ودخل عليه من انقطع طلبه لدخوله، فلما سكن المجلس قال: تعرف له وجهاً يذهب النقد عنه، ويخلصه من الطعن عليه؟ قلت: مولانا أعلم، فقال: إنه حكى عن الناس تلقيبهم إياه بالأسود السالخ، فكانه لحن على الحكاية، لا لأنه حكى عنه هذا، فاستحسنه وإن لم يكن صحيحاً من الأعدار، ثم خرجت فلقيت الأسعد بن عبد الرحمن بن شيث، فحكيت له الحكاية، فقال: لما طلب منك اختصاره كنت تقول - وقال على الفور:

وسلخت أشعار الورى فدعوك أسود سالخا

٥٠٦ - قال على بن ظافر: بت ليلةً أنا والشهاب يعقوب ابن أخت نجم الدين فى منزل اعترفت له مشيدات القصور بالانخفاض والقصور، وشهدت له ساميات البروج بالاعتلاء والعروج، قد ابيضت حيطانه، وطاب استيطانه، وابتهج به سكانه وقطانه، والبدر قد محا خضاب الظلماء، وجلا مجياه فى زورقة قناع السماء، وكسا الجدران ثياباً من فضة، ونثر كافوره على وجه الثرى بعد أن سحقه ورضه، والروض قد ابتسم مجياه، ووشت بأسرار محاسنه رياه، والنسيم قد عانق قامات الغصون فميلها، وغصبها بماسم نورها وقبلها، وعندنا مغن قد وقع على تفضيله الإجماع، وتغايرت على محاسنه الأبصار والأسماع، إن بدا فالشمس طالعة، وإن شدا فالورقاء ساجعة، تغالزه مقلة سراج قد قصر على وجهه تحديقه، وقابله فقلنا البدر قابل عيوقه، وهو يغار عليه من النسيم كلما خفق وهب، ويستجيش عليه بتلويح بارقة الموشى بالذهب، ويديم حرفته وسهده، ويبذل فى إلفاته طاقته وجهده، فتارة يضمخه بمخلوقه، وتارة يحليه بعقيقه، وأونة يكسوه أثواب شقيقه، فلم نزل كذلك حتى نعس طرف المصباح، واستيقظ نائم الصباح، فصنعت بديهاً فى المجلس، وكتبت بما صنعت إلى الأعز بن المؤيد - رحمه الله - أصف تلك الليلة التى ارتفعت على أيام الأعياد كارتفاع الرءوس على الأجياد، بل فضلت على ليالى الدهر، كفضل البدر على النجوم الزهر، فقلت:

غبت عنى يا ابن المؤيد فى وق	ت شهى يلهى المحب المشوقا
ليلة ظل بدرها يلبس الجد	ران ثوبا مفضضا مرموقا
وغدا الطل فيه ينثر كافو	را فيعلو مسك التراب السحيقا
وتبدى النسيم يعتق الأغ	صان لما سرى عناقاً رفيقا
بت فيها منادماً لصديق	ظل بين الأنام خلا صدوقا
هو مثل الهلال وجهاً صبيحاً	ومثال النسيم ذهباً رقيقا
وغزال كالبدر وجهاً وغصن ال	بان قدا والخمرة الصرف ريقا
مظهر للعيون ردفاً مهيلاً	وحشى ناحلاً وقدار شيقا
إن تغنى سمعت داود أو لا	ح تأملت يوسف الصديقا
وإذا قابل السراج رأينا	منه بدرأ يقابل العيوقا
وأظن الصباح هام بمرأ	ه فأبدى قلباً حريقاً خفوقا

ذاك نجم ما لاح في الجدر كافو ر بياض إلا كساه خلوقا
 ما بدا نرجس الكواكب إلا قام فى قومه يرينا الشقيقا
 وإذا ما بدت جواهرها فى الجو أبدى فى الأرض منهم عقيقا
 فغدونا تحت الدجى نتعاطى من رقيق الآداب خمراً حيقا
 وجعلنا ريجاتنا طيب ذكرا ك فخلناه عنبراً مفتوقا
 ذاك وقت لولا مغيبك عنه كان بالمدح والشناء خليقا

فأجاب عنها على الوزن دون الروى:

قد أتنى من الجمال قصيد يا لها من قصيدة غراء
 جمعت رقة الهواء وطيب المسك فى سبكها وصفو الماء
 فأرتنا طباعه وشذاه والذى حاز ذهنه من ذكاء
 سيدى هل جمعت فيها اللآلى يا أخوا المجد أم نجوم السماء
 أفحمتنى حسناً وحق أيادى ك التى لا تعد بالإحصاء
 فتركت الجواب والله عجزاً فابسط العذر فيه يا مولائى
 هل يسامى الثرى الثريا وأنى يبلغ النجم فرط نور ذكاء

* * *

قال على بن ظافر: وقد ضمنت هذا الكتاب البديع النظم، الغريب الاسم، ما وقع لى إلى هذا التاريخ من حكايات البدائه، وكل ما فيه من الحكايات المسجوعة فخاطرى جالب دره، وحالب دره، وساكب قطره، إلا ما استنبت به، وقد جاء علالة السائر، وأنس المسامر، وملهاة الساهر، ولولا ضيق الصدر بازدهام وفود الهموم، وما ران على البصيرة من تكاثف غيوم الغموم، لتكلفت مشقة الحث، وأنضيت ركائب البحث، فلا أزال فى الطلب موضعاً، حتى لا أرى للزيادة موضعاً، إلا ما تنتجه الخواطر فى الأزمان الآنفة، وتولده الفكر فى الأعصار الرادفة، وقد عقدته عقداً لا يعقبه فسخ، ونظمته نظماً محكمًا لا يعرفه نسخ، فمهما اطلعت عليه بعد ذلك من البدائه الواقعة فى الأزمنة الخالية، أو مما تجدد فى الأزمنة الآتية، جمعت وجعلته كالتمة له، حتى لا أفض ختامه، ولا أفتق أكمامه، والله تعالى يوقعه عند الجنب المحمول إليه موقع الرضا عنه، والقبول له، والإقبال عليه، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، وصلى الله على سيدنا محمد زين الملاح، وعلى آله وصحبه أولى الوجوه السماح، وسلم تسليمًا كثيرًا، آمين.

فهرس المحتويات

٣	المؤلف فى سطور
٥	مقدمة المؤلف
٨	الفصل الأول: فى اشتقاق البدئية والارتجال
٨	الفصل الثانى: فى الفرق بينهما
١١	الباب الأول: فى بدائع بدائنه الأجيوية
٤٢	الباب الثانى: فى بدائع بدائنه الإجازة
٤٢	الفصل الأول: فى إجازة الشاعر لمعاصره
١١٢	الباب الثالث: فى بدائع بدائنه التمليط
١٦٢	الباب الرابع: فى بدائع بدائنه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد
١٦٢	الفصل الأول: فيما وقع الاتفاق فيه
١٧٠	الفصل الثانى: فيما لم يقع فيه توارد
١٩٥	الباب الخامس: فى بقية بدائع البدائنه
١٩٥	الفصل الأول: فيما كان باقتراح مقترح
٢٢٣	الفصل الثانى: فيما وقع من بدائع البدائنه من غير اقتراح
٢٧٩	الفهرس

BADĀ'Ī AL-BADĀ'ĪH

(Wonders of spontaneity figures
in Arabic poetry)

by

ʿAli ben Ḥāfir al-ʿAzdi

Edited by

Muṣṭafa ʿAbdul-Qādir ʿĀṭa

DAR AL-KOTOB AL-ILMIYAH
Beirut-Lebanon